

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين — الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث والعشرون

دار صادر

بيروت



23



الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعَة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعَة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Iṣphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[497] ـ أخبار صخر الغيّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو صخرُ بن عبد الله الخَيثميّ ، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل . هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، ولقب بصخر الغيّ لخلاعته ، وشدّة بأسه ، وكثرة شرِّه .

فمَن روى هذه القصيدة له ، ذكر أنّ السبب فيها أن جاراً لبني خُناعة بن سعد بن هُذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مُزينة ، وقيل : إنّه كان جاراً لأبي المثلّم الشاعر ، وهو أخوهم ، فقتله صخر الغيّ فمشى أبو المثلم إلى قومه ، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزنيّ والإدراكِ بثأره ، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلّم وما فعله ، فأوّلها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول : [من المنسرح]

وَلستُ عبداً للموعِدينَ ولا أقبلُ ضَيماً أتى به أحدُ
جاءَت كبيرٌ كيما أخفرَها والقوم صيدٌ كأنّهم رَمِدوا
في المزنيّ الذي حششتُ به مالَ ضَريك تِلادُهُ نكِدُ[2]
إن أمتسِكْه فبالفِداء وإن أقتل بسيفي فإنّه قَوَدُ

ولصخْر وأبي المثلّم في هذا مناقضات وقصائدُ قالاها ، وأجاب كلٌّ واحد منهما صاحبه ، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب .

[الأعلم العداء]

وحكى الأثرم عن أبي عبيدة أنّه حدَّث عن عبد الله بن إبراهيم الجمَحيّ قال : كان الأعلم أخو صَخْر الغيّ أحدَ صعاليك هُذيل ، وكان يعدو على رجليه عَدْواً لا يُلحق ، واسمه حبيب بن عبد الله ، فخرج هو وأخواه صخر وصُخَير ، حتى أصبحوا تحت جبل يقالُ له السِّطاع[3] ، في يوم من أيّام الصيف شديد الحرّ ، وهو متأبّط قِربة لهم فيها ماء ،

1 انظر أخباره في : الإصابة : 3 : 259 .

2 ضريك : الفقير السيء الحال .

3 سِطاع : جبل بينه وبين مكّة مرحلة ونصف من جهة اليمين .

فأيبستْها السَّموم ، وعَطِشوا حتى لم يكادوا أن يبصروا مِنْ العَطش ، فقال الأُعلم لصاحبيه : أَشرب من القربة لعلي أَن أَرِد الماءَ فأروى منه وانتظراني مكانكما ، وكانت بنُو عديّ بن الدّيل على ذلك الماءِ وهو ماء الأَطواء ، يتفيّؤون بنخل متأخّر عن الماء قدرَ رَمية سهم . فأَقبل يمشي مُتَلثّماً ، وقد وضع سيفَه وقوسَه ونَبله فيما بَينه وبينَ صاحبه ، فلمّا برز للقوم مَشى رُويداً مشتملاً ، فقال بعض القوم : مَن تَرون الرجلَ ؟ فقالوا : نراه بعْضَ بني مُدلج بن مرّة .

ثم قالوا لبعضِهم : القَ الفتى ، فاعرفْه ، فقال لهم : ما تريدون بذلك الرجلِ ؟ هو آتيكم إذا شَرِب ، فدعوه فليسَ بمفيتَنا ، فأَقبل يمشي حتى رمى برأسِهِ في الحوض مُدْبراً عنهم بوجهه ، فلمّا رَوى أفرغ على رأسه من الماء ، ثم أَعاد نِقابه ، ورجع في طريقه رُويداً ؟ فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء : هل عرفت الرجل الذي صَدر ؟ قال : لا ، فقالوا : فهل رأيت وجهَه ؟ قال : نعم ، هو مشقوق الشَّفة ، فقالوا : هذا الأَعلَم ، وقد صار بينه وبين الماء مقدارُ رَمية سهْم آخر ، فعَدَوْا في أَثره ، وفيهم رجل يقال له : جُذَيمة لَيس في القوم مثلُه عدواً ، فأغروه به ، وطردوه فأعجزهم ، ومرَّ على سَيفِه وقوسه ونَبله ، فأَخذه ، ثم مرَّ بصاحبَيه فصاح بهما فضبرا[1] معه ، فأَعجزوهم ، فقال الأعلم في ذلك : [من مجزوء الكامل]

لمـــا رأيـــتُ القومَ بالْـ ـعَلْياء دون قِدى المناصبْ[2]
وفَرِيــتُ مــن فــزعٍ فلا أَرْمي ولا ودَّعتُ صاحبْ[3]
يُغـــرون صاحبهـــم بِنا جَهداً وأُغري غيرَ كاذبْ
أُغري أَخـــي صخراً لِيُعْـ ـجزهم ومَدُّوا بالحلائبْ[4]
وخشيتُ وقـــعَ ضريبةٍ قد جُرِّبتْ كلَّ التجاربْ[5]
فأَكـــونُ صيدَهُم بهـــا للذيب والضّبع السَّواغبْ

1 ضبرا معه : عدوا معه .

2 قِدى : قدر . المناصب : الأغراض والمرامي .

3 فريت : تحيرت ودهشت .

4 أخي صخراً في الديوان : «أبا وهب» . الحلائب : الجماعات جمع حلبة .

5 ضريبة : سيف .

جَــزَراً وللطيــر المُربَّــ ـــة والذئــابِ وللثَّعالِبْ[1]

وهي قصيدة طويلة .

صوت

[صخر يرثي أخاه أبا عمرو]

وقالوا جميعاً : خـرج صخْرٌ الغـيّ وأَخوه أَبو عمرو في غَزاة لهما ، فباتا في أَرض رَملة ، فنهشت أخاه أبا عمرو حيّة ، فمات ، فقال يرثيه : [من الطويل]

لعمرُ أَبــي عمرو لقد ساقه المنا ... إلى جَدَثٍ يُوزَى لـهُ بالأَهاضِبِ

لحيّــةِ جُحــرٍ في وجار مقيمةٍ ... تنمَّى بها سوقُ المنا والجوالبِ[2]

أَخي لا أَخــا لي بعْده سبقتْ به ... منيَّتُه جمــعَ الرُّقــى والطبائبِ

وذلك ممّــا يُحــدث الدهرُ إنّه ... لــه كلّ مطلوبٍ حثيثٍ وطالبِ

يوزى له : يمنى له . والإزاء : مهراق الدلو . والأهاضب : الجبال .

وقال الأَثرمُ عن أَبي عبيدة . خرج صَخرٌ الغيّ في طائفة من قومه يقدُمها خوفاً من أَبي المثلَّم ، فأَغار على بَني المصطلق من خُزاعة ، فانتظر بقيّة أَصحابه ، وَنَذَرَت به بَنو المصطلق ، فأَحاطوا به فقال : [من الرجز]

لــو أَن أَصحابي بَنُو معاويَهْ ... أَهلُ جُنوب النخلـة الشّآميَهْ[3]

ورهطُ دُهمانٍ ورَهطُ عاديَهْ ... مــا تركوني للذئاب العاويَهْ

وجعل يَرميهم ويَرتجز ويقول : [من الرجز]

لـــو أَنّ أصحابي بنُو خُناعَهْ ... أَهــلُ النَّدى والمجدِ والبَراعَهْ

تحــتَ جلـود البَقر القرَّاعه ... لمنعــوا مــن هــذه اليراعَهْ[4]

وقال أيضاً وهو يقاتلهم : [من الرجز]

---

1 المربّة : المقيمة الملازمة .

2 الوجار : كل حجر يسكن فيه حنش من أحناش الأرض . تنمّى : ارتفع .

3 جنوب : جمع جنب بمعنى ناحية .

4 القراعة : الصلبة . اليراعة : الضعيف ، وفي الديوان : «المراعة» .

لـو أنّ حولي من قُريم رَجْلاً بيضَ الوجوه يحملونَ النَّبلا[1]
لمنعـوني نَجـــدة وَرِسْلا سفع الوجوه لم يكونوا عُزْلا

[مقتل صخر ورثاؤه]

يقول : منعوني بنَجدة وشِدَّة وَعلى رِسْلهم بأهونِ سَعي . قال : فلم يزلْ يُقاتلهم حتى قَتلوه .

[رثاء أبي المثلّم له]

وبلغ ذلك أبا المثلّم ، فقال يَرثيه : [من البسيط]

لــو كان للدهــر مــالٌ عند مُتلده لكان للدَّهــرِ صخرٌ مــالَ قُنْيانِ
آبــي الهضيمــة آت بالعظيمة متْـــ ــلافُ الكريمة لا سِقْــطٌ ولا واني
حامــي الحقيقــة نسّالُ الوديقة مِعـ ــتاقُ الوسيقــة جَلْــدٌ غير ثِنْيانِ[2]
رَقّــاء مرقَبــة ، منّــاعُ مَغلبــةٍ ركّابُ سلهَبــة ، قطـاعُ أقــرانِ[3]
هبــاطُ أوديــةٍ شهّــادُ أنديــةٍ حمّــالُ ألوِيــةٍ سِرحـانُ فِتيـانِ

السرحان : الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب .

يحمي الصحابَ إذا جدَّ الضِّرابُ ويكْـ ـفي القائلينَ إذا مــا كُبِّــلَ العاني
فيتــرك القِــرنَ مصفرّاً أناملُــه كأنَّ فيَ رِيْطتَيــه نضــخَ إرقانِ

الإرقان : اليَرقان ، يعني صُفرتَه .

يعطيكَ مــا لا تكاد النفسُ تسلِمُـه مــن التِّـلادِ وهــوبٌ غيرُ مَنّـانِ[4]

---

1 قريم : حي من هذيل .
2 نسّال : مسرع . الوديقة : شدّة الحر . الوسيقة : الطريدة .
3 رقاء في ل والديوان : «ربّاء» بمعنى علا وارتفع . سلهبة : جسيمة طويلة . أقران : جمع قرن ، وهو الحبل .
4 تسلِمُه في الديوان : ترسله .

[498] ـ نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

[نسبه]

هو عَمرو بن العَجلان بن عامر بن بُرد بن مُنَبّه ، أحد بني كاهل بن لَحيان بن هُذيل .

قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ : إنّما سُمِّي ذا الكلب لأنّه كان له كلبٌ لا يفارقه .

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنّه قال : لم يكن له كلبٌ لا يفارقه ، إنّما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ، فثبتتْ عليه .

قال : ومن النّاس مَن يقول له عَمرو الكلب ، ولا يقول فيه : «ذو» .

قال : وكان يغزو بني فَهْم غزواً متَّصلاً ، فنام ليلة في بعضِ غزواته ، فوثب عليه نَمِران فأكلاه فادَّعت فهمٌ قتلَه ، هكذا في هذه الرواية .

[عمرو ذو الكلب وأمّ جليحة]

وقد أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا أبو سعيد السكريّ ، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل وغيرِهم من الرّواة قالوا : كان من حديث عمرو ذي الكلب الهُذَليّ ، وكان من رجالهم ، أنّه كان قد علِقَ امرأة من فَهْم يقال لها : أُمّ جُلَيْحة ، فأحبَّها وأحبَّتْه ، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، وطلبوا دمَه ، إلى أن جاءها عاماً من ذلك ، فنذِرُوا به ، فخرجوا في أثره ، وخرج هارباً منهم فتبِعوه يومَهم ذلك ، وهم على أثره ، حتى أمسى ، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلْماء ، فبينا هو يسيرُ على ظهر الطريقِ إذ رأى ناراً عن يمينه ، فقال : أخطأتُ واللهِ الطريقَ وإن النارَ لعلى الطريق ، فحار وَشكّ ، وقصد للنّار ، حتى أتاها ، وقد كان يصيحُ ، فإذا رجل قد أوْقَدَ ناراً ليس معه أحدٌ ، فقال له عمرو ذو الكلب : مَن أنت ؟ قال : أنا رجل من عَدْوان ، قال ، فما اسم هذا المكان ؟ قال السَّدُّ ، فعلِم أنّه قد هلك وأخطأ ، والسدُّ شيء لا يجاوَز ، قال : ويلك ! فلمَ أوقدتَ ، فوالله ما تشتوي ، ولا تصطَلي ، وما أُوقدتَ إلاّ لمنيّة عمرو الشَّقيّ ، هل عندك شيءٌ تُطعمني ؟ قال : نعم ، فأخرج له ثَمرات قد نقَّاها في يده ، فلمّا رآها قال : ثمرات ، تتبعها

عبرات من نساء خَفِرات ، ثم قال : اسقِني ، قال : ماذا ؟ ألبناً ؟ قال : لا ، ولكن اسقِني ماء قَراحاً ، فإنِّي مقتول صباحاً ، ثم انطلق ، فأسند في السَّدِّ ، ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه أثره ، حيث أخطأَ ، فاتبعوه ، حتى وجدوه فدخل غاراً في السّدّ ، فلمّا ظهروا للسّدّ عَلِموا أنّه في الغار فنادوْه ، فقالوا : يا عمرو ، قال : ما تشاءون ؟ قالوا : اخرج ، قال : فلِمَ دخلت إذن ؟ قالوا : بلى ، فاخرجُ ، قال : لا أخرُج ، قالوا : فأنشِدْنا قولك : [من الوافر]

وَمقعدِ كُربةٍ قد كنتُ مِنها مكان الإصبعين من القِبالِ[1]

قال : ها هي ذه أنا فيها . قال : وعنَّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله ، فقالوا : أقتلته يا عدوَّ الله ؟ فقال : أجَلْ ، ولقد بقيتْ معي أربعةَ أسهم كأنّها أنيابُ أُمِّ جُلَيْحة لا تصلون إليَّ أو أقتُلَ بكل سَهم مِنها رجُلاً منكم ، فقالوا لعبدهم : يا أبا نِجاد ، ادخُلْ عليه ، وأنت حُرّ ، فتهيَّأ للدخول أبو نِجاد عليه ، فقال له عمرو : ويلك ! يا أبا نجاد ، ما ينفعك أن تكون حرّاً إذا قتلتك ؟ فنكصَ عنه ، فلمّا رأوا ذلك صعدوا ، فنقبوا عليه ، ثم رمَوْه حتى قتلوه ، وأخذوا سَلَبه ، فرجعوا به إلى أُمّ جُلَيحةَ وهي تَتَشَوّفُ ، فلمّا رأَوْها قالوا لها : يا أُمَّ جُلَيحة ، ما رأيكِ في عَمرو ، قالت : رأيي والله أنّكم طلبتموه سريعاً ، ووجدتموه مَنِيعاً ، ووضعتموه صَرِيعاً ؟ فقالوا : والله لقد قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتُم ، ولئن كنتم فعلتُم ، لربّ ثَدي منكم قد افترشَه ، وضَبٍّ قد احترشه[2] ، فطرحوا إليها ثيابَه ، فأخذتْها ، فشمَّتْها ، فقالت : ريحُ عِطْر وثوبُ عَمرو ، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزة[3] جافية ، ولا عانة وافية ، ولا ضالّة[4] كافية .

[أخته ترثيه]

وقالت رَيطة أختُ عمرو ذي الكلب ترثيه : [من البسيط]

كلُّ امرىءٍ لمحال الدهر مكروبُ وكلّ من غالبَ الأيّامَ مغلوبُ[5]

---

1 القبال : الزمام في النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها .

2 احترشه : صاده .

3 الحجزة : موضع التكّة من الإزار .

4 الضلة : المراد بها السّلاح .

5 محال : قوة .

وكلُّ حيٍّ وإن عزوا وإن سَلِموا يومـاً طريقُهمُ في الشَّرِّ دُعبوبُ[1]
أبلغْ هذيـلاً وأبلغ مَـنْ يُبلِّغُها عنّي رَسولاً وبعضُ القول تكذيبُ[2]
بأنَّ ذا الكلبِ عَمْراً خيرهم نسباً ببطن شِريان يعوي حولَـه الذيبُ[3]
الطاعنُ الطعنـةَ النجـلاءَ يتبَعُها مُثْعنجِرٌ من نَجيع الجوفِ أُسكوبُ[4]
والتـاركُ القِـرنَ مصفرّاً أناملُـه كأنّه من نقيع الوَرْس مخضوبُ[5]
تَمشي النسورُ إليه وهـي لاهيةٌ مَشْيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ
والمخـرجُ العاتقَ العذْراء مُذعنةً في السَّبي ينفحُ من أَرْدانها الطيبُ

صوت

[من البسيط]

يا دارَ عمرةَ مِن مُحْتلِّها الجَرَعا هاجتْ لِيَ الهمَّ والأحزانَ والوجَعا[6]
أُرى بعينـي إذا مالت حَمولَتُهمْ بطن السلَوْطَح لا ينظرن من تبعا[7]
طوراً أُراهـم وطـوراً لا أُبينُهُمُ إذا تَرَفَّـع حِـدْجٌ ساعـة لمعا

الشعر للقيط الإياديّ يُنذر قومَه قصدَ كِسرى لهم ، والغناء لكردَم بن مَعْبد هَزَج بالبنصر من روايتي حَبَش والهشاميّ .

1 دُعبوب : الطريق الموطوءة .
2 القول في ل : الغيّ .
3 بطن شريان : موضع أو واد باليمن يُقال إنّ به قبر عمرو .
4 مثعنجر : سائل . أسكوب : منسكب أو مسكوب .
5 نقيع في ل : نجيع .
6 الجرع : الرملة لا تنبت شيئاً ، وهي موضع هنا .
7 السلوطح : موضع بالجزيرة قريب من البشر .

[499] ـ خبر لقيط ونسبه[1]
والسبب في قوله الشعر

[نسبه]

هو لقيطُ بن يعمَرَ[2] . شاعر جاهليّ قديم مُقلّ ، ليس يُعرف له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقِطعٍ من الشعر لطافٍ متفرّقة .

[غزو كسرى لإياد]

أُخبرني بخبر هذا الشعر عمّي قال : حدَّثني القاسم بن محمد الأنباريّ قال : حدَّثني أحمد بن عبيد قال : حدَّثني الكَلبيّ عن الشرقي بن القُطاميّ قال : كان سبب غزوِ كسرى إياداً أنّ بلادهم أجدبتْ ، فارتحلوا حتى نزلوا بسِنداد[3] ونواحيها ، فأقاموا بها دهراً حتى أخصبوا وكثُروا ، وكانوا يَعبدون صنماً يقال له : ذو الكَعبين ، وعبدته بكرُ بنُ وائل من بعدهم ، فانتشروا ما بين سِنْداد إلى كاظِمَة وإلى بارق[4] والخَورْنق ، واستطالوا على الفُرات ، حتى خالطوا أرضَ الجزيرة ، ولم يزالوا يُغيرون على ما يليهم من أرض السواد ، ويَغزون ملوك آل نصر ، حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم كانت عَروساً قد هُدِيت[5] إلى زَوجها ، فوليَ ذلك منها سفهاؤهم وأحداثُهم ، فسار إليهم مَن كان يليهم من الأعاجم ، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبُرون إبلهم في القراقير[6] ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول : [من الرجز]

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/199 ، 201 والاشتقاق لابن دريد 104 والمؤتلف 175 .

2 في الشعر والشعراء : ابن معمر وأورد محمود محمد شاكر أنّ مختارات ابن الشجريّ وجمهرة اللغة لابن دريد أوردته «يعمر» كما في الأغاني وكذلك في ديوانه في حين ورد في مصادر أخرى «معبد» .

3 سنداد : منازل لإياد ، أسفل الكوفة .

4 بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة .

5 هديت : زفت إلى بعلها .

6 القراقير : جمع قُرقور : السفينة الطويلة أو العظيمة .

بئس مناخُ الحلَقات الدُّهْمِ   في ساحة القُرقور وسط اليَمّ[1]

وعَبروا الفراتَ ، وتبعَهم الأعاجمُ ، فقالت كاهنة من إياد تسجعُ لهم : [من الرجز]

إن يقتلوا منكم غلاماً سِلْما   أو يأخذوا ذاك شَيخاً هِمّا[2]

تُخضِّبوا نحورَهم دَمّا   وتُرووا منهم سُيوفاً ظُمّا

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن مِحْجن بإبل لأبيه فلقيتْه الأعاجم ، فقتلوه ، وأخذوا الإبل ولقيتهم إيادٌ في آخر النهار ، فهزمت الأعاجم .

قال : وحدَّثني بعض أهل العِلم أنّ إياداً بيَّتتْ ذلك الجَمع حين عبروا شطَّ الفرات الغَربيّ ، فلم يفلِت منهم إلاّ القليلُ ، وجمعوا به جِماجمَهم وأجسادهم ، فكانت كالتلّ العظيم ، وكان إلى جانبهم دَيْر ، فسمِّي ديرَ الجَماجم ، وبلغ كسرى الخبر ، فبعث مالكَ بنَ حارثة : أحد بني كعب بن زُهير بن جُشَم في آثارهم ، ووجَّه معه أربعة آلاف من الأساورة . فكتب إليهم لَقيط : [من البسيط]

يا دارَ عمرةَ من مُحتلّها الجَرَعا   هاجتْ لي الهمَّ والأحزانَ والوجعا

وفيها يقول ، قال الشَّرقي بن القطاميّ أنشدَنيها أبو حمزة الثماليّ :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتمُ غُيُراً   على نسائكُمُ كِسرى وما جَمَعا

هو الجلاءُ الذي تبقى مذلَّته   إن طار طائركم يوماً وإن وقَعا

هو الفَناء الذي يجتثُّ أُصلكمُ   فمَن رأى مثلَ ذا رأيا ومَنْ سَمِعا

فقلِّدوا أمركم لله دَرُّكُم   رَحْبَ الذراع بأمر الحَرْب مُضْطَلِعا

لا مترَفاً إن رخاءُ العيش ساعده   ولا إذا حلَّ مكروه به خَشَعا

لا يَطعَم النومَ إلاّ ريثَ يبعثُه   همٌّ يكادُ حَشاه يقطَع الضِّلَعا

مسهَّدُ النوم تَعنِيه ثُغوركُمُ   يرومُ منها إلى الأعداءِ مُطَّلَعا

ما انفكَّ يحلُبُ هذا الدهرَ أشطرَه   يكون متَّبِعاً طوراً ومتَّبَعا

فليس يشغلُه مالٌ يُثَمِّره   عنكمْ ولا ولد يَبغي له الرِّفَعا

---

1 الحلقات : جمع حلقة : الإبل الموسومة بالحلقات .

2 ذاك في ل : ذلك .

حتى استمرَّتْ على شزْرٍ مريرتُه مستحكِمَ السنّ لا قحْما ولا ضَرَعا[1]
كمالِكِ بنِ قِنان أو كصاحبه زيدِ القنا حين لاقى الحارِثَيْنِ مَعا[2]
إذ عابه عائبٌ يوماً فقال له : دَمِّث لجنبكَ قبلَ الليل مُضطَجَعا[3]
فساوَرُوه فألفَوْه أخا عَلَلٍ في الحرب يَختتِلُ الرئبال والسَّبُعا
عبلَ الذراع أبيّاً ذا مُزابنَةٍ في الحربِ لا عاجزاً نكْساً ولا وَرَعا[4]
مستنجداً يتحدّى الناسَ كلَّهمُ لو صارعوه جميعاً في الوَرى صَرَعا
هذا كتابي إليكُمْ والنذير لكمْ لِمَن رأى الرأي بالإبرامِ قد نَصَحا
وقد بذلتُ لكم نُصْحي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إن خيرَ العِلمِ ما نَفَعا

وجعل عنوان الكتاب : [من الوافر]

كتابٌ في الصَّحيفةِ من لَقيطٍ إلى مَن بالجزيرة من إيادِ
بأنّ الليثَ كسرى قد أتاكُمْ فلا يحبسكُمُ سوقُ النِّقادِ[5]

[موقعة مرج الأكم]

قال : وسار مالك بن حارثة التغلبيّ بالأعاجم حتى لقيَ إياداً ، وهم غارُّون لم يلتفتوا إلى قول لَقيط وتحذيرِه إيّاهم ثِقةً بأن كسرى لا يقدُم عليهم . فلقيهم بالجزيرة في مَوضع يقال له مَرْج الأكَم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفِر بهم ، وهزَمهم ، وأنقذَ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفُرات ، ولحقت إيادٌ بأطراف الشام ولم تتوسَّطْها خوفاً من غسّان يوم الحارثين ، ولاجتماع قُضاعة وغسَّان في بلد خوفاً من أن يصيروا يداً واحدةً عليهم ، فأقاموا ، حتى أمِنوا . ثم إنّهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الرّوم بناحية أنقرة ، ففي ذلك يقول الشاعر : [من الكامل]

---

1 استمرت : استحكمت وقويت . شزر : ما يفتل على غير وجهه ، أي من اليسار . المريرة : طاقة الحبل ، أي أنّه متين . قحماً : شيخاً فانياً عجوزاً . ضرعاً : ضعيفاً ذليلاً مستكيناً .

2 الحارثين : الحارث بن ظالم والحارث بن عوف المرّيين .

3 مثل : ويروى دمث لنفسك . ورد في : مجمع الأمثال 265/1 ، والجمهرة للعسكري 443/1 ، 444 وفصل المقال 31 ، والمستقصى للزمخشري 81/2 .

4 الورع : الجبان الضعيف .

5 النقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل مفرده نقد .

حلُّــوا بأَنقــرةٍ يسيــل عليهــمُ ... مــاءُ الفُرات يجــيءُ مِن أُطوادِ

صوت

[من الطويل]

اللبين يــا ليــلى جِمالُكِ تُرحَلُ ... ليَقْطَعَ منّا البينُ ما كان يوصَلُ
تُعلّلُنــا بالوعــد ثُمَّــت تلتوي ... بموعودهــا حتــى يموتَ المعلَّلُ
أَلَم تَــرَ أَنَّ الحَبْــلَ أَصبحَ واهناً ... وأُخلف من ليلى الذي كنت آمُلُ
فلا الحبلُ من ليلى يُواتيك وصلُه ... ولا أنت تنْهى القلب عنها فيَذهَلُ

عَروضه من الطويل ، الشعرُ لنُصيب الأصغر مولى المَهديّ ، والغناء ليحيى المكّيّ خفيف رَمَل بالبنصر ، وكذا نَسَبَتْهُ بذل إليه .

وذكر عَمرو بن بانة في نسخته أنّ خفيف الرَّمل لمالك وأنّه بالوسطى ، والصحيح أنّه لابن المكّيّ .

[500] ـ أخبار نُصيْب الأصغر

[نشأته]

نُصيب مولى المهديّ ؛ عبدٌ نشأ باليمامة ، واشتُريَ للمَهديّ في حياة المنصور : فلمّا سمع شعره قال : والله ما هو بدون نُصيب مولى بني مَروان ، فأعتقه ، وزوَّجه أمةً له يقال لها : جعفَرَة . وكناه أبا الحَجْناء ، وأَقطعه ضيعةً بالسواد ، وعُمِّر بعدَه .

[يمدح الرشيد]

وهذه القصيدةُ يمدحُ بها هارون الرشيد ، وهي من جيّد شعره وفيها يقول : [من الطويل]

خليـلـيَّ إنّـي مـا يزالُ يشوقُني ... قَطينُ الحِمَـى والظاعـنُ المتحمِّلُ

فأقسمتُ لا أنسى ليـالِيَ مَنعِجٍ ... ولا مأسَلٍ إذ منزلُ الحيّ مأسَلُ[1]

أمـن أجـل آياتٍ ورسم كأنّه ... بَقيـة وحْـيٍ أو رداءٌ مُسَلسَلُ[2]

جرى الدّمعُ من عينيكَ حتى كأنّه ... تحـدُّر دُرٍّ أو جُمـانٌ مُفصَّلُ

فيا أيُّها الزنجيُّ ما لـكَ والصِّبا ... أفقْ عن طِلابِ البِيض إن كنت تعقِلُ

فمثلكَ من أُحبوشة الزَّنج قُطِّعت ... وسائـلُ أسبـابٍ بهـا يُتَوسَّلُ[3]

قصدنـا أميرَ المؤمنـين ودونَـه ... مهامُه مَوماةٍ مـن الأرض مَجْهَلُ

على أرحبيّاتٍ طوى السيرُ فانطوتْ ... شمائلُهـا ممّـا تُحَـلُّ وتُرْحَلُ[4]

إلى ملـكٍ صَلْت الجَبـين كأنّه ... صَفيحَةُ مَسنون جلا عنه صَيقلُ[5]

---

1 منعج : واد يدفع في بطن فلج ، حدثت به واقعة من أيّام العرب . مأسل : دارة من دارات العرب ، ذكرت في شعر لبيد .

2 مسلسل : رديء النسج .

3 أحبوشة : جماعة الناس ليسوا من قبيلة .

4 أرحبيات : نجائب منسوبة إلى أرحب ، فحل من فحولهم .

5 صلت : واضح .

إذا انبلَج البابانِ والسترُ دونَه بَدا مثلَ ما يبدو الأغرُّ المحجَّلُ
شريكانِ فينا منهُ عينٌ بَصيرة كَلوءٌ وقلبٌ حافظ ليسَ يغفُلُ
فما فاتَ عينيْه وعاهُ بقلبه فآخِرُ ما يرعى سواءٌ وأوَّلُ
وما نازعت فينا أُمورَك هفْوَةٌ ولا خَطلة في الرأي والرأْي يَخطَلُ
إذا اشتبهتْ أَعناقُه بيَّنت له معارفُ في أَعجازِهِ وهْو مُقبلُ
لئن نالَ عبدُ اللهِ قبلُ خِلافةً لأَنتَ من العهدِ الذي نِلتَ أَفضلُ
وما زادكَ العهدُ الذي نلتَ بسطةً ولكن بتقوى الله أَنتَ مُسربَلُ
وريثَ رسولَ الله عُضْواً ومَفصِلاً وذا من رسول اللهِ عُضوٌ ومَفصِلُ
إذا ما دهتْنا من زمانٍ مُلمَّةٌ فليس لنا إلاَّ عليكَ المعوَّلُ
على ثقةٍ منّا تَحِنُّ قلوبنا إليكَ كما كُنَّا أَباكَ نُؤمِّلُ

وهي قصيدة طويلة ، هذا مختار من جميعها .

[يبذر في مال المهدي فيوثقه بالحديد]

أَخبرني الحسنُ بن عليٍّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني أبي ، قال : وجَّه المهديُّ نُصَيْباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبلٍ مَهرِيَّة ، ووجَّه معه رجلاً من الشيعة ، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألفَ دينار ، قال : فمدَّ أبو الحجناء يدَه في الدّنانير يُنفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجواري والتزويج ، فكتب الشيعيُّ بخبره إلى المهديّ ، فكتب المهديُّ في حَمْلِه مُوثَقاً في الحديد .

[يتشفع بشعره إلى المهدي]

فلمّا دخل على المهديّ أَنشده شعْرَه : وقال : [من الطويل]

تأوَّبني ثِقلٌ من الهمِّ مُوجِعُ فأرَّق عَيْني والخَلِيُّون هُجَّعُ
هُموم تَوالتْ لو أَطافَ يَسيرُها بِسَلْمى لظلَّتْ شُمُّها تتصدَّعُ
ولكنَّها نيطتْ فَناءَ بحملها جَهيرُ المنايا حائنُ النَّفس مجزعُ
وعادتْ بلادُ الله ظلماءَ حِندِساً فخِلتُ دُجى ظلمائها لا تَقشَّعُ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

إليــكَ أميرَ المؤمنين ولم أجِدْ ... سواك مُجيراً منكَ يُدني ويَمنعُ

تلمّستُ هل من شافعٍ لي فلم أجِدْ ... سوى رحمةٍ أعطاكها اللهُ تَشفعُ

لئن جلّت الأجْرامُ منّي وأفظعتْ ... لَعفوُكَ عن جُرمي أجلُّ وأوسعُ

لئن لم تسعْني يا ابنَ عمِّ محمد ... لَمَا عجزتْ عنّي وسائلُ أربعُ

طبِعت عليها صبغةً ثم لم تَزَلْ ... على صالحِ الأخلاقِ والدِّينُ تُطبَعُ

تغابيكَ عن ذي الذنبِ ترجو صلاحَهُ ... وأنت ترى ما كان يأتي ويصْنَعُ

وعفوكَ عمَّن لو تكونُ جريمةٌ ... لطارتْ به في الجوِّ نكباءُ زَعزَعُ

وأنَّكَ لا تنفكُّ تُنعِش عاثِراً ... ولم تعترضْه حين يكبو ويخْمَعُ[1]

وحلمكَ عن ذي الجهل من بعدما جرى ... به عَنَقٌ من طائش الجهل أشنعُ[2]

ففيهنَّ لي إمَّا شَفَعْن منافعٌ ... وفي الأربع الأولى إليهنَّ أفزَعُ

مُناصحتي بالفعلِ إن كنت نائياً ... إذا كان دانٍ منك بالقولِ يَخدَعُ

وثانيةٌ ظنّي بك الخيرَ غائباً ... وإن قلتَ عبدٌ ظاهر الغشِّ مُسبَعُ[3]

وثالثةٌ أنّي على ما هَوِيتَه ... وإن كثَّر الأعداءُ فيَّ وشنَّعوا

ورابعةٌ أنّي إليكَ يسوقُني ... ولائي فمولاكَ الذي لا يُضيِّعُ

وإنّي لمولاكَ الذي إن جفوتَه ... أتى مستكيناً راهباً يَتضرَّعُ

وإنّي لمولاكَ الضعيفُ فأعْفني ... فإنّي لعفوٍ منكَ أهلٌ وموضعُ

[المهدي يقبل الشفاعة ويجيزه ويزوّجه]

فقطع المهديُّ عليه الإنشادَ ، ثم قال له : ومَنْ أعتقك يا ابن السوداء ! فأومأ بيده إلى الهادي ، وقال : الأمير موسى يا أمير المؤمنين ، فقال المهديُّ لموسى : أعَتقْته يا بُنيَّ ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، فأمضى المهديُّ ذلك وأمر بحديده ، ففُكَّ عنه ، وخلعَ عليه عِدّةً من

1 يخمع : يعرج في المشي .

2 العنق : ضرب من السّير .

3 مسبع : خبيث .

الخِلَع الوشْي والخزّ والسوادِ والبياضِ ، ووصله بألفيْ دينار ، وأمر له بجارية يقال لها : جعفرة جميلة فائقةٍ من رُوقة[1] الرقيق .

فقال له سالم قيِّمُ الرقيق : لا أُدفعها إليكَ أو تعطِيَني ألف دِرهم ، فقال قصيدته : [من البسيط]

أآذنَ الحيُّ فانصاعوا بتَرحالِ فهاج بينهمُ شوقي وبلبالي

وقام بها بين يديّ المهديّ فلمّا قال :

ما زلتَ تبذل لي الأموالَ مجتهداً حتى لأصبحتُ ذا أهلٍ وذا مالِ

زَوَّجْتَني يا ابنَ خير النّاس جاريةً ما كان أمثالُها يُهدَى لأمثالي

زوَّجتَني بضَّةً بيضاءَ ناعمةً كأنَّها دُرَّة في كفِّ لآلِ

حتى توهَّمتُ أن اللهَ عجَّلَها يا ابنَ الخلائفِ لي من خيرِ أعمالي

فسالَني سالِمٌ ألفاً فقلتُ له أنَّى ليَ الألفُ يا قُبِّحتَ مِن سالِ

أراد : من سائل ، كما قالوا : شاكي السلاح وشائك .

هيهات أُلفُكَ إلاّ أن أجيء بها من فضل مولًى لطيفِ المَنِّ مِفْضالِ

فأمر له المهديُّ بألف دينار ولسالم بألف دِرهم .

[ابنته تبكي حين رأته مقيداً]

قال ابن أبي سعد : وحدَّثني غير محمد بن عبد الله ؛ أنّه حُبس باليمن مدةً طويلةً ، ثم أُشخِص إلى المهديّ ، فقال وهو في الحبس ، ودخلتْ إليه ابنَتُه حَجْناءُ ، فلمّا رأت قيوده بكت ، فقال : [من الطويل]

لَقد أصبحَتْ حَجناءُ تبكي لوالدٍ بِدَرَّة عَين قلَّ عنه غناؤها

أحجناءُ صبراً ، كلُّ نفس رهينةٌ بموتٍ ومكتوبٌ عليها بَلاؤها

أحجناءُ أسبابُ المنايا بمرصدٍ فإلاَّ يعاجِلْ غَدْوُها فمسَاؤها

أحجناءُ إن أُفلِتْ من السجنِ تَلْقَني حُتوفُ منايا لا يُرَدُّ قَضاؤها

---

1 روقة الرقيق : جمع رائقة ، أي حسان الرقيق .

أُحجناءُ إن أُضحـى أُبوكِ ودلوْه ... تعرّتْ عُـراً منها ورثَّ رِشاؤها
لقد كان يُدْلي في رجـالٍ كثيرة ... فيمتَح مَلأى وهي صفرٌ دِلاؤها
أحجناء إن يصبحْ أبوكِ ونفسُه ... قليـلٌ تَمنِّيهـا قصيـرٌ عَزاؤها
لقـد كان في دنيـا تفيّأَ ظِلُّها ... عليـه ومجلـوبٌ إليـه بَهاؤها

[يمدح ثمامة العبسي]

قال ابن أبي سعد : ولمّا دخل نُصَيْب على المهديّ مُقيَّداً رَفَدَه ثمامةُ بن الوليد العبسيّ عنده واستعطفه له ، وسوَّغ عذره عنده ، ولم يزل يرفُقُ به ، حتى أمر بإطلاقه ، وكان نُصَيب في متقدّم الأيّام منقطعاً إلى أخيه شَيبة فقال فيه : [من الكامل]

أثُمامُ إنّـك قـد فككت ثُماما ... حَلَقـاً بريْـن من النُّصيبِ عظاما
حَلَقـاً توسَّطهـا العمودُ فلزَّها ... لـولا ثمامـةُ والإلـهُ لداما[1]
اللهُ أنقـذني بـه مـن هُـوَّةٍ ... تيهـاءَ مُهلكـةٍ تكـونُ رِجاما
فلأشكرنَّك يـا ثمامةُ ما جرتْ ... فِـرقُ السحاب كَنَهْورا ورُكاما[2]
ولأشكرنَّك يـا ثمامةُ ما دعتْ ... وُرقُ الحمـام على الغُصون حَماما
وخلفْتَ شيبةَ في المقـامِ ولا أَرى ... كمقـام شيبةَ في الرِّجـالِ مَقاما
أغنى إذا التمس الرجـالُ غَناءه ... في كلِّ نازلـةٍ تكـون غَراما
وأعـمُّ منفعـةً وأَكـرمُ حائطاً ... تهـدِي إليـه تحيَّـة وسلاما
لا يبعـدَنَّ ابـنُ الوليـد فإنّـه ... قـد نال من كلِّ الأُمورِ جِساما[3]
لو مِن سوى رَهـط النبيِّ خليفةٌ ... يُدعـى لكـان خليفـةً وإماما

[يبكي شيبة أخا ثمامة]

قال ابن أبي سعد : ودخل نُصيب على ثُمامة بعد وفاة أخيه شيبة ، وهو يفرِّق خيلَه على النّاس ، فأمر له بفرس منها ؛ فأبى أن يقبله ؛ وبكى ، ثم قال : [من البسيط]

---

1 لزّها : ألصقها .
2 كنهوراً : قطعاً من السحاب . ركاما في ل : جهاما وهو سحاب لا يمطر ، والركام : المتراكم المتجمع .
3 نال من كل الأمور في ل : قد كان نال من الأمور .

يا شيبةَ الخيرِ إمَّا كنتَ لي شَجَناً ... آليتُ بعدك لا أبكي على شَجنِ
أضحَتْ جيادُ أبي القعقاع مُقْسَمةً ... في الأقربين بلا مَنٍّ ولا ثَمنِ[1]
ورَّثْتهم فتعزَّوا عنك إذ وَرِثوا ... وما ورِثْتُك غيرَ الهمّ والحَزَنِ

فجعَل ثُمامة ومَنْ عنده حاضرٌ من أهله وإخوانه يبكون .

وشَيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهديّ .

[اليزيديّ يهجو شيبة]

وفي شَيبة يقول أبو محمد اليزيديّ يهجوه ، وكان عارضَه في شيء من النحو بحضرة المَهديّ : [من الخفيف]

عِشْ بِجَدٍّ فلن يضرَّك نَوْكٌ ... إنّما عيشُ مَن ترى بالجُدودِ
عِشْ بجَدٍّ وكن هبنَّقَةَ القيـ ... ـسيَّ جهلاً أو شَيبة بنَ الوليدِ

أخبرنا بذلك محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ عن عمّه عن أبيه .

[يهجو مَن لا يجيزه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن بشر البَجَليّ عن النضْر بن طاهر قال : أتى نُصيبٌ مولى المهديّ عبدَ الله بن محمد بن الأشعث ، وهو يتقلَّد صنعاء للمهديّ ، فمدحه ، فلم يُثِبه ، واستكساهُ بُرداً فلم يَكسُه ، فقال يَهجوه : [من الطويل]

سأكسوكَ من صنعاءَ ما قد كسوتَني ... مقطَّعةً تَبقى على قِدم الدَّهرِ
إذا طُويتْ كانتْ فُضوحُك طَيَّها ... وإن نُشرتْ زادتْك خِزياً على النَّشرِ[2]
أغرّك أن بيَّضْتَ بيتَ حمامةٍ ... وقلت : أنا شبعانُ منتفجُ الخَصْرِ[3]
لقد كنتَ في سَلْحٍ سَلَحْتَ مخافةَ الـ ... ـحرُوريّة الشّارين داعٍ إلى الضرّ[4]

---

1 مَنّ في ل : حمل .

2 خزياً في ل : طيّاً .

3 منتفج : مرتفع .

4 الحرورية : طائفة من الخوارج في اليمن ، كانت من أتباع نجدة بن عويمر .

ولكنّـهُ يأبـى بـك البهـرُ كُلّمـا جريتَ مع الجاري وضيقٌ من الصدرِ[1]

[مساجلة حول فرس]

قال النضْر : وكان النُّصيب مَلعوناً ، هَجّاء ، فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثيّ فَرساً فَقبِله ، ثم ندِم خوفاً منْ ثِقَل الثواب ، فجعل يَعِيب الفرس ، ويذكر بُطأه وعجْزه ، فبلغ ذلك النُّصيب ، فقال : [من الوافر]

أعبتَ جوادنـا ورغبتَ عنـه وما فيـه لعمرُكَ مِن مَعابِ
وما بجوادنـا عجـزٌ ولكن أظنُّك قد عجزتَ عن الثوابِ

فأجابه الربيعُ فقال : [من الوافر]

رُوَيدَك لا تكـن عَجِلاً إلينا أتـاك بما يسوءك من جوابِ
وجدتُ جوادَكم فَدْمـا بَطيئا فما لَكُمْ لَدينـا مـن ثَوابِ[2]

فلمّا كان بعد أيّام رأى النُّصيبُ الفرسَ تحتَ الربيع فقال له : [من الوافر]

أخذتَ مُشَهَّرا في كلّ أرض فعجِّـلْ يـا ربيعُ مشهَّراتي
يمانيَـةً تخيَّرهـا يَمـانٍ منمنَمـةَ البيـوت مُقطَّعاتِ
وجارِيَـةً أَضلَّـت والدَيْهـا مولَّـدةً وبِيضـاً وافيـاتِ
فعجِّلْهـا وأَنفِذْهـا إلينـا ودَعْنـا مـن بَناتِ التُّرَّهاتِ[3]

فأجابه الربيعُ فقال : [من الوافر]

بعثْـتَ بمقـرِفٍ حَطِـمٍ إلينا بطيء الحُضْر ثم تقولُ : هاتِ[4]

فقال النُّصيب : [من الرمل]

في سبيـل الله أَودى فَرَسي ثـم عُلِّلـتُ بـأَبيات هَـزَجْ
كنتُ أَرجو مـن ربيع فرجاً فإذا مـا عندَه لي مـن فَرَجْ

---

1 البهر : تتابع النفس من شدّة الجري وانقطاعه من الإعياء .
2 الفدم : الغليظ الجافي الأحمق .
3 الترهات : الأباطيل ومفردها ترهة .
4 المقرف : ليست أُمّه عربيّة ولا أُبوه . حطم : متكسر ، والحطم داء في قوائم الدابة والحضر : شدّة عدو الفرس .

[بيض الدراهم بدل بيض الغواني]

قال : ثم خرج الرَّبيعُ إلى مكّة ، وقد كان وعد النُّصيبَ جاريةً ، فلم يعطه ، وأمر ابنه أن يدفع إليه ألفَي دِرهم ففعل ، فقال النُّصيب : [من الطويل]

ألا أبلغا عَنّي الربيعَ رِسالةً ربيعَ بني عبد المَدانِ الأكارمِ
أعـزَّتْ عليكَ البيضُ لمّا أرغتُها فرُغتَ إلى إعدادِ بِيض الدراهمِ[1]
ألم تَرَ أنّي غيرُ مستطرَفِ الغِنى حديث وأنّي من ذُؤابة هاشِمِ
وأنّك لم تهبطْ من الأرضِ تَلعةً ولا نجوةً إلاّ بعهدي وخاتَمي

[شعر حول طبق تمر]

قال : ثم قدِم الربيعُ فأهدى إلى دُفافَة بن عبد العزيز العَبسيّ طبق تمر ، فقال فيه دُفافة : [من الطويل]

بعثتَ بتَمرٍ في طُبيقٍ كأنّما بعَثت بياقوتٍ توقَّدَ كالجَمْرِ
فلو أن ما تُهدِي سنيّاً قَبِلتُه ولكنّما أهديتَ مثلَك في القَدرِ
كأنّ الذي أهديتَ من بُعدُ شُقَّةٍ إلينا من المُلقى على ضِفَّة الجِسْرِ

فأجابه الربيعُ فقال : [من الطويل]

سَل الناسَ إما كنتَ لا بدَّ طالباً إليهم بألاّ يحملوك على القَدْرِ
فإنّك إن تُحمَلْ على القَدْرِ لا تَنَل يَدَ الدّهرِ مِن بَرٍّ فَتيلا ولا بَحرِ
لقد كنتَ منّي في غَدير وروضة وفي عَسل جَمٌّ وما شئتَ من خمرِ
وما كنتُ منّاناً ولكنْ كفَرْتني وأظهرتَ لي ذَمّاً فأظهرتُ من عذري
لعَمْري لقد أُعطِيتَ ما لستَ أهلَه ولا أهلَ ما يُلْقى على ضِفَّة الجِسْرِ

فبلغتْ أبياتهُما نُصيباً ، فشمت بالربيع ، وقال فيه هذه القصيدة : [من الطويل]

رضيتُكما حِرصاً وَمنعاً ولم يكن يَهِيجُكما إلاّ الحقيرُ من الأمرِ
متى يجتمعْ يوماً حريصٌ ومانع فليس إلى حمدٍ سبيلٌ ولا أجرِ

---

1 أرغتها : طلبتها . رغت : مِلْت وحُدْتَ .

أحارِ بن كعبٍ إنَّ عبساً تغَلغلَتْ إلى السرِّ من نَجران في طلب التَّمْرِ
فكيفَ تَرى عبساً وعبسٌ حريصةٌ إذا طمِعَتْ في التَّمرِ من ذلك العُبْرِ[1]
لقــد كُنتمـا في التَّمـرِ لله أنتُما شبيهيْن بالمُلقى على ضِفَّـة الجِسرِ

[يرتجل مطولة في مدح الفضل بن يحيى]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيد النحويّ ، قال : حُدِّثت من غير وجه : أنَّ النُّصيب دخل على الفضْل بن يحيى بن خالد مسلِّماً ، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه ، فهم يُنشِدونه ، ويأمر لهم بالجوائز ، ولم يكن امتدحـه ، ولا أعدَّ له شيئاً . فلمّا فرغوا ، وكان يُرَوّي قولاً في نفسه ، استأذن في الإنشاد ، ثم أُنشدَ قصيدته التي أوّلها قَولُه : [من الكامل]

طرقتْك ميَّـةُ والمزار شَطِيب وتُثيبكَ الهجرانَ وهْي قريبُ
لله ميــةُ خُلَّــةً لـو أنَّهـا تجزي الوِداد بوُدِّها وتُثيبُ
وكأنّ ميَّةَ حين أُتلـع جيدُها رشأ أغـنُّ مـن الظِباء ربيبُ
نصفان ما تحت المؤَّزر عاتِكٌ دِعْصٌ أغرُّ وفوقَ ذاك قضيبُ[2]
مـا للمنازل لا تكــاد تجيبُ أنى يُجيبكَ جَنــدلٌ وجَبُوبُ[3]
جادتْك من سَبَل الثريا دِيمةٌ ريَّا ومـن نَوءِ السِّماكِ ذَنوبُ
فلقد عهدتُ بك الحِلال بِغبطة والدَّهر غضٌّ والجَنابُ خصيبُ
إذ للشباب عليَّ من وَرق الصِّبا ظِلٌّ وإذ غُصْن الشباب رطِيبُ
طرِبَ الفؤادُ ولاتَ حين تطرُّبِ إن الموكَّـلَ بالصِّبـا لَطروبُ
وتقول ميَّـةُ ما لِمثلكَ والصِّبا واللون أسودُ حالكٌ غِرْبيبُ
شاب الغرابُ وما أَراكَ تَشيبُ وطلابُكَ البيضَ الحسانَ عجيبُ
أعلاقَــةٌ أُسبابهُـنَّ وإنَّمـا أفنانُ رأْسكَ فُلفُـل وزَبيبُ

1 العُبْر من الشيء : الكثير .
2 العاتك : الخالص من الألوان المحمر من الطيب .
3 جبوب : وجه الأرض الصلب .

لا تَهزئي منّي فَرُبَّتَ عائبٍ ما لا يعيبُ الناسَ وهو معيبُ
ولقد يصاحِبُني الكرامُ وطالَما يسمـو إليَّ السيّـدُ المحجُوبُ
وأجُـرُّ مـن حُلَل الملوكِ طَرائفا منها علـيَّ عصائبٌ وسَبيبُ[1]
وأُسالبُ الحسناءَ فضلَ إزارها فأصورُها وإزارُها مسلوبُ[2]
وأقـول منقوح البـدِيّ كأنّه بـردٌ تَنافسه التُّجـارُ قَشيبُ[3]

يقولُ فيها في مدح الفضل :

والبرمكـيُّ إذا تقـارب سنُّه أو باعدَتـه السنُّ فهو نجيبُ
خرِقَ العطاء إذا استهلَّ عطاؤُه لا مُتبعٌ منّـاً ولا مَحسوبُ
يا آل برمكَ مـا رأينا مثلَكمْ مـا منكـمُ إلاّ أغرُّ وَهوبُ
وإذا بدا الفضلُ بنُ يحيى هِبْتُهُ لِجلالـه إنَّ الجليـلَ مَهيبُ
قاد الجيادَ إلى العِـدا وكأنّها رَجْلُ الجراد تَسوقهنَّ جَنُوبُ
قُبّـاً تُباري في الأعنَّـةِ شُزَّبا تَدَعُ الحُزونَ كأنّهنَّ سُهوبُ[4]
من كلّ مضطرِب العِنان كأنّه ذِئـب يبادرُه الفريسةَ ذِيبُ
تهـوِي بكـلٍّ مغاورٍ عاداتُـه صِدقُ اللقاء فما لَـه تكذيبُ
حتى صَبَحن الطالبيَّ بعارضٍ فيـه المنايـا تَغْتَدِي وتَئُوبُ
خاف ابنُ عبد الله مـا خوَّفتَه فجفاكَ ثـم أتاك وهو مُنيبُ
ولقـد رآك المـوتُ إلاّ أنَّه بالظنِّ يُخْطِيء مـرّة ويُصيبُ
فرمى إليكَ بنفسه فنَجـا بها أجـلٌ إليـه يَنتهـي مكتوبُ
فكسوتَه ثـوبَ الأمان وإنَّه لا حبلُـه واهٍ ولا مقضوبُ
شِمنا إليكَ مَخيلـةً لا خُلَّبـاً في الشَّيم إذ بعضُ البروق خَلوبُ

---

1 سبيب : جمع سبيبة وهي شقة رقيقة من الثياب ، وقيل من الكتان خاصة .

2 أصورها : أميلها .

3 البدي : البديهة . ومنقوح الكلام ، مهذبه ومحرره وفي ل : مقترح .

4 قبا : ضوامر ، مفرد أقب أو قباء . شزباً : خشنة يابسة ، جمع شازب .

إنّا علـى ثِقـةٍ وظنٌّ صادقٍ مِمّـا نؤمّلـه فليسَ نَخيبُ

[يجيزه الفضل فيشكره]

قال : فاستحسنها الفضلُ ، وأمر له بثلاثين ألفَ دِرهم ، فقبضَها ، وَوَثب قائماً ، وهو يقول : [من البسيط]

إنّي سأمتدحُ الفضلَ الذي حُنِيَت منّـا عليه قُلـوبُ البِرِّ والضِّلَعُ

جـاد الربيـعُ الذي كنّـا نؤمِّلُه فكلُّنـا بربيـع الفضْـلِ مـرتَبعُ

كانت تطولُ بنا في الأرضِ نجعتُنا فاليوم عنـد أبـي العبّاس نَنْتَجعُ

إن ضاق مذهبُنا أو حـلَّ ساحتَنا ضَنكٌ وأزْم فعند الفضلِ متَّسَعُ[1]

ما سلَّم اللهُ نفسَ الفضل من تلَفٍ فما أُبالي أَقـام النّاسُ أم رَجعُوا

إن يمنعوا مـا حوتْ منّا أكفُّهمُ فلن يضرَّ أبـا الحجناء ما مَنَعُوا

أو حلَّأُونا وذادوا عـن حياضِهُم يومَ الشروع ففي غُدْرانِكَ الشُّرَعُ[2]

يا ممسكاً بِعُرا الدُّنيـا إذا خُشِيَت منهـا الزلازلُ والأمرُ الذي يقعُ

قد ضرَّسَتْك الليالي وهـي خاليةٌ وأحْكَمَتْكَ النهى والأزلَمُ الجَذَعُ[3]

فغادرا منك حَزنـاً عن مُعاسرةٍ سهلَ الجنابِ يسيراً حـين يتَّبَعُ

لم يفتلِتْـك نقيراً عـن مُخادعة دَهْـيُ الرّجال وللسؤّالِ تَنخدعُ[4]

فأنـت مضطلِعٌ بـالملكِ تَحملـه كما أبـوك بِثقل المُلك مُضطلِعُ

[يمدح زبيدة في موسم الحج]

قال ابن أبي سعد : لمّا حجّتْ أُمّ جعفر زُبيدةُ لَقِيَها النُّصيب ، فترجّل عن فرسه وأنشأ يقول : [من الطويل]

سيستبشر البيتُ الحـرامُ وزمـزَمٌ بـأُمٌ وليِّ العهـدِ زيـنِ المـواسمِ

---

1 أزم : شدة .

2 حلأُونا : منعونا الشرب .

3 الأزلم الجذع : معناهما الدهر الكثير البلايا الذي لا يهرم .

4 دهي : أي الدهاء ، وهو جودة الرأي والبصر بالأمور .

ويعلم مَـنْ وافـى المحصَّب أنّها ستحمل ثِقل الغُرم عن كلّ غارمِ[1]

بنـو هاشم زيـنُ البريـة كلِّها وأمٌّ وليّ العهـد زيـنٌ لهاشمِ

سلِيلةُ أمـلاكٍ تفرَّعـت الذُّرى كـرامٍ لأبنـاء الملـوك الأكارمِ

فوالله مـا نَدري : أفضلُ حديثِها عليهـم بـه تَسمـو أم المُتقادمِ

يظـنّ الذي أعطتْه منهـا رغيبةً يقصّ عليـه النـاسُ أحلامَ نائمِ

فأمرتْ لـه بعشْرة آلاف درهـم وفرس ، فأعطيَه بـلا سرج ؛ فتلقّاها لمّا رحلتْ وقـال : [من الوافر]

لقـد سادتْ زُبيدةُ كلَّ حـيٍّ وميْتٍ مـا خلا الملكَ الهُماما

تُقًى وسماحـةٌ وخلوصُ مَجد إذا الأنسابُ أُخلصتِ الكراما

إذا نزلـتْ منازلَهـا قريشٌ نزلـتِ الأنفَ منها والسَّناما

بلغْتِ من المفاخـر كلَّ فخرٍ وجاوزْتِ الكلامَ فـلا كلاما

وأعطيتِ اللُّهـى لكـنَّ طِرْفي يريـدُ السَّرجَ منكم واللّجاما

فأمرت له بسَرج ولِجام .

[الحجناء ابنته تنشد المهدي]

قال ابنُ أبي سعد : خرج المهديّ يتنزّه بعيسى باذ[2] ، وقدِم النُّصيبُ ، ومعه ابنتُه حجْناء ، فدخل على المهديّ ، وهي معه ، فأنشدته قولَها فيه : [من الخفيف]

رُبَّ عيش ولـذّةٍ ونعيـم وبهـاء بمشرِق المَيْـدانِ

بسط اللهُ فيـه أبهـى بِساط مـن بَهـار وزاهـر الحَوْذانِ[3]

ثم من ناضرٍ من العُشْب الأخْـ ـضَرِ يزهـو شقائقَ النُّعمانِ

مـدَّه اللهُ بـالتَّحاسين حتـى قَصُرت دون طولـه العَينانِ[4]

---

1 المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .

2 عيسى باذ : محلة كانت بشرقي بغداد .

3 بهار : نبت طيب الرائحة . الحوذان : بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر طيب الرائحة أيضاً .

4 التحاسين : جمع تحسين وهو ما وضع للزينة .

خُفِّفَتْ حافتاه حيثُ تَناهى بخيامٍ في العَين كالظُّلْمانِ
زيَّنوا وسطَها بطارمةٍ مِثْـ ـلِ الثريَّا يَحفُّها النَّسرانِ[1]
ثم حَشْوُ الخيام بيضٌ كأمْثا لِ المَها في صَرائم الكُثْبانِ[2]
يتجاوبْنَ في غِناء شَجِيٍّ «أَسْعِداني يا نخلَتَيْ حُلوانِ»[3]
فبقصر السلام من سَلَّم اللـ ـهُ وأبقى خليفةَ الرحمنِ
ولديه الغِزلانُ بل هنَّ أبهى عنده من شَوادِنِ الغِزْلانِ
يالَه منظراً ويومَ سرورٍ شهدتْ لذَّتيه كلُّ حَصانِ

فأمر لها المهديّ بعشرة آلاف دِرهم ، وله بمثلها .

[الحجناء تمدح العباسة بنت المهدي]

قال : ثم دخلت الحَجناءُ على العبَّاسة بنت المهديّ ، فأنشدتها تقول : [من الطويل]

أتيناكِ يا عبّاسةَ الخير والحيا وقد عَجَفَتْ أُدْمُ المهاري وكَلَّتِ[4]
وما تركتْ منّا السُّنونَ بقيّةً سوى رِمَّةٍ منّا من الجَهدِ رَمَّتِ
فقال لنا مَن ينصحُ الرأيَ نفسَه وقد ولَّت الأموالُ عنّا فقلَّتِ
عليكِ ابنةَ المهديّ عُوذي ببابها فإن محلَّ الخير في حيث حلَّتِ

فأمرتْ لها بثلاثة آلاف درهم وكُسوة وطِيب ، فقالت : [من البسيط]

أغنيتني يا ابْنةَ المهديِّ أيَّ غِنًى بأعجرين كثيرٌ فيهما الوَرَقُ

أي : اغنيتني على عقب ما أغناني أخوكِ . بأعجَرين : بكيسين .

من ضرب تسع وتسعينِ مُحَكَّكةٍ مثلِ المصابيح في الظَّلماء تأتَلِقُ

---

1 الطارمة : بيت من الخشب كالقبة .

2 صرائم الكثبان : جمع صريمة ، وهي قطعة من الرمل .

3 نخلتا حلوان : يطلق هذا الاسم على جملة قرى ، والمراد هنا حلوان العراق . وهذا الشطر في مطلع قصيدة مطيع بن إياس التي يقول فيه :

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكياني من ريب هذا الزمان

4 أدم : جمع أدماء ، أي لونها مشرب بياضاً أو سواداً .

أمّـا الحسودُ فقـد أمسى تغيُّظه غمّـاً وكادَ برَجْع الرِّيـق يَخْتَنِقُ
وذو الصداقة مسرورٌ بنـا فَرِحٌ بادي البِشارة ضاحٍ وجهُه شَرِقُ

[يمدح إسحاق بن الصباح]

وقال ابن أبي سعد : كان إسحاق بن الصباح الأشعثيّ صديقاً للنُّصيب ، وقدِم قدمة من الحجاز ، فدخل على إسحاق ؛ وهو يهب لجماعة وردوا عليه بُرّاً وتَمراً ، فيحملونه على إبلهم ويمضون ، فوهب لنصيب جارية حسناءَ يقال لها : مَسرورة ، فأردفها خلفَه ، ومضى وهو يقول : [من الطويل]

إذا احتقبوا بُـرّاً فأنـتِ حَقِيبتي من البشَرِيَّـاتِ الثقال الحَقائبِ[1]
ظفرتُ بهـا مـن أشعثيٍّ مهذَّبٍ أغرَّ طويـلِ الباع جـمٍّ المواهبِ
فدًى لكَ يـا إسحاق كلُّ مبخَّلٍ ضجورٍ إذا عضَّت شِدادُ النوائبِ
إذا مـا بخيـلُ القوم غيَّب مالَه فمالُـك عِـدٌّ حاضرٌ غيرُ غائبِ[2]
إذا اكتسب القـومُ الثَّراء فإنّما ترى الحمدَ غُنماً من كريمِ المكاسبِ

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

فتًى من بنـي الصَّبَّاح يهتزُّ للنَّدى كما اهتزَّ مَسنـونُ الغِـرار عتيقُ
فتى لا يذُمّ الضيفُ والجارُ رِفْدَه ولا يجتويـه صاحـبٌ ورَفيقُ[3]
أغـرُّ لأبنـاء السبيل مَـوارِدٌ إلى بيتـه تَهديهـمُ وطـريقُ
وإن عُـدَّ أنسابُ الملوك وجدتَه إلى نَسب يعلوهُـمُ ويَفـوقُ
فما في بني الصَّبَّاح إن بَعُد المَدى علـى النّـاس إلاّ سابـقٌ وعَريقُ
وإنّـي لِمَـنْ شاحَنْتُمُ لَمُشاحِنٌ وإنّـي لِمَـنْ صادقْتُـمْ لصَديقُ

[يمدح خزيمة بن خازم]

قال : وكان النُّصيبُ إذا قَدِم على المَهديّ استهداه القوّادُ منه ، وسألوه أن يأمره بزيارتهم ،

---

1 البشريات في ل : المسريات .

2 القوم في ل : المال . مالك عد : أي كثير ، ولعل تشبيه بالماء العد وهو الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر .

3 يجتويه : يكرهه .

فكان فيمن استزاره خُزَيمة بن خازم ، فوصله وحمله ، وقال فيه : [من الوافر]

وجدتُـك يـا خُزَيمةُ أَرِيحيّاً ... بما تحوي وذا حَسَبٍ صَمِيمِ
تميمٌ كانَ خيرَ بنـي معـدٍّ ... وأنتَ اليـومَ خيرُ بنـي تميمِ
سوى رهط النبيِّ وهـم أَديمٌ ... وأَنت قُدِدْتَ من ذاك الأَديمِ

وقال فيه أيضاً : [من البسيط]

يا أفضلَ الناسِ عُودا عند مَعْجَمِهِ ... إذا تَفاضلَ يومـاً مَعْجَـمُ العُودِ
إنِّي لواحدُ شعرٍ قـد عُرفتُ بـه ... وذا خزيمةُ أُضحى واحدَ الجودِ
إن يعطكَ اليوم معروفاً يعِدك غداً ... فأَنـت في نائـلٍ منـه وموعودِ
وقـد رأَينـا تميمـاً غير مُكْرهَـةٍ ... أَلقَـتْ إليـك جميعـاً بالمقاليدِ
فأَنـت أَكرمُهـا نفساً وأَفضَلُها ... إنّ الصناديـدَ أَبنـاءُ الصناديدِ

قال : وكان في غزاة سَمالو[1] مع المهديّ ، فوقف به فرسُه ، ومرَّ به جَعْدٌ مولى عبد الله بن هشام بن عمرو ، وبين يديه فرس يُجنَب[2] فقال له : قد تَرى قيام فرسي تحتي ، فاردُدْ إليَّ جَنِيبَك حتى يتروَّح فرسي ساعة ، فسكَتَ ، ولم يُجبْه فقال فيه : [من الطويل]

أُنادي بأَعلى الصوتِ جَعْدا وقد يَرى ... مكاني ولكن لا يُجيبُ ويَسْمَعُ
ولم يَـرَني أَهـلاً لحُسْنِ إجابـة ... ولا سُوئِهـا إنِّـي إلى اللهِ أَرجعُ
فلو أَنَّنـي جازيـتُ جَعْداً بِفِعله ... لقد لاح لي فيه من الشعرِ مَوضعُ
ولكنَّنـي جافيـتُ عنـهُ لِغيره ... بحُسْن الذي يأْتـي إليَّ ويَصْنَعُ
رأَيتـك لم تحفـظْ قرابَـةَ بيننـا ... وما زالتِ القُربى لدى الناسِ تَنْفَعُ

[لا يريد شريكاً]

قال : وسأَلَ عُبيدَ الله بن يحيى بن سليمان مركباً ، فأعطاه إيّاه ، وجعل معه شريكاً له فيه ، فقال : [من البسيط]

لقد مدحتُ عبيداً إذ طَمِعتُ بِهِ ... وقـد تملَّقْتُـه لـو ينفـعُ الملَقُ

---

1 سمالو : من ثغور الشام قرب المصيصة وطرسوس .

2 فرس يجنب : يُقاد إلى آخر .

فعاد يسأل ما أصبحتُ سائلَه ... فكلُّنا سائل في الحِرْص مُتَّفِقُ

أحينَ سار مديحي فيكم طُرُقاً ... وحيث غنَّتْ به الرُّكبانُ والرُّفَقُ

قطعتَ حبلَ رجاءٍ كنتُ آملُه ... فيما لديكَ فأَضحى وهو مُنْحَذِقُ[1]

قد كان أورَقَ عودي من أبيك فقد ... لَحيْتُ عُودي فجفَّ العُودُ والوَرَقُ

من نازع الكلبَ عَرْقاً يرتجي شِبَعاً ... كمصطلٍ بحريقٍ وهو يَحتَرِقُ[2]

[الفضل بن يحيى يستقلّ ما أعطاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال : كتب إليَّ أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول : أُنشدتُ الفضلَ بن يَحيى قولَ أبي الجَحْناء نُصَيْب : [من الكامل]

عند الملوكِ مَضرَّةٌ ومنافعُ ... وأرى البرامِكَ لا تضرُّ وتَنْفَعُ

إنّ العُروقَ إذا استسرَّ بها الثَّرى ... أَشِرَ النباتُ بِها وطابَ المَزْرَعُ[3]

فإذا نَكِرتَ من امرئٍ أعراقَه ... وقديمَه فانظرْ إلى ما يَصْنَعُ

قال : فأَعجبه الشعرُ ، فقال : يا أَبا محمد ، كأَنّي واللهِ لم أَسمعْ هذا القول إلاّ الساعة ، وما له عندي عيب إلاّ أنّي لم أكافئْه عليه . قال : قلتُ : وكيفَ ذلك أصلحكَ اللهُ ، وقد وهبتَ له ثلاثين ألفَ دِرهم ! فقال : لا والله ما ثلاثُون ألفَ دينار بمكافِئة له ، فكيفَ ثلاثون ألفَ درهم !

[جود الفضل جعل الناس كلّهم شعراء]

أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال : أخبرني أحمدُ بنُ سليمان بن أبي شيخ قال : كان أَبي يستملح قولَ نُصيب وقد رأى كثرةَ الشعراء على باب الفضل بن يحيى . فلمّا دخل الناس إليه قال له : [من الطويل]

ما لقينا من جودِ فضلِ بن يحيى ... تركَ الناسَ كلّهم شُعراءَ

1 منحذق : منقطع . وفي ل : منخرق .

2 عَرْقاً : عظماً .

3 أشر النبات : ازدهر .

ويقول : ما في الدُّنيا أَحسنُ من هذا المعنى ، وعلى أنّه قد أخذ منهم مالاً جليلاً ولكنْ قلّما سمعتُ بطبقته مثلَه .

صوت

[من الكامل]

طاف الخيالُ ولان حينَ تَطرُّبِ أَن زار طيف موهِناً مـن زَينبِ
طرقَتْ فنفَّرتِ الكَرى عـن نائمٍ كانـتْ وسادَتُه ذِراعَ الأرحبي[1]
فبكـى الشبابَ وعهـدَه وزمانَه بعد المشيبِ وما بُكاءُ الأَشيبِ

عَروضه من الكامل ، الشعر لأبي شُراعةَ القَيسيّ ، والغناء لدَعامة البَصريّ خفيف رَمَل بالبنصر من كتاب الهشاميّ .

1 الأرحبيّ : الجمل المنسوب إلى أُرحب ، وهي قبيلة من همدان .

[501] ـ أخبار أبي شراعة ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما كتب به إلينا ابنُه أبو الفيّاض سوّار بن أبي شُراعة من أخباره ونسبه ، أحمدُ بن محمد بن شُراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نُعَيم بن خالد بن عَبدة بن مالك بن مُرّة بن عبّاد بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل : شاعرٌ بصْريّ من شعراء الدولة العبّاسيّة جيِّدُ الشعر جزلُه ، ليس برقيق الطبع ، ولا سهل اللّفظ ، وهو كالبدويِّ الشعر في مذهبه ، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخُطَب مع شعره ، وكانت به لُوثة وهَوَج .

وأُمّه من بني تميم من بني العنبر ، وابنه أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة أحدُ الشعراء الرّواة ، قدِم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلثمائة ، فكتب عند أصحابُنا قِطعاً من الأخبار واللّغة ، وفاتني فلم أَلقه ، وكتب إليَّ وإلى أبي ، رحمه الله ، بإجازة أخباره على يدي بعض إخواننا ، فكانت أخبار أبيه من ذلك .

[يهب نعله ويمشي حافياً]

فمنها ما حكاه عنه أنّه كان جواداً لا يُليقُ[1] شيئاً ، ولا يُسأَلُ ما يقدر عليه إلاّ سَمحَ به ، وأنّه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنَعْلِه وانصرف حافياً ، فعَثَر فَدَمِيتْ إصبعُه فقال في ذلك : [من الطويل]

أَلا لا أُبالي في العُـلا مـا أُصابني ... وإن نَقِبت نَعلاي أو حَفِيتْ رِجْلي[2]

فلم تَرَ عَيْني قَـطُّ أَحسنَ منظَراً ... من النكْبِ يدمى في المواساةِ والبذلِ[3]

ولستُ أُبالي مَـنْ تـأَوَّبَ منزلي ... إذا بقيتْ عندي السراويلُ أو نَعْلي[4]

---

1 لا يُليق : لا يمسك .

2 نقبت نعلاي : رقّت أو ثقبت .

3 من النكب يدمى : وهو صدم الحجارة الرِّجل .

4 تأوب منزلي : زارني ليلاً .

[أخوه يقول إنّه مجنون فينشد شعراً]

قال : وبلغه أنّ أخاه يقول : إنّ أخي مجنون ، قد أفقرَنا ونفسَه ، فقال : [من الطويل]

أأُنبَزُ مَجنوناً إذا جُـدتُ بالذي ملكتُ وإن دافعـت عنـه فعاقِلُ
فداموا على الزُّورِ الذي قُرِفوا به ودمتُ على الإعطاءِ ما جاءَ سائلُ[1]
أبيتُ وتأبـى لي رجـالٌ أشحّـةٌ على المجدِ تنميهـم تميمٌ ووائلُ[2]

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

أئِـنْ كنـتُ في الفتيانِ آلوت سيدا كثيرَ شحوب اللون مختلِفَ العَصْبِ
فما لَكَ مـن مـولاك إلاّ حفاظُهُ ومـا المـرءُ إلاّ باللسان وبالقلبِ
هما الأصغران الذائـدانِ عـن الفَتى مكارِهَـه والصاحِبـانِ على الخَطْبِ
فإلاّ أُطِـقْ سعـيَ الكـرام فإنّني أفكُّ عـن العاني وأُصْبِرُ في الحَرْبِ

[قصة لحن]

أخبرني عمّي قال : أخبرني مَيمونُ بنُ هارون قال : حدَّثني إبراهيم بن المدَبِّر قال : كان عندي أبو شُراعةَ بالبَصرة ، وأنا أتولاَّها ، وكان عندي عمير المغنّي المدنيّ ، وكان عُمير بنُ مرّة غَطَفانيّاً ، وكان يغنّي صوتاً يُجيدُه ، واختاره عليه وهو : [من الطويل]

أتحسِبُ ذاتَ الخـالِ راجيةً رَبّـاً وقد صدعتْ قلباً يُجَنُّ بها حُبّا

فاقترحه أبو شُراعةَ على عُمَير ، فقال : أعطِني دَراهمَ ، حتى أَقبلَ اقتراحكَ ، فقال له أبو شُراعةَ : أخْذُ المغنى من الشاعر يدلُّ على ضعف الشاعر ، ولكنّي أعرضُك لأبي إسحاق ، فغنّاه إيّاه ثلاث مرّات وقد شَرِبَ عليه ثلاثةَ أرطال . وقال : [من الطويل]

عدوْتُ إلى المُـريِّ عـدوةَ فاتِكٍ مِعـنّ خليـع للعـواذل والعُذْرِ[3]
فقال لشيء ما أرى قلتُ : حاجةٌ مُغَلغلـة بـين المخنَّـق والنَّحرِ[4]

---

1 قرفوا به : وصموا .
2 رجال أشحة : جمع شحيح ، أي بخيل .
3 مِعنّ : مبالغ في العناء والتجشّم .
4 مغلغلة : داخلة ممعنة . المخنق : موضع الخناق .

فلمّا لواني يَسْتثيب زَجرتُه وقلت : اغتَرِفْ إنّا كلانا على بَحْرِ
أليس أبو إسحاقَ فيه غِنًى لَنا فيُجدي على قَيسٍ وأُجدِي على بكرِ
فغنّى بذات الخالِ حتى استخفّني وكاد أديمُ الأرض مَن تحتنا يَجرِي

[ابن المدبّر يعطيه عشرة آلاف درهم]

حدَّثني عليٌّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد المبرّد قال : كان أبو شُراعةَ صديقاً لابن المدبّر أيّامَ تقلّده البصرة ، وكان لا يُفارقه في سائر أحواله ، ولا يمنعه حاجة يسأله إيّاها ، ولا يشفَع لأحد إلاّ شفَّعه ، فلمّا عُزِلَ إبراهيم بن المدبّر شيَّعه النّاس ، وشيَّعه أبو شُراعةَ ، فجعل يردُّ الناسَ ، حتى لم يبقَ غيرُه ، فقال له : يا أبا شُراعةَ غايةُ كلّ مودِّع الفراقُ ، فانصرفْ راشداً مكْلُوءًا من غير قِلًى واللهِ ولا مَلَلٍ ، وأمرَ له بعشْرة آلاف دِرهم ، فعانقه أبو شُراعة ، وبكى ؛ فأطال ، ثم أنشأ يقول : [من الرمل]

يا إسحاقَ سِرْ في دَعةٍ وامضِ مصحوباً فما منك خَلَفْ
ليتَ شعري أيُّ أرض أجدبتْ فأُغيثَتْ بك من جَهد العَجَفْ
نزل الرُّحْم من الله بهِمْ وحُرِمناك لِذنبٍ قد سَلَفْ
إنّما أنت ربيعٌ باكرٌ حيثُما صرَّفه اللهُ انصرَفْ

[خلاف حول هلال رمضان]

قال أبو الفيّاض سَوَّار بن أبي شُراعة : دخل أبي على إبراهيم بن المدبّر وعنده مُنَجِّم ، فماراه[1] بن المدبِّر في رؤية الهِلال لشهر رمضان ؛ فحكم المنجِّم بأنّه يُرى ، وحَلَف إبراهيم بعِتْقِ غِلمانه أنَّه لا يُرى ، فرئيَ في تلك الليلة ، فأعتق غِلمانه ، فلمّا أصبح دخل الناسُ يهنّئونه بالشهر ، فأنشدَه أبو شُراعةَ يقول : [من الخفيف]

أيّها المكثر التَّجنّي على الما لِ إذا ما خلا من السُّؤَّالِ
أَفتِنا في الذين أعتقْتَ بالأمْـ ـسِ مواليكَ أم موالي الهِلالِ
لم يكن وَكْدُك الهلالَ ولكنْ تتألّى لِصالِح الأعمالِ
إنّما لذّتاك في المالِ شتّى صونُك العِرْضَ وابتذالُ المالِ

---

1 ماراه بمعنى : عارضه .

مـا نُبـالي إذا بقيتَ سَليما   مَن تولَّتْ بـه صروفُ اللَّيالي

[لا يدعى فيغضب]

قال أبو الفيَّاض : وكان أبو شُراعة صديقَ السِّدْري ، فدَعا يوماً إخوانَه ، وأغفل أبا شُراعةَ . فمرَّ به الرياشيّ ، فقال : يا أبا شُراعة ، ألست عِنْدَ السِّدرِي معنا ؟ فقال : لم يدعُنا . ومرَّ به جماعة من إخوانه ، فسألوه عن مثل ذلك ، ومرَّ به عيسى بنُ أبي حرب الصَّفار ، وكان ممّن دُعيَ ، فجلس وحَلَف ألاّ يبرَحَ حتى يأتيَه السِّدْرِي ، فيَعتَذِرَ إليه ، ويدعوه ، فقال أبو شُراعةَ : [من الرجز]

أيْر حمـارٍ في حِـرِ أمِّ شِعْري   وخُصيتاه في حِـرِ امِّ قَدْرِي
إن أنـا لم أشْفَعْهمـا بِوَفْـرٍ   لو كنتُ ذا وفرٍ دَعاني السِّدْري
أو كان مـن همّ هشامٍ أمري   أو راح إبراهيمُ يُطري ذِكري
وابن الرياشيّ الضعيفُ الأسر   يخافُ إن أردَفَ ألاَّ يَجري
وأنتَ يا عِيسى سقاكَ المُسْري   نعـمَ صديـقُ عُسرةٍ ويُسرِ

[لا يستعين بإخوانه في بناء داره]

قال أبو الفيَّاض : سقطتْ دارنا بالبصرة ، فعوتِبَ أبي على بنائها ، وقيل له : استعن بإخوانِك إن عجزتَ عنه فقال : [من الطويل]

تَلوم ابنـةُ البكـريِّ حين أؤوبها   هَزيـلاً وبعض الآئبـين سَمينُ
وقالـتْ : لحاكَ الله تستحسنُ العَرا   عـن الدار إنَّ النائبـاتِ فُنُونُ
وحولـك إخوانٌ كرامٌ لهمْ غِنًى   فقلت لإخـواني : الكـرامُ عُيونُ
ذَرينـي أمُتْ قبـل احتلالِ محلَّةٍ   لهـا في وُجـوه السائلين غُضونُ
سأفدِي بمالي مـاءَ وجهيَ إنَّني   بما فيـه مـن ماء الحياء ضَنِينُ

[في ليالي شهر رمضان]

قال سوَّار بن أبي شُراعة : كان إخوانُ أبي يجتمعون عند الحُسين بن أيّوب بن جعفر بن سليمان في ليالي شهرِ رمضان ، فيهم الرياشيّ والجمَّاز ، فقال أبي في ذلك : [من البسيط]

لو كنتُ من شيعة الجمَّاز أقعدني   مقاعداً قُربُهنَّ الريـفُ والشَّرفُ

لكنَّنـي كنـتُ للعبّـاس متَّبعـاً وليس في مَركب العبّاس مرتَدَفُ
قد بقيتْ من ليالي الشهر واحدةٌ فعاوِدوا مـالحَ البقّـال وانصرفُوا

[طلاقه ليلة عرس نديمه]

قال : وتزوّج نديمٌ لأبي شُراعة يقال له بَيّانُ امرأةً ، فاتّفق عرسُه في ليلة طلّق فيها أبو شراعة امرأته ، فعوتِبَ في ذلك ، وقيل : بات بيّانُ عَروساً ، وبتَّ عَزَباً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رأتْ عُـرسَ بَيّانٍ فهبَّتْ تلومني رويـدَكِ لومـاً فـالمطَلَّق أحوطُ
رويدكِ حتـى يرجَـع البرُّ أهله ويرحمُ رُبُّ العِرْس من حيث يُغْبَطُ
إذا قـال للطحَّان عنـد حسابه أعِـدْ نظـراً إنّـي أظنّك تغلِطُ
فمـا راعـه إلاّ دعـاءُ وليدةٍ هلُمَّ إلى السّواق إن كنت تَنْشَطُ
هنالـك يدعـو أُمَّــه فيسبّها ويلتبس الأجـرَ العَقـوق فيحبَطُ
فياذا العُـلا إنّي لفضلك شاكرٌ أبيتُ وحيداً كلّمـا شئت أضرَطُ

[يشمت في بيان]

قال : ثم بلغه عن بيّان هذا أنّه عجز عن امرأته ، ولم يَصِلْ إليها ، ولقي منها شرّاً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

رمى الدَّهرُ في صَحبي وفرَّق جُلاَّسي وباعدهـم عنّـي بظَعـنٍ وإعراسِ
فكلُّهـمُ يبغـي غِلافـاً لأيـره وأقعدَني عـن ذاك فَقـري وإفلاسي
فشكراً لربِّـي خـان بيّـانَ أيـرُه وأسعى بأيري في الظّلام على النّاسِ
يمسحه بالكـفّ حتـى يقيمـه وهـل ينفع الكفّانِ مـن ثقل الرّاسِ

[أولادنا أكبادنا]

وقال أبو الفياض سوّار : نظر إليَّ أبي يوماً وقد سألتُ عمّي حاجة فردَّني ، فبكى ، ثم قال : [من البسيط]

حُبّـي لإغنـاء سوّارٍ يُجشّمني خَوضَ الدُّجى واعتساف المَهمَهِ البِيدِ
كي لا تهونَ على الأعمامِ حاجَتُـه ولا يعلَّـل عنهـا بـالمواعيدِ
ولا يولّيهـمُ إن جـاءَ يسألُها أكتافَ مَعرضة في العِيس مردودِ

إذا بكى قال منهمْ ذُو الحِفاظ له لقــد بُليــت بخلْــقٍ غيرِ محمودِ

[يصف صنع النبيذ]

قال : وتَمارى أبو شُراعة ورجلٌ من أهل بَغداد في النبيذ ، فجعل البغداديُّ يذُمّ نبيذ التمر والدِّبْس ، فقال أبو شُراعة : [من الرجز]

إذا انتخبــتَ حبــَّه ودِبسَه ثم أجدْت ضَربــه ومَرْسَهُ[1]

ثــم أطلْتَ في الإنــاء حَبسهُ شربــتَ منــه البابــليَّ نفسَه

[دراهمه تغني عن سؤال بخيلين]

قال : وأعوز أبا شُراعة يومئذٍ النبيذُ ، فطلبَ من نديمين كانا له ، فاعتلَّ أحدهما بحلاوة نبيذه ، والآخرُ بحُموضته ، فاشترى من نبّاذ يقال له : أبو مَظْلُومة دَسْتيجة[2] بدِرهمين ، وكتب إليهما : [من الوافر]

سيُغني عن حلاوة دِبْسِ يحيى ويُغني عــن حُموض أبي أُميَّهْ

أبــو مَظلومــةَ الشيخُ المولّــي إذا اتّزنــتْ يــداه دِرْهَمَيَّهْ

أخبرني عليُّ بن سليمان قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان أبو شُراعة قبيحَ الوجه جدّاً ، فنظر يوماً في المرآة ، فأطالَ ، ثم قال : الحمد لله الذي لا يحمدُ على الشرِّ غيرُه .

[يوثر النبيذ على امرأته]

قال سوَّار بن أبي شُراعة : حلفَ أبي ألاّ يشرب نبيذاً بطلاق امرأة كانت عندَه ، فهجره حولَين ، ثم حَنِث ، فشرِب ، وطلَّق امرأته وأنشأ يقول : [من الطويل]

فمَــن كان لم يسمعْ عجيباً فإنّني عجيبُ الحديث يا أُميمَ وصادقُهْ

وقد كان لي أُنسانِ يــا أُمَّ مالكٍ وكلٌّ إذا فتَّشتَنــى أنــا عاشقُهْ

عزيزةُ والكأسُ التي مــن يُحلّها تُخادعــه عــن عقلــه فتصادقهْ

تحارَبَتــا عنــدي فعطَّلــتُ دَنَّهــا وأكوابَها والدَّهــر جَــمٌّ بَوائقهُ[3]

وحرَّمتُها حولَيــنِ ثــم أزلَّنــي حديثُ النَّدامى والنشيدُ أُوافقهُ

---

1 انتخبت حبه : دنه وزيره . ضربه ومرسه : نقعه من الماء ودعكه باليد .

2 دستيجة : إناء من زجاج .

3 بوائقه : جمع بائقة بمعنى مصيبة .

فلمّا شربتُ الكأس بانتْ بأُختِها فبان الغزال المستحبّ خلائقهُ
فما أطيب الكأس التي اعتضت منكمُ ولكنّها ليست بريمٍ أُعانقهُ

[في مجلس الحسن بن رجاء]

قال أبو الفيّاض : قال أبي : قصدتُ الحسنَ بن رَجاء بالأهواز ، فصادفتُ ببابه دِعبل بن عليٍّ الخُزاعيّ وجماعةً من الشعراء ، وقد اعتلَّ عليهم بديْن لزمه ومصادرة[1] فكتبَ إليه : [من البسيط]

المالُ والعقلُ شيءٌ يُستعانُ به على المَقامِ بأبواب السلاطينِ
وأنت تعلَمُ أنّي مِنهما عَطِلٌ إذا تأمّلتَني يا ابنَ الدّهاقينِ
هل تعلم اليومَ بالأهواز من رَجلٍ سواك يصلُح للدُّنيا وللدِّين

قال : فوعدَنا وعداً قرَّبه ، ثم تدافعَ ، فكتب إليه : [من الخفيف]

آذنَتْ جُبَّتي بأمرٍ قبيحِ من فِراقٍ للطيلسان الفسيحِ
فكأنّي بمَن يزيدُ على الجُبَّـ ـةِ في ظلِّ دار سهلِ بن نوحِ
أنت رُوح الأهواز يا ابنَ رجاء أيّ شيء يعيشُ إلاَّ برُوحِ

فأذِن لي وللجماعة ، وقضى حوائجَنا .

[يخدع أبناء سعيد بناقة عجفاء]

قال أبو الفيَّاض وحدَّثني أبي قال : حجَجْتُ ، فأتيت دار سعيد بن سلم ، فنحرتُ فيها ناقَةً ، وقلت : [من البسيط]

وردت دارَ سعيد وهي خاليةٌ وكان أبيضَ مِطعاماً ذُرى الإبلِ
فارتحتُ فيها أُصيلاً عند ذُكرته وصُحْبتي بِمِنًى لاهُونَ في شُغُلِ
فابتعتْ من إبل الجمَّال دهشرَةً موسومةً لم تكنْ بالحِقَّةِ العُطُلِ[2]
نحرتُها عن سعيد ثم قلت لهمْ : زوروا الحَطِيمَ فإنّي غير مرتَحِلِ

قال : وبلغت الأبيات وفِعْلي ولدَه ، فأحسنوا المكافأة ، وأجزلوا الصِّلة ، قال : فقال له

---

1 مصادرة : مطالبة .

2 دهشرة : ناقة كبيرة وفي ل : دوسرة . الحقة : الناقة التي دخلت في السنة الرابعة . والعطل : هي التي لا سمة لها ولا قلائد .

صديق له : وأَنت أَيضاً قد استجدتَ لهم النَّحيرةَ ! فضحك ، ثم قال : أَغرَّكَ وصفي لها ؟ أُشهدُ الله أَنّي ما بلغتُ بها دار سعيد إلاّ بين عَمودَيْن .

[هو خير ممن تعوله أمّه]

وقال أَبو الفيّاض : كان أَبو أُمامة محمدُ بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم ، وأُمّه سُعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم ، صديقاً لأَبي شُراعة ، وكانت أُمُّه سُعدى تعولُه ، فكان أَبو شراعة لا يزال يعبَث به ، وبلغه أنّ أَبا أُمامة يقول : إنّما معاشُ أَبي شُراعة من السلطان ورِفْده ، ولولا ذاك لكان فقيراً ؛ فقال فيه :

عَيَّرتَنـي نائـلَ السلطـان أَطلُبـه ... يـا ضلَّ رأيُك بـين الخُرق والنَّزَقِ

لـولا امتنانٌ مـن السلطان تَجهلُه ... أَصبحتُ بالسَّودفى مُقعوْعِسٍ خَلَقِ[1]

السَّود : موضع تنزلُه باهلَةُ بالبادية .

رثَّ الرِّدا بـين أَهدام مرقَّعَةٍ ... يبيتُ فيها بليلِ الجائعِ الفَرِقِ

لا شيء أَثبتُ بالإنسانِ معرفَةً ... من التي حزمت جَنبيه بالخِرَقِ

فأَين دارُك منهـا وهي مؤمنة ... بالله معروفةُ الإسلام والشَّفَقِ

وأَين رزقُك إلاّ من يَدَيْ مَرَةٍ ... ما بِتَّ من مالها إلاّ على سَرَقِ

تبيت ولْهـرَّ ممدوداً عيونكما ... إلى تطعُّمِها مخضرّة الحَدَقِ

ما بين رزقيكما إن قاس ذُو فِطَنٍ ... فرقٌ سوى أنّه يأتيكَ في طَبَقِ

شارِكْهُ في صيدِه للفأر تأكلُهُ ... كما تُشاركُه في الوجْهِ والخُلُقِ

[أبو أمامة يفحمه في برمة طفشيل]

قال أَبو الفيّاض : وزاره أَبو أمامة يوماً فوجد عنده طَفْشِيلاً فأَكله كلَّه ، فقال أَبو شُراعة يمازحه : [من الطويل]

عين جودي لبُرمةِ الطَّفْشِيل ... واستهلّـي فالصبرُ غيرُ جميلِ[2]

فجعتْني بهـا يـد لم تَدَعْ للذّ ... رّ في صَحن قِدرها مـن مَقيلِ

---

1 مقعوعس خلق : بال قديم .

2 الطفشيل : نوع من المرق .

كان واللهِ لحمُهـا مـن فَصيل ... راتعٍ يرتعـي كَريـمَ البُقولِ

فخلطنا بلحمـه عَدَسَ الشّا ... مِ إلى حِمَّـصٍ لنـا مَبلُولِ

فأتتْنـا كأنّها روضةٌ بالحَـزْ ... نِ تدعـو الجيـرانَ للتَّطْفيلِ

ثم أكفأتُ فوقَها جفنةَ الحـيّ ... وعلّقتُ صَحفتـي في زَبيلِ[1]

فَمَنى اللهُ لي بفـظٍّ غليـظٍ ... مـا أراه يُقِـرُّ بالتّنزيـلِ

فانتحـى دائبـاً يُدَبِّـلُ منها ... قلـتُ : إن الثريـدَ للتّدبيلِ[2]

فتغنَّى صوتـاً ليوضِحَ عِندي ... حـيٌّ أُمَّ العلاء قبـلَ الرّحيلِ

[نبيذ مُزج بالماء]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدّثني سوَّار بن أبي شُراعة قال : كتب أبي إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قُتَيبة يستهديه نَبيذاً ، فكتب إليه سعيد : إذا سألتني ، جعلني اللهُ فِداءك ، حاجة فاشطُط ، واحتكم فيها حُكْمَ الصَّبِيِّ على أهله[3] ، فإن ذلكَ يسرُّني ، وأُسارع إلى إجابتك[4] فيه . وأمر له بما التَمس من النبيذ ، فمزَجه صاحِبُ شرابه ، وبعثَ به إليه . فكتب إليه أبو شُراعة : أستَنْسىءُ[5] اللهَ أجلَك ، وأستعيذُه من الآفات لكَ ، وأستعينُه على شكر ما وهَب من النِّعمة فيك ، إنّه لذلك وليّ ، وبه مليّ . أتاني غلامُك المليحُ قدُّه ، السعيدُ بملكك جَدُّه بكتابٍ قرأْتُه غيرِ مستكرَه اللفظ ، ولا مُزْوَرٍّ عن القصد ، ينطق بحكمتِك ، ويَبينُ عن فضلك ، فوالله ما أُوضحَ لي خفيّاً ، ولا زادني بكَ عِلماً ، وإذا أنت تسألُ فيه أن تَهب ، وتحبّ أن تُحمد ، ولا غروَ[6] أن تفعل ذلك ، ومن كَتَبٍ أخذتَه ، وعن كَلالة وغير كلالة ورثتَه ، موسى أبوك ، وسعيدٌ جدُّك ، وعمرو عمّك ، ولك دار الصِّلَة ، ودار الضيافة ، وصاحب البَغْلةِ الشّهباء[7] وحصينُ بنُ

1 زبيل : قفة أو جراب .
2 يدبّل : يكبر اللقمة للفم .
3 مثل .
4 ل : محبتك .
5 أستنسىء : أسأل الله أن يطيل أجلك .
6 لا غرو : لا عجب .
7 الشهبة : بياض يخالطة سواد .

الحُمام وعروة بن الوَرد ، ففي أيّ غلواتِ[1] المجدِ يطمع قَرينُك أن يستولي على المدى ، والأمدُ دونَك . وكتابك إليَّ أن أتحكَّم عليك تحكّم الصبيّ على أهله ، فلشدّ ما جررت إليَّ معروفَك ، ودللتَ على الأُنس بِك ، وحاشى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسَب العَتيق ، والمنظر الأنيق الذي يسرّ القلبَ ، ويلائم الرُّوحَ ، ويطردُ الهَمَّ : [من المتقارب]

تـدِبّ خـلال شؤون الفَتى دبيبَ دَبـى النَّملة المنتعشْ[2]

إذا فُتِحـت فَغَمَـتْ ريحُهـا وإن سيل ِخَمَّارها قال : خُشْ

خُشْ : كلمة فارسية تفسيرها : طَيِّب .

فإن كنتَ رعيتَ لها عهداً ، وحفظتَ لها عندَك يداً ، فانظر ربَّ الحانوت فامطُله ديْنَه ، واقطع السبب بينَك وبينَه ، فقد أساء صُحبتَها ، وأفسد بالماءِ حِسَّها ، وسلِّط عليها عدُوَّها ، واعلم بأن أباك المتمثّل بقوله : [من الطويل]

يرى درجاتِ المجدِ لا يستطيعُها فيقعـد وسْطَ القـوم لا يتكلّمُ

وقد بسطتْ قدرتك لسانَك ، وأكثرتْ لك الحمد ، فدونك نُهزةَ البديهة منه : [من الطويل]

وبادرْ بمعروف إذا كنت قـادراً زوال افتقار أو غنًى عنك يُعقبُ

وقد بعثتُ إليك بقرابة مع الرسول ، وأنشأتُ في أثرها أقول : [من الطويل]

إليك ابن موسى الجودِ أعْمَلْتُ ناقتي مجلَّلـةً يضفـو عليهـا جلالُها[3]

كتومُ الوَجى لا تشتكي ألَمَ السُّرى سواء عليهـا موتُهـا واعتلالُها

إذا شَرِبَتْ أبصرتَ ما جوفُ بَطنها وإن ظَمِئَت لم يبد منهـا هُزالُها

وإن حَملتْ حِملاً تكلّفتُ حِملها وإن حُطَّ عنها لم أَقل كيف حالُها[4]

بعثنا بهـا تسمو العيـونُ وراءها إليك وما يُخشى عليهـا كَلالُها

وغنّـى مُغنِّيناً بصوتٍ فشاقني «متى راجعٌ من أُمّ عمرو خيالُها»

1 غلوات : جمع غلوة ، أي قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه .
2 دبى النملة : أصغر النمل والجراد .
3 مجللة : لابسة جلها وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .
4 لم أقل في ل : لم أُتَلْ .

أُحِبُّ لكم قيسَ بن عيلان كلَّها ويعجبنــي فُرسانهــا ورجــالُها
ومــاليَ لا أُهــوى بقــاء قَبيلة أبُـوكَ لهــا بــدرٌ وأنت هلالُها

قال : فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ ، واستملحه في شِعره ، وبصاحب شرابه ، وكل ما كان في خِزانته من الشَّراب وبثلاثمائة دِينار .

[مساجلة حول جارية]

أخبرني الأخفش عن المبرّد وسوَّار بن أبي شُراعة جميعاً : أنّ أبا الفيَّاض سوار بن أبي شُراعة كان يَهوى قينةً بالبصرة يقال لها : مَليحَة ، فدُعِيتْ ذاتَ يوم إلى مجلس لم يكن حاضرَه ، وحضر أبو عليٍّ البصير ذلك المجلس ، فجمَّشها بعضُ مَن حضر ، فلم تَلْتَفِتْ إليه ، وعرف أبو عليّ ذلك فكتب إلى أبي الفيّاض : [من الخفيف]

لــك عندي بِشارة فاستمعها وأجِبنـي عنهـا أبـا الفيَّاضِ
كنتُ في مجلسٍ مَليحـةُ فيـه وهي سُقْمُ الصِّحاح برءُ المِراضِ
وقديماً عهدتَني لستَ في حقّـ ـكَ والذبِّ عنك ذا إغماضِ
فتغفَّلتُهـــا تغفُّــلَ خَصْـمٍ وتأمّلتُهـــا تأمُّــل قــاضِ
ورمَتْها العيونُ مــن كلِّ أُفْقٍ وتشاكَوْا بالوَحْي والإيماضِ
مـن كهـولٍ وسادةٍ سُمَحاءٍ باللُّهــا باخلــينَ بالأَعراضِ[1]
وصفاتُ القيانِ أوّلهـا الغـد رُ عليـهِ في وَصلهنَّ التَّراضي
فتشوّفتُ ذاكَ منهـا وأعـدد تُ نكيري وسَوْرتي وامتِعاضي
فحمتْ جانبَ المُزاحِ وعمَّتهـ ـم جميعـاً بالصَّدِّ والإعراضِ
وكفـاني وفاؤهــا لــكَ حتَّى آذنَ الليلُ جمعَهم بارفِضاضِ

فأجابه أبو الفيّاض : [من الخفيف]

ليتَ شعري مـاذا دَعاك إلى أن هجتَ شوقي وزدتَ في إمراضي
ذكَّرتْنــي بُشراك داءً قديمـاً مــن سَقام علــيَّ لا شكَّ قاضي
إن تكنْ أحسنتْ مليحةُ في وصـ ــلي وعاصَت رِياضــة الرُّوَّاضِ

1 اللُّها : العطايا .

وأَقامــتْ على الوفــاء ولم تَــرْ عَ لوحــيٍ منهــم ولا إيماضِ
فعـلى صحَّـةِ الوفــاء تعاقــدْ نَــا وصونِ النُّفوس والأعراضِ
وعلينــا مـــن العفــافِ ثيابٌ هنَّ أَبهى مـن حالياتِ الرياضِ
ليس حظّي منها سوى النظر الخَتْـ ــلِ وإنّـي بــه لجذلانُ راضِ
لحظــاتٌ يقعنَ في ساحة القلـ ـب وُقوع السهامِ في الأغراضِ
وابتسامٌ كالبرق أَو هــو أَخفــى بــين سِتريْ تحــرُّزٍ وانقباضِ
لا أُخافُ انتقاضَها آخـرَ الدَّهــ ــرِ بِغَـدر ولا تخافُ انتقاضي
فأَبِــنْ لي ألستَ تحمَـد ذا الــ ــودَّ وقاكَ الرّدى أَبــو الفيّاضِ

[يهجو بني سدوس]

قال أبو الفيَّاض : اتصل بأَبي شُراعة أَنّ أَبا ناظرة السّدوسيّ يغتابه ، وكان مع آل أَبي سُفيان بن ثَوْر فقال يهجوهم : [من الكامل]

لعن الإلهُ بنــي سدوسٍ كلَّهمْ ورمى بمنجوفٍ وَريّة قافِ[1]
قد سَبَّني عُضروطُهم فسببتُهم ذنبُ الدَّنِيء يُناط بالأَشرافِ[2]

[لا يخرج من شتيمة إلى وليمة]

قال أبو الفيّاض : وكان بَيْن بعض بني عَمّنا وبينَ أَبي شُراعة وحشَة ، ثم صالحوه ، ودعوه إلى طعامهم ، فأَبى ، وقال : أمِثلي يَخرجُ من صوم[3] إلى طُعم ، ومن شَتيمة إلى وليمَة : وما لي ولكم مَثَلٌ إلاّ قول المُتلمِّس . [من الطويل]

فإن تُقبلوا بالــودّ نُقبلْ بِمثِله وإلاّ فإنّا نحــن آبــى وأَشمَسُ[4]

وقال فيهم : [من الوافر]

بنــي سَوّارَ إن رثَّــتْ ثيابي وكَلٌّ عن العشيرة فضلُ مالي

1 منجوف : سهم عريض . قاف : اسم جبل والمراد داهية نكراء .
2 عضروطهم : لئيمهم .
3 ل : صرم .
4 وأشمَس في ل : وأشوس .

فمطَّـرَحٌ ومتروك كلامـي   وتجفُوني الأَقـاربُ والموالي
أَلَم أَكُ مـن سَراة بنـي نُعَيمٍ   أَحلُّ البيتَ ذا العَمَد الطِّوالِ
وحـولي كلُّ أَصيـدَ تَغْلَبـيٌّ   أَبـيٌّ الضيْـم مشتركُ النوالِ
إذا حضر الغَـداءُ فغيرُ مغـنٍ   ويُغْني حـين تَشتجرُ العوالي
وأَبقـوْني فلستُ بمستكين   لصاحب ثَـروة أُخرى الليالي
ولا بممسِّح المُثريـن كيْمـا   أُمسِّحُ مـن طعامهمُ سِبالي[1]
أَنا ابـنُ العنبريّـة أَزَّرتني   إزار المكرمـات إزار خالي
فإن يكـن الغِنى مجداً فإنّي   سأَدعُـو الله بـالرزق الحَلالِ

صوت

[من الطويل]

إذا أَبصرتْكَ العينُ من بُعد غايـة   وأَوْقعتُ شكّاً فيك أَثبَتك القلبُ
ولـو أَنّ رَكبْـاً يمّموك لقادَهم   نسيمُك حتى يستدلَّ بكَ الرّكبُ

الشعر لعبدِ الله بنِ محمد بن البوَّاب ، والغناء لأحمد بن صَدَقة الطُّنبوريّ ، رَمَل مطلق في مجرى البِنصر رواية الهشاميّ .

1 السّبال : جمع سبلة ، وهي الدائرة وسط الشفة العليا ، أو طرف الشارب .

[502] ـ أخبار ابن البوّاب

[نشأته]

هو عبدُ الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق ، من أهل بخارى . وجِّه بجدِّه وجماعة معه رهينة إلى الحجّاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فأقطَعهم سِكَّة بها ، فاختطُّوها ونزلوها طولَ أيّام بني أُميّة ، ثم انقطعوا من الدولة العبّاسيّة إلى الربيع ، فخدموه .

وكان عبدُ الله بن محمد هذا يخلُفُ الفضلَ بن الربيع على حجبة الخلفاء ، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلُفُ الربيع في أيّام أبي جعفر ، وكان معَه فرآه أبو جعفر مع أبيه ، فسأله عنه فأخبره ، فكساه قَباء خَزٍّ ، وكساه تحتَه قباءَ كَتَّان مرقوع القَبِّ ، وقال له : هذا يَخْفَى تحت ذاك .

ذكر لي أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن محمد البوّاب عن أبيه .

وكان عبد الله صالحَ الشعر قليلَه ، وراوية لأخبار الخلفاء عالِماً بأُمورهم ، روى عنه أبو زيد عُمَرُ بن شبَّة ونظراؤه ، وقد مضت في هذا الكتاب وتأتي أخبار من روايته .

[يمدح المأمون بعد أن نال منه]

قال أحمد بن القاسم اليوسُفيّ : حدَّثني محمد بن عبد الله البوّاب قال : حدَّثني أبي قال : حجبت موسى وهارون خليفةً للفضلِ بن الربيع .

وخدم محمداً الأمينَ فأغناه وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرَّض به ، فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال : حدَّثني عبد الله بن أحمد الباهليّ قال : حدَّثني الحسين بن الضحّاك قال : لمّا أُتي المأمون بشعر ابن البّواب الذي يقول فيه : [من الطويل]

صوت

أيبخَل فردُ الحسن فردُ صفاته ... عليَّ وقد أفردته بهوًى فَردِ

رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده ... فملَّكه والله أعلم بالعَبْدِ

ألا إنّما المأمون للنّاس عِصمةٌ ... مُمَيِّزةٌ بين الضّلالة والرُّشدِ

لعلّويه في هذه الأبيات رَمَل بالوسطى .

قال : فقال المأمون : أليسَ هو القائل : [من الطويل]

أعينـيَّ جـودا وابكيـا لي محمَّدا ... ولا تدْخَـرا دَمعـاً عليه وأسْعِدا

فلا فـرِحَ المأمونُ بالمُلْكِ بعـدَه ... ولا زالَ في الدُّنيا طريداً مشرَّدا

هيهات ، وواحدةٌ بواحدة ! ولم يَصِلْه بشيء .

[بينه وبين إسحاق]

هكذا روي عن الحُسَين بن الضّحاك . وقد روي أنّ هذين الشعرين جميعاً للحسين ، وأنّ قولَ المأمون هذا بعينه فيه .

وقال أحمد بن القاسم حدَّثني جَزء بن قَطَن . وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق ، قالا جميعاً : وقع بين إسحاق وبين ابن البّواب شرٌّ فقال ابن البوّاب شعراً ذَميماً رَديئاً ، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليُعيّره به وهو : [من الخفيف]

إنّما أنـتِ يـا عنانُ سراج ... زيتُه الظَّـرف والفَتيلـةُ عقلُ

قاده للشقاء منِّـي فُـؤادي ... رِجْل حُبٌّ لكم وللحبِّ رِجلُ

هَضَم اليوم حبُّكم كلَّ حُـبٍّ ... في فؤادي فصار حُبُّـكِ فُجْلُ

أنـتِ ريحانـةٌ وراحٌ ولكن ... كلُّ أنثـى سواكِ خَـلٌّ وبَقلُ

وقال حمّاد في خبره وبلغ ذلك أبي فقال له : [من الكامل]

الشعر قـد أعيـا عليك فخلّه ... وخُذ العَصا واقعدْ عَلى الأبوابِ

فجاء ابنُ البواب إلى إبراهيم جدِّي فشكا أبي إليه فقال له : ما لكَ ولَه يا بُنيّ ؟ فقال له أبي : تعرَّضَ لي فأجبته ، وإن كفَّ لم أرجع إلى مساءته . فَتَتاركا .

[يهوى جارية اسمها عبادة]

قال أحمد بن القاسم ، أخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال : أخبرني : إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال : كان بالكَرخ نخّاس يُكْنى أبا عُمَير ، وكان له جوارٍ قيانٌ لهنّ ظَرَف وأدب ، وكان عبد الله بن محمد البوّاب يألف جارية منهنَّ يقال لها : عبّادة ، ويكثُر غِشْيان منزل أبي عُمَيرٍ من أجلها ، فضاق ضيقة شديدةٌ ، فانقطع عن ذلك ، وكره أن يقصّر عمّا كان يستعملُه من برّهم فتعلم بضيقته ، ثم نازعتْه نفسُه إلى لقائها وزيارتها ، وصعُبَ عليه الصبرُ عنها ، فأتاه فأصاب في منزله جماعةً ممّن كان يألفُ جواريه ، فرحّب به أبو عمير والجارية والقومُ جميعاً ،

واستبطأوا زيارته ، وعاتبوه على تأخّره عنهم ، فجعل يجمجم في عذره ، ولا يصرِّح ، فأقام عندهم ، فلمّا أخذ فيه النبيذُ أنشأ يقول : [من الخفيف]

لو تشكَّى أبو عُمير قليلاً ... لأتيناه من طَريق العِيادَهْ
فقضيْنا من العيادة حقّاً ... ونظرنا في مُقْلَتَيْ عبَّادَهْ

فقال له أبو عمير : مالي ولك يا أخي ؟ انظر في مُقلتي عبَّادة متى شئتَ غيرَ ممنوع ، ودَعْني أنا في عافية ، لا تتمنَّ لي المرضَ لتعودَني .

[شعره في صديق مدمن]

وقال أحمد بن القاسم : كان عبد الله بن إسماعيل بن عليّ بن رَيْطة يألف ابن البوّاب ، ويعاشرُه ، فشربَ عندَه يوماً حتى سكر ونام ، فلمّا أفاق في السَّحَر أراد الانصراف ، فحَلف عليه واحتبسه ، وكان عبد الله يهوى جارية له من جواري عَمرو بن بانة ، فبعث إلى عمرو بن بانة فدعاه وسأله إحضار الجارية ، فأحضرها ، وانتبه عبد الله بن إسماعيل من نومه ، وهو يَتململ خُماراً . فلمّا رآها نَشِط ، وجلس فشرب ، وتمَّوا يومهم ، فقال عبد الله بن محمد بنُ البوّاب في ذلك : [من المديد]

وكريمِ المجدِ محضٍ أبوه ... فهو الصفْو اللُّبابُ النُّضارُ
هاشميٌّ لقُروم إذا ما ... أظلمتْ أوجهُ قومٍ أناروا
رمت القهوةُ بالنومِ وهْنا ... عينَه فالجَفنُ فيه انكسارُ
فهو من طَرفٍ يُفدِّيك طَوْرا ... ويُعاطيكَ اللواتي أداروا
ساعةً ثم انثنى حين دبَّتْ ... ومشتْ فيه السُّلاف العُقارُ
وأبتْ عَيني اغتماضاً فلمّا ... حان من أخرى النجومِ انحدَارُ
قلت : عبدَ الله حاذرتَ أمرا ... ليس يُغني خائفيه الحِذارُ
فاستوى كالهُنْدوانيِّ لمّا ... أن رأى أنْ ليس يُغني الفِرارُ
قلتُ : خذْها مثلَ مصباحِ ليل ... طُيِّرتْ في حافتَيه الشِّرارُ
أقبلتْ قَطْراً نِطافا ولمّا ... يُتعب العاصرَ منها اعتصارُ
هي كالياقوت حمراءُ شِيبتْ ... وعَلا الحُمرةَ منها اصفرارُ

كالدنانيرِ جــرى في ذُراهــا فِضّــةٌ فالحسنُ منهــا قُصارُ[1]
تُنطِقُ الخُرسَ وبالصمتِ تَرمي مَعشرا نُطْقَــا إذا ما أحاروا

[يمدح المأمون]

قال أحمد : وحدَّثني يعقوبُ بنُ العبّاس الهاشميّ أبو إسماعيل النقيب قال : لمّا طال سخط المأمون على ابن البوّاب قال قصيدة يمدحُه بها ، ودسَّ مَن غنّاه في بَعضها ، لمّا وجد فيه نشاطاً . فسأل مَن قائلُها ؟ فأخْبرَ به فرضيَ عنه ، وردّه إلى رسْمه من الخِدمة ، وأنشدني أبو إسماعيل القصيدة ، وهي قوله : [من المجتث]

هــل للمحبّ مُعينُ إذ شطَّ عنه القريــنُ
فليس يَبكي لَشجو الـ ـحزيــنِ إلاّ الحـزينُ
يا ظاعناً غــاب عنّا غَـداةَ بـانَ القطـينُ
أبكى العيونَ وكانتْ بــه تَقَــرُّ العيــونُ
يــا أيّهــا المأمون الـ ـمبــارَك الميمــونُ
لقد صفتْ بك دُنيا للمسلمــين وديــنُ
عليكَ نُــور جــلالٍ ونُــور مُلــك مبـينُ
القــول منــكَ فِعالٌ والظــنُّ منـك يقينُ
مــا مِن يديك شِمال كلتــا يديـك يَمينُ
كأنّما أنتَ في الجُو دِ والتُّقــى هــارونُ
مَنْ نالَ من كلّ فضلٍ مــا نالــه المأمـونُ
تألَّــف النّاسَ منــه فضلٌ وجــودٌ ولـينُ
كالبدر يبــدو عليــه سكينــــةٌ وسكُــونُ
فالرزقُ مــن راحتيه مقسَّمٌ مَضْمــــونُ
وكلّ خَصلــةِ فضلٍ كانتْ ، فمَنـه تكونُ

والأبـيات التـي فيهـا الغنـاء المذكـور آنفاً أربعة أبيات ، أنشدنيهـا الأخفش وهـي

1 قصار : غاية ونهاية .

قولُه : [من الطويل]

أَفِقْ أيّها القلب المعذَّبُ كم تَصبو فلا النأيُ عن سلماك يُسلِي ولا القرْبُ
أَقولُ غداة استخبرَت مِمَّ علَّتي من الحبِّ كربٌ ليس يشبهُه كَربُ
إذا أَبصرتك العين من بُعد غايةٍ فأَدخلتُ شكا فيك أَثبتَك القلبُ
ولو أن رَكبا يمموك لقادَهم نَسيمُك حتى يَستدلَّ بِكَ الرّكبُ

فقال الأَخفش مثل هذا البيتِ الأخيرِ قول الشاعر : [من المنسرح]

واستَودَعَت نشرَها الديارُ فما تَزدادُ طيباً إلاّ على القِدَم

[يخشى العين على ساقيه]

أَخبرني الحسنُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق : قال : رأَيتُ محمد بن عبد الله البوّاب وقد جاء إلى أَبي مسلّماً فاحتبسه ، ورأيته وهو شيخ كبير ، وكان ضخماً طويلاً عظيمَ الساقين كأَنّهما دَنّان ، وكان يشدّ في ساقيه خرزا أَسود لئلاّ تصيبهما العينُ .

[يملق فيغنّيه أبو دلف]

وقال محمد بن القاسم : أَملق عبدُ الله بن محمد البوّاب حين جفاه الخليفة ، وعلت سِنُّه عن الخِدمة ، فرحل إلى أَبي دُلَف القاسم بن عيسى ، ومدحه بقصيدة ، فوهب له ثلاثين أَلفَ درهم ، وعاد بها إلى بَغداد ، فما نَفِدتْ حتى مات وهي قوله : [من الكامل]

طرقتْك صائدةُ القلوبِ رَبابُ ونأَتْ فليس لها إليك مآبُ
وتصرَّمتْ منها العهودُ وغُلِّقتْ من دون نيلِ طِلابِها الأبوابُ
فَلأَصدِفنَّ عن الهوى وطِلابِهِ فالحبُّ فيه بَلِيَّةٌ وعذابُ
وأَخصُّ بالمدح المهذَّب سيِّدا نفحاتُه للمُجْتدين رغابُ[1]
وإلى أَبي دُلَف رحلْتُ مطيَّتي قد شفَّها الإرقالُ والإتعابُ[2]
تعلو بنا قُلَلَ الجبال ودونَها ممّا هوتْ أهويَّة وشِعابُ[3]

1 رغاب : جمع رغيبة ، بمعنى واسعة .
2 الإرقال : الإسراع .
3 أهويّة : هوة .

فـإذا حللتَ لـدى الأمير بأرضه ... نلـتَ المُنـى وتقضَّـت الآرابُ
مَلِكٌ تأثَّـل عـن أبيـه وجدّه ... مَجْـدا يُقصِّـر دونـه الطُّلابُ
وإذا وزنتَ قديم ذي حسبٍ به ... خضعتْ لفضلِ قديمه الأحسابُ
قـومٌ علَوْا أمـلاكَ كلِّ قبيلـة ... فالنّـاس كلّهـمُ لهـم أذْنابُ
ضرَبَتْ عليـه المكرمـاتُ قِبابَها ... فعلا العمـودُ وطالَتِ الأطنابُ
عَقِمَ النساءُ بمثلـه وتعطَّلـتْ ... مـن أنْ تُضَمَّن مثلَـه الأطلابُ

صوت

[من مجزوء الكامل]

صغيرُ هـواكَ عذّبني ... فكيف به إذا احْتُنِكا
وأنت جمعت من قلبي ... هَوًى قد كان مشترَكا
وحبسُ رضاك يقتُلُني ... وقتـلي لا يَحـلُّ لكا
أمّا تَرْثـي لمكتَئِبٍ ... إذا ضحك الخليُّ بَكى

الشعر لمحمَّد بن عبد الملك الزيّات والغناءُ لأبي حشيشةَ رَمل بالوُسطى عن الهشاميّ .

[503] ـ أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

[نسبه]

هو محمدُ بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة الزيات ، وأصله من جَبُّل[1] ويكنى أبا جعفر . وكان أبوه تاجراً من تجّار الكرْخ المياسير ، فكان يحثّه على التجّارة وملازمتها ، فيأبى إلاّ الكتابةَ وطلبَها ، وقصد المعالي ، حتى بلغَ منها أن وزر ثَلاثَ دفعات ، وهو أوّل مَنْ تولّى ذلك وتمَّ له .

أخبرني الأخفشُ عليٌّ بن سليمان قال : حدَّثني عمرُ بن محمد بن عبد الملك قال : كان جدِّي موسراً من تجّار الكَرخ ، وكان يريد من أبي أن يتعلّق بالتجارة ، ويتشاغَل بها ، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدبَ وطلبَه ، ويخالطُ الكُتّاب ، ويلازم الدّواوين ، فقال له ذاتَ يوم : والله ما أرى ما أنت ملازمُه ينفعك ؛ وليضُرَّنَّك ، لأنّك تَدَع عاجلَ المنفعة . وما أنت فيه مكفيٌّ ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجلَ الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلَمنَّ أيُّنا ينتفع بما هو فيه ؛ أأنا أم أنت ؟ ثم شخَصَ إلى الحسن بن سهل بفم الصِّلح[2] ، فامتدحه بقصيدته التي أوّلها : [من الرجز]

كأنّها حينَ تناءى خطوُها ... أَخْنَسُ مَوشيّ الشَّوى يرعى القُلَلْ[3]

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد بها إلى أبيه ، فقال له أبوه : لا أَلومك بعدها . على ما أنتَ فيه .

1 جبلٌ : قرية مقابلة لقرية دسكرة غربي بغداد .

2 فم الصِّلح : موضع على نهر الصلح وهو نهر كبير فوق واسط ، بينها وبين جبل عليه عدة قرى . والصلح كانت دار الحسن بن سهل .

3 أخنس : ثور وحشي ، مَوْشي الشوى : ملون الأطراف .

[دخوله على الحسن بن سهل]

أخبرني جحظة والصُّوليّ ، قالا : حدَّثنا ميمون بن هارون : قال : لمّا مدح محمد بن عبد الملك الحسن بنَ سهل ، ووصله بعشرة آلاف درهم مَثَلَ بين يديه وقال له : [من البسيط]

لم امتدحْك رجــاء المــالِ أطلُبه ... لكنْ لتُلبِسَني التَّحجيــلَ والغُررا

وليس ذلـك إلاّ أنَّني رجــلٌ ... لا أُطلب الوِرْدَ حتى أعرفَ الصَّدَرا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مُجيداً ، لا يقاس به أحد من الكتّاب ، وإن كان إبراهيم بن العبّاس مثله في ذلك ، فإنّ إبراهيمَ مقلّ وصاحب قِصار ومقطَّعات ، وكان محمدٌ شاعراً يُطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغاً حَسَن اللفظ إذا تكلّم وإذا كتب .

[ينصف خصمه من نفسه]

فحدَّثني عمّي رَحمه الله قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال : جلس أبي يوماً للمظالم ، فلمّا انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً ، فقال له : أَلكَ حاجة ؟ قال : نعم تدنيني إليك ؛ فإنّي مظلوم . فأدناه ، فقال : إني مظلوم ، وقد أعوزني الإنصاف ، قال : ومن ظَلَمك ؟ قال : أنتَ ، ولست أصل إليكَ ؛ فأذكر حاجتي ؟ قال : ومَنْ يحجبك عنّي وقد ترى مجلِسي مبذولاً ؟ قال : يحجبني عنك هَيْبتي لك وطول لسانك ؛ وفصاحَتُك ، واطّراد حُجّتك ، قال : ففيم ظلمتُك ؟ قال : ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غَصْباً بغيرِ ثَمن ، فإذا وجب عليها خراجٌ أدّيته باسمي لئلاّ يثبتَ لك اسم بملكها ، فيبطل مِلكي ، فوكيلك يأخذ غلّتها ، وأنا أؤدّي خراجها ، وهذا ممّا لم يسمعْ في الظلم مثله ، فقال محمد : هذا قولٌ تحتاج عليه إلى بَيِّنَةٍ وشهود وأشياء ، فقال له الرجل : أيؤمنني الوزير من غضبه ، حتى أُجيبَ ؟ قال : قد أمَّنْتك ، قال : البينة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليسَ يحتاج معهم إلى الشيء ، فما معنى قولك : بيّنة وشهود وأشياء ، أيش هذه الأشياء إلاّ العيّ والحَصر والتغطرس[1] ؟ فضحك ، وقال : صدقتَ ، والبلاء موكّلٌ بالمنطق ، وإنّي لأرى فيك مصطنَعا ، ثم وقَّع له بردّ ضَيعته وبأن يطلق له كُرُّ حِنطة[2] وكرّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عِمارة ضَيعته ، وصيَّره من أصحابه ، واصطَنَعه .

1 التغطرس : التعامي عن الشيء .

2 كر حنطة : أربعون أردباً .

[يهدد إبراهيم بن المهدي]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني أحمد بن محمد الطالَقانيّ قال : حدَّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال : لمّا وثب إبراهيم بن المهديّ على الخلافة ، اقْترضَ من مياسير التُّجَّار مالاً ، فأخذ من جدِّي عبد الملك عشرَة آلاف دِرهم ، وقال له : أنا أردُّها إذا جاءَني مال ، ولم يتمّ أمرُه فاستخفى ، ثم ظهر ورَضيَ عنه المأمونُ ، فطالبَه الناسُ بأموالهم ، فقال : إنّما أخذتُها للمُسلمين ، وأردتُ قَضاءها من فيئهم ، والأمرُ الآن إلى غيري ، فعمل أبي محمدُ بنُ عبد الملك قصيدَةً يخاطبُ فيها المأمونَ ، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهديّ ، فأقرأه أيّاها وقال : والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضتْه من أبي لأوصلنَّ هذه القصيدة إلى المأمون ، فخاف أن يقرأها المأمون ، فيتدبَّر ما قاله ، فيُوقع به ، فقال له : خذ منّي بعضَ المال ، ونجِّم عليَّ بعضه ، ففعل أبي ذلك بعد أن حَلَّفه إبراهيمُ بأوكد الأيمان ألاَّ يظهر القصيدة في حياة المأمون ، فوفَّى له أبي بذلك ، ووفَّى إبراهيم بأداء المال كلّه .

والقصيدة قوله : [من الطويل]

ألَـم تَـرَ أن الشيءَ للشيء علَّـةٌ ... تكـونُ لـه كالنّارِ تُقـدَح بالزَّندِ

كذلـكَ جرّبْـتُ الأُمـورَ وإنّما ... يدُلُّك مـا قـد كان قبلُ على البَعْدِ

وظنِّـي بإبراهيـم أنّ مكانَـه ... سيُبعث يومـاً مثـلَ أيّامه النُّكْدِ

رأيت حُسَيْناً حـين صار محمـد ... بغيـر أمـانٍ في يديـه ولا عَقِدِ

فلـو كان أمضى السيفَ فيه بضربةٍ ... فصيَّره بالقـاع مُنْعفِـر الخَـدِّ

إذا لم تكـنْ للجنـد فيـه بقيّـةٌ ... فقد كان مـا خُبِّرتُ من خبرِ الجُندِ

هُـمُ قَتلـوه بعـد أن قَتلـوا لـه ... ثلاثـين ألفـا من كهول ومن مُرْدِ

ومـا نصروه عـن يَـدٍ سلفَتْ له ... ولا قتلـوه يـوم ذلكَ عـن حِقدِ

ولكنّـه الغـدرُ الصُّراح وخِفّةُ الـ ... ـحُلوم وبعدُ الرأي عـن سَنَنِ القَصدِ

فذلـك يـوم كان للنّـاس عبرةً ... سيبقى بقاءَ الوَحْي في الحَجر الصَّلدِ[1]

1 الوحي : الكتابة .

وما يــوم إبراهيــم إن طال عمرُه بأبعــد في المكــروه من يومه عِنْدي
تذكَّــر أميرَ المؤمنــين مقامَــه وأيمانــه في الهــزلِ منــه وفي الجَدِّ
أمـا والذي أمسيتَ عبـداً خليفـةً لــه شرُّ أيمــان الخليفــة والعبدِ
إذا هــزّ أعــوادَ المنابــر بـاستهِ تغنّــى بليــلى أو بميَّــةَ أو هِنْــدِ
فوالله مــا مــن توبـةٍ نزعتْ بـه إليــك ولا مَيــلٍ إليـك ولا وُدِّ
ولكــنَّ إخــلاصَ الضمير مقــرِّبٌ إلى الله زُلْفــى لا تَخيبُ ولا تُكدي
أتاكَ بهــا طوعــاً إليــكَ بأنفه على رغمــه واستأثَــر اللهُ بالحَمْدِ
فــلا تترُكنْ للناسِ موضعَ شُبهــة فإنّك مَجْزِيّ بحسْب الذي تُسدي
فقد غَلِطوا للنّــاس في نَصْب مثلِه ومن ليسَ للمنصور بابنٍ ولا المَهدي
فكيف بمَن قــد بايع الناسَ والتقتْ ببيعتــه الركبــانُ غَــوْرا إلى نَجدِ
ومــن سكَّ تسليمُ الخلافــة سَمْعَهُ ينادى بــه بــين السِّماطينِ من بُعْدِ
وأيّ امرىء سمَّــى بهــا قطُّ نفسَه ففارقهــا حتــى يُغيَّــبَ في اللَّحدِ
وتزعــمُ هــذي النابتيّــة أنّــه إمــامٌ لهــا فيما تُسِرُّ ومـا تُبدِي[1]
يقولــون سُنِّــيٌّ وأيّــةُ سُنَّــة تقومُ بجَوْن اللون صَعْل القفا جَعْدِ[2]
وقــد جعلـوا رُخصَ الطعام بعَهده زعيماً لــه باليُمنِ والكوكَب السَّعْدِ
إذا مــا رأوا يومــاً غــلاءً رأيتَهم يَحِنّــون تَحنانــا إلى ذلــك العَهدِ
وإقبالــه في العيــد يوجَف حولَــه وجيف الجياد واصطفاق القنا الجُرْدِ[3]
ورجّالــةٍ يمشون بـالبيضِ قبلــه وقــد تَبعــوه بــالقضيبِ وبالبُردِ
فإن قلــتَ قــد رام الخلافةَ غيرُهُ فلم يــؤتَ فيما كان حاول من جَدِّ
فلَــمْ أجـزه إذ خيَّــبَ اللهُ سعيَه على خطإٍ إذ كان منــه ولا عَمَدِ[4]

---

1 النابتية : طائفة من الحشوية أحدثوا بدعاً غريبة في الإسلام .

2 صعل القفا : كناية عن لؤم الحسب . وجعد : بخيل .

3 يوجف حوله : يسرع . وفي الديوان اصطكاك وهي بمعنى الاصطفاق .

4 على خطإٍ في الديوان : على عمد .

ولم أرضَ بعـد العفـوِ حتّى رفعته ... ولَلْعَـمُّ أولى بالتَّعَهُّـد والرِّفْدِ[1]
فليس سواءٌ خارجـيٌّ رمـى بـه ... إليكَ سفاهُ الرأي والرأيُ قـد يُرْدي
تعاوتْ لـه مـن كلّ أوْبٍ عِصابـةٌ ... متى يُورِدُوا لا يُصدروه عـن الوِرْدِ
ومَـن هـو في بيتِ الخلافة تَلْتقي ... بـه وبـك الآبـاءُ في ذِروة المجدِ
فمـولاكَ مـولاه وجنـدُك جنـدُه ... وهل يجمع القينُ الحُسامين في غِمْدِ ؟[2]
وقـد رابنـي مـن أهل بيتك أنَّني ... رأيتُ لهـم وجـدا بـه أيَّما وَجدِ
يقولـون لا تبعـدَ مـن ابن مُلمَّةٍ ... صبورٍ عليها النفسَ ذي مِـرَّة جَلْدِ
فَدانـا وهانتْ نفسُه دونَ مُلكنـا ... عليه لذي الحال التي قلَّ من يفدي[3]
على حين أعطى الناسَ صَفْقَ أكفِّهم ... عليُّ بـنُ موسى بالولايـة والعَهدِ
فما كان فينا مَـن أبى الضَّيْم غيرُه ... كريمٌ كفى مـا في القبولِ وفي الرَّدِّ
وجـرَّد إبراهيـمُ للمـوتِ نفسَه ... وأبدى سلاحاً فوق ذي مَيعةٍ نَهْدِ[4]
وأبلى ومَـن يبلغْ مـن الأمر جُهدَه ... فليسَ بمذمـومٍ وإن كان لم يُجْدِ
فهذي أمـورٌ قـد يخافُ ذَوُو النُّهى ... مَغَبَّتَهـا واللهُ يهديـكَ للرّشْدِ

[يزري بيحيى بن خاقان]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني عبد الله بن الحسين القَطربلي ، عن جعفر بن محمد بن خلَف قال : قال لي المعلّى بن أيّوب : كيف كان محلُّ يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقدارُه ؟ فقلت له : سمعتُ محمداً يذكره ، فقال : هو مهـولُ الألفاظ ، عليلُ المعاني سخيف العقل ، ضعيفُ العقدة[5] ، واهي العزْم مأفونُ الرأي .

[لا يلبس القباء]

قال عبدُ الله : ولما تولّى محمد بن عبد الملك الوزارة ، اشترط ألاّ يلبس القَباء ، وأن

---

1 رفعته في الديوان : رفدته .
2 مثل .
3 الشطر الثاني في الديوان : عليه على الحين الذي قل من يفدي .
4 ذو ميعة : أوّل جري الفرس ونشاطه . نهد : جسيم مشرف .
5 العقدة : الولاية .

يلبس الدُّرَّاعة[1] ويتقلّدَ عليها سيفاً بحمائل ، فأُجيب إلى ذلك .

[من لا يرحم لا يرحم]

أُخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني أَبو ذَكْوان ، قال : حدَّثني طمَّاس ، قال ميمونُ بنُ هارون : كان محمد بن عبد الملك يقول : الرَّحْمة خَوَرٌ في الطبيعة ، وضَعفٌ في المُنَّة ، ما رحمتُ شيئاً قطّ . فكانوا يطعَنون عليه في دينه بهذا القول ، فلمّا وُضع في الثِّقْل والحديد قال : ارحَموني ، فقالوا له : وهل رحمتَ شيئاً قَطُّ فتُرحَم ! هذه شهادتُك على نفسِك وحكْمُك عليها .

أُخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني أَبو ذَكوان ، قال : حدَّثني طماس ، قال : جاء أَبو دَنْقش الحاجبُ إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضرُ ، فدخل ليَلْبَس ثيابه ، ورأى ابن دَنْقَش الحاجب غِلماناً لهم رُوقة[2] فقال : وهو يظنُّ أنّه لا يسمع : [من الكامل]

إنّ اللّــواط سَجِيَّــة الكُتّابِ ... وعلى اللواط فـلا تلومَنْ كاتِباً

فقال محمد له : [من الكامل]

وكما اللّواطُ سجيّــةُ الكُتَّابِ ... فكذا الحُلاقُ سَجيَّة الحُجَّابِ[3]

[لا اعتذار مع القصاص]

فاستحيا ابن دَنْقَش ، واعتذرَ إليه ، فقال له : إنّما يقع العُذْر لو لم يقع الاقتصاص فأَمّا وقد كافأتك فلا .

[يرثي سكرانة]

أُخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : أُنشدني الحسنُ بنُ وهب لمحمد بن عبد الملك أَبياتاً ، يرثي بها سكرانَةَ أُمَّ ابنه عُمَر ، وجعل الحسنُ يتعجّب من جودتها ، ويقول : [من الطويل]

يقول لِيَ الخِلاَّنُ لو زرتَ قبرها ... فقلتُ : وهــل غيرُ الفؤاد لها قبرُ

1 الدُّرّاعة : ثوب كالجبة مشقوق المقدم يعمل من الصوف خاصة .

2 غلمان لهم روقة : حسان .

3 الحُلاق : داء الأبنة .

على حينَ لم أحدُثْ فأجهلَ قدرَها ولم أُبلغ السنَّ التي معها الصبرُ

[اعتذاره إلى عبد الله بن طاهر]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيعٌ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقيّ ، قال : استبطأ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن عبد الملك في بعض أُموره ، واتَّهمه بعدوله عن شيء أراده إلى سواه ، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك ، وكتبَ في آخر كتابه يقول : [من الوافر]

أتزعُم أنَّني أهوى خليلاً سواكَ على التّداني والبِعادِ
جحدتُ إذاً مُوالاتي عليّاً وقلت بأنَّني مولى زيادِ

[واحدة بواحدة]

قرأت في بعض الكتب : كان عبدُ الله بنُ الحسن الأصفهانيّ يخلُفُ عمرَو بنَ مَسعدة على ديوان الرسائل ، فكتب إلى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ مزيد : إنّ المعتصم أمير المؤمنين ينفخُ منك في غير فَحْم ، ويخاطب امرءاً غير ذي فهم ، فقال محمد بن عبد الملك : هذا كلام ساقط سخيف ؛ جعل أميرَ المؤمنين ينفُخُ بالزِّقّ كأنّه حدَّاد ، وأبطل الكِتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر : وأنت تُجري أمرَك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسعى بنقصان ، ولا تميل برجحان ، فقال عبدُ الله الأصبهانيّ : الحمد لله ، قد أظهرَ من سخافة اللفظ ما دلَّ على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره رِبح السِّلع ، ورُجحان الميزان ، ونُقصان الكيل ، والخُسران من رأس المال . فضحك المعتصِمُ ، وقال : ما أسرع ما انتصف الأصبهانيّ من محمد ، وحَقدها عليه ابن الزيات ، حتى نكبه .

[أدعاء له أم عليه]

أخبرني الأخفشُ عن المبرِّد قال : نظر رجل كان يُعادي يونس النحويّ إليه وهو يُهادى بين اثنين من الكِبَر ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، أبلغْتَ ما أرى ؟ فعلم يُونس أنّه قال له ذلك شامتاً ، فقال : هذا الذي كنتُ أرجو فلا بلغته ، فأخذه محمدُ بنُ عبد الملك الزيّات : فجعله في شعر فقال : [من مخلع البسيط]

وعائبٍ عابني بِشيْبٍ لم يعْدُ لّما ألمَّ وقتَهْ

فقلتُ إذ عابني بشَيْبي : يا عائبَ الشيبِ لا بلَغْتَهْ

[منديل تحت عمامته]

وذكر أبو مَروان الخُزاعيّ أنّ أبا دُهمان المغنّيَ سَرَق من محمد بن عبد الملك مِنديلاً دَبَقِيّاً[1] فجعلَه تحتَ عِمامته ، وبلغ محمداً ، فقال فيه : [من الرمل]

ونديـــــمٍ سارقٍ خاتلَنـــي وهو عندي غيرُ مذموم الخُلُقْ

ضاعفَ الكَـــوْرَ على هامتــه وطوى منديلَنا طــيَّ الخِرَقْ

يـــا أبـــا دُهمانَ لـــو جاملْتَنا لكفينـــاكَ مَـؤونـــاتِ السَّرَقْ

[ترجوه فتحرمه]

أخبرنا أبو مسلم محمد بن بَحر الأصبهانيّ ، قال : كنتُ عند أبي الحسين بن أبي البغْل لمّا انصرف عن بَغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة وبُطْلانِ ما نَذَره من ذلك ورجوعه ، فجعل يحدِّثنا بخبره ، ثم قال : لله درُّ محمد بن عبد الملك الزيّات حيث يقول : [من البسيط]

ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه قد كنتُ أحسبُ أنّي قد ملأتُ يدي

ما لي إذا غبتُ لم أُذكَرْ بصالحةٍ وإن مَرِضتُ فطال السُّقمُ لم أُعَدِ

[يتبادلان المدح]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني عوْن بن محمد الكِنْديّ ، قال : حدَّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع ، قال : وصفَني محمدُ بنُ عبد الملك للمعتصم ، وقال : ما له نظيرٌ في ملاحة الشعر والغِناء والعِلم بأُمورِ الملوكِ ، فلقيتُه فشكرتُه ، وقلت : جُعِلْتُ فِداءك ! أتَصِف شِعري وأنت أشعرُ الناس ؟ ألستَ القائلَ : [من الوافر]

ألَـم تعجَـب لمكتئِبٍ حزينٍ خَدين صَبابة وحليفِ صَبرِ

يقولُ ، إذا سألتَ به ، بخَيْرٍ وكيف يكون مهجورٌ بخَيْرِ

قال : وأين هذا ، من قولك ؟

يقـــولُ لي كيـــفَ أصبـــحتَ كيـــفَ يُصبح مِثلي

1 دبقياً : نسبة إلى دبيق . قرية كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر مشهورة بالثياب الدبقية ، وهي ثياب رقيقة تكور عمائم ، وقد ترقم بأسلاك الذهب .

ماءٌ ولا كصدَّاء[1] ، ومرعى ولا كالسَّعدان[2] .

أُخبرني الصولي ، قال : حدَّثني عَون بن محمد : قال : لقي الكنجيُّ محمد بن عبد الملك فسلَّم عليه فلم يجبه ، فقال الكنجيّ : [من البسيط]

هــذا وأَنت ابنُ زيــاتٍ تُصغِّرنا فكيف لو كنتَ يا هذا ابن عطَّارِ

[لا ينتصف من ساقط أحمق]

فبلغ ذلكَ محمداً ، فقال : كيفَ يُنتصفُ من ساقط أَحمق ، وَضْعُه رَفْعُه ، وعقابُه ثوابُه .

[أضيع ميتة]

أُخبرني الصوليّ ، قال : أَخبرني عبدُ الله بن محمد الأزديّ ، قال : حدَّثني يعقوبُ بن التَّمار ، قال : قال محمد بن عبد الملك لبعض أُصحابه : ما أَخَّرك عنّا ؟ قال : موتُ أُخي ، قال : بأيّ علّة ؟ قال : عضَّت إصبعَه فأرة ، فضربتْه الحُمْرة[3] ، فقال محمد : ما يرد القيامةَ شهيدٌ أخسُّ سبباً ، ولا أنذلُ قاتلاً ، ولا أَضيَعُ مِيتةً ، ولا أَظرفُ قِتلة من أَخيك .

[خمسون بيتاً في بيت]

أُخبرني عمِّي عن أَبي العيناء ، قال : كان محمد بن عبد الملك يُعادي أَحمدَ بن أَبي دواد ، ويهجوه ، فكان أَحمدُ يجمع الشعراء ، ويُحرّضهم على هجائه ، ويَصِلُهم ، ثم قال فيه أَحمد بيتين ، كانا أَجودَ ما هُجِيَ به ، وهما[4] : [من السريع]

أَحسن من خَمسين بيتاً سُدًى جمعُــك إيَّاهُــنَّ في بيتِ
مــا أَحوجَ الناس إلى مَطْرة تُذهِــبُ عنهم وَضَرَ الزيتِ

1 مثل : يضرب في باب الرجلين يكونان ذوي فضل غير أن لأحدهما فضيلة الآخر والصداء : ركية ليس أعذب منها . وهو يضرب للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى .
وهو عن قصة لامرأة تزوجت من رجل آخر فسألها زوجها عن زوجها الأول .

2 مثل : وهو شبيه في قصته ومغزاه بالمثل الأول . والسعدان : نبت من أفضل ما يُرعى .

3 الحمرة : ورم من جنس الطواعين ينشأ من اتساخ جرح .

4 وردت في الخزانة برواية مختلفة قليلاً هي :

أحسن من تسعين بيتاً شذى جعلــك معناهــن في بيــت
ما أحــوج الملك إلى مطــرة تغسل عنــه وضــر الزيــت

وكان ابن أبي دواد يقول : ليس أحدٌ من العرب إلاّ وهو يقدرُ على قول الشعر ، طبعاً رُكِّب فيهم ، قَلّ قولُه أو كثُر .

[أبو تمام يمدحه]

أخبرنا الصوليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى عن الحَسَنْ بن وَهْب ، قال : أنشد أبو تمّام محمد بن عبد الملك قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

لهـان علينا أن نقولَ وتفعلا[1]

فأثابه عليها ووقّع عليه : [من الطويل]

رأيتك سهلَ البيع سمحاً وإنّما … يُغالَى إذا ما ضَنَّ بالشيء بائعُهْ

فأمّا الذي هانتْ بضائعُ بيعِه … فيُوشك أن تَبقى عليه بضائعُهْ

هو الماءُ إن أُجمَمْتَه طاب وِردُه … ويُفسدُ منـه أن تباحَ شرائعُهْ

فأجابه أبو تمام وقال : [من الطويل]

أبا جعفر إن كنْتُ أُصبحتُ شاعراً … أُسامِحُ في بيعـي لـه مَـن أُبايعُهْ

فقـد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً بـه … تُساهل مـن عادتْ عليك منافعُهْ

فصرتَ وزيراً والوزارة مَكْـرَعٌ … يَغصّ بـه بعـدَ اللـذاذة كارعُهْ

وكَمْ مـن وزير قـد رأينا مُسلَّطاً … فعـاد وقـد سُدَّتْ عليه مطالعُهْ

ولله قـوسٌ لا تطيش سهامُهـا … ولله سيـفٌ لا تُفـلُّ مقـاطعُهْ

[راشد الكاتب يطلب منه هدية]

حدَّثني الصُّوليّ ، قـال : حدَّثني محمد بن يحيى بن عباد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حجَّ محمد بن عبد الملك في آخر أيّام المأمون ، فلمّا قَدِم كتب إليه راشدٌ الكاتبُ قوله : [من المنسرح]

لا تنسَ عهـدي ولا مودَّتِيَـهْ … واشتَـقْ إلى طَلعتـي ورُؤيتِيَـهْ

إن غبتَ عنّا فلم تغب كثرة الـ … ـذكـر فـلا تَغْفُلَـن هديتِيَـهْ

التَّمر والنقـل والمساويك والقسـ … ـب وخير النعـال حُسْنَ شِيَـهْ

1 عجز البيت : ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

فإن تجاوزتَ ما أقول إلى العَصْـ ـبِ فـذاك المأمولُ منك لِيَـهْ[1]

فأجابه محمد بن عبد الملك : [من المنسرح]

إنّك مِنّـي بحيثُ يطّردُ الناظـ ـرُ مـن تَحت مـاء دَمْعَتِيَهْ
ولا ومَـن زادنـي تودُّدُه على صِحابـي بفضـل غَيْبَتِيَهْ
ما أحسن التركَ والخلافَ لما تريـدُ منّـي ومـا تقولُ لِيَهْ
يـا بأبي أنتَ مـا نسيتُك في يـوم دُعائـي ولا هَدِيَّتِيَهْ
ناجيتُ بالذكر والدُّعاء لك اللّـ ـهُ لـدى البيت رافعاً يَدِيَهْ
حتى إذا ما ظننتُ بالملكِ القـ ـادر أن قـد أجاب دَعْوَتِيَهْ
قمتُ إلى موضع النعالِ وقد أقمت عشرينَ صاحبـاً مَعِيَهْ
وقلـتُ لي صاحبٌ أريـدُ له نَعْـلاً لـو مـن جلود راحتية
فانقطـع القـولُ عنـد واحدةٍ قال الذي اختار يـا بِشارَتِيَهْ
فقلتُ عندي لك البشارةُ والشُّكـ ـرُ وقَـلاً في جَنب حاجَتِيَهْ
ثم تخيّرتُ بعد ذاك من العَصْـ ـب اليَمـاني بفضـل خِبْرَتِيَهْ
موشيَّـةً لم أزلْ بِبائعهـا أرغِـبُ حتـى زهـا عليَّ بِيَهْ
يرفـعُ في سومِـه وأرغِبُـه حتـى التَقـى زهدُه ورَغْبَتِيَهْ
وقـد أتـاكَ الذي أمرتَ به فاعـذِرْ بكُثر الإنعـام قِلَّتِيَهْ

[المعتصم يأخذ برذونه فيقول في ذلك شعراً]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش ، قـال : حدَّثنا محمـدُ بنُ يزيد المبرِّد ، قال : كان لمحمد بن عبد الملك برذونٌ أشهب لم يُرَ مثلُه فراهةً وحسناً ، فسعى به محمدُ بن خالد حيْلَويه إلى المعتصم ، ووصف له فراهته[2] ، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه ، فقال محمد بن عبد الملك يَرثيه : [من الكامل]

كيف العَزاء وقـد مضى لسبيلهِ عنّـا فودَّعنـا الأحـمُّ الأشهبُ[3]

---

1 العصب : ضرب من البرود .

2 فراهته : حسنه ونشاطه .

3 الأحم الأشهب : الأسود .

دبَّ الوشاةُ فأبعدوك وربَّما بَعُدَ الفتى وهو الأحبُّ الأقربُ
لله يومَ نأيتَ عنّي ظاعنا وسُلبتُ قربَك أيَّ عِلْق أُسلَبُ
نفسٌ مفرَّقةٌ أقام فريقُها ومضى لِطِيَّته فريقٌ يُجنَبُ
فالآن إذ كُملت أداتُك كلُّها ودعا العيونَ إليك لونٌ معجِبُ
واختيرَ من سرِّ الحدائد خيرُها لك خالصاً ومن الحُليّ الأغرَبُ
وغدَوتَ طَنّان اللِّجام كأنّما في كلِّ عُضو منك صَنْجٌ يُضرَبُ
وكأنَّ سرجَك إذ علاك غَمامةٌ وكأنّما تحتَ الغمامةِ كَوكَبُ
ورأى عليَّ بك الصديقُ جلالةً وغدا العدوُّ وصدرُه يتلهّبُ
أنساكَ لا زالت إذاً منسيَّةً نفسي ولا زالت يَمينيَ تُنكبُ
أضمرتُ منك اليأسَ حين رأيتني وقُوى حبالي من قُواك تقضَّبُ
ورجعتُ حين رجعتُ منكَ بحسرة لله ما فعل الأحمُّ الأشهبُ

[ناظر ضعيف البصر]

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المرزُبان، رضوانُ الله عليه، قال: حدَّثني محمدُ بنُ ناصح رحمةُ الله عليه، قال: لحقتْ غلاَّتِ أهلِ البَتِّ[1] آفةٌ في أيّام محمد بن عبد الملك من جَراد وعَطَش، فتظلَّم إليه جماعة منهم، فوجَّه ببعض أصحابه ناظراً في أمرهم، وكان في بصره ضَعْف، فكتب إليه محمد بن عليٍّ البَتِّي: [من السريع]

أتيتَ أمراً يا أبا جعفرٍ لم يأته بَرٌّ ولا فاجرُ
أغثتَ أهل البتِّ إذ أُهلِكوا بناظرٍ ليس له ناظرُ

فبلغه، فضحِك وردّ الناظرَ ووقَّع لهم بما سألوا بغير نَظر.

[مساجلة بينه وبين علي بن جبلة]

أخبرني الصوليّ رضي الله عنه قال: حدَّثني محمدُ بن يحيى بن أبي عبّاد عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال عليّ بن جَبَلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيّات، وكان قد قصدَ أبا دُلَف القاسم بن عيسى في بعض أمره: [من البسيط]

1 البتّ: قرية من أعمال بغداد قريبة من راذان.

يـا بائعَ الزيتِ عرِّج غيرَ مرموقِ ... لتُشغلَنَّ عــن الأرطالِ والسوقِ
مَن رام شتمكَ لم ينزِع إلى كَذبٍ ... في مُنتمــاك وأبــداه بتَحقيقِ
أبــوك عبــدٌ وللأُمِّ التي فلقت ... عن أُمِّ رأسك هَــنٌ غيرُ محلوقِ
إن أنتَ عدَّدت أصلالاً تُسَبُّ به ... يومــاً فأُمُّك منِّي ذاتُ تَطليقِ
ولن تطيقَ بحــولٍ أن تُزيل شَجاً ... أثبتُــه منــك في مستنزَلِ الرِّيقِ
الله أنشاك من نَوْكٍ ومن كَذِبٍ ... لا تعطفــنَّ إلى لــؤمٍ لمخلوقِ
مــاذا يقــول امرؤ غشَّاك مِدحتَه ... إلاّ ابنُ زانية أو فــرخُ زِنديقِ

فأجابه محمد : [من البسيط]

اشمخْ بأنفك يــا ذا السيِّىء الأدبِ ... ما شئتَ واضربْ قذال الأرضَ بالذنَبِ
وارفع بصوتك تدعو مَن بذي عَدَنٍ ... ومَن بِقالي قَــلا بالويــل والحَرَبِ[1]
ما أنتَ إلاّ امــرؤٌ أُعطــى بلاغتَه ... فَضْلَ العِــذار ولم يربــعْ عَلى أدبِ[2]
فاجمَحْ لعلّك يومــاً أن تعضَّ على ... لُجْــمٍ دِلاصيَّةٍ تَثنيكَ مــن كَثَبِ[3]
إنِّي اعتذرت فما أحسنتَ تسمعُ مِن ... عُذري ومن قبلُ ما أحسنتَ في الطَّلَبِ
صَبْراً أبــا دُلَــفٍ في كلِّ قافيــة ... كالقِدْر وَقْفاً على الجارات بالعُقَبِ[4]
يا ربّ إن كان ما أنشأتَ من عرَبٍ ... شَرْوى أبي دُلَفٍ فاسخَطْ على العربِ[5]
إنَّ التعصُّبَ أبــدى منــك داهيَــةً ... كانَتْ تُحَجَّبُ دونَ الوهم بالحُجُبِ

فأجابه علي بن جَبَلة : [من البسيط]

نبِّهتَ عــن سِنَةٍ عينيــكَ فاصطبرِ ... واسحبْ بذيلك هل تَقْفُو عَلى أثرِ[6]

1 قالي قلا : مدينة بأرمينية من نواحي خلاط ، بلد أبي علي القالي صاحب الأمالي .
2 يربع : يقف .
3 لجم دلاصية : ملساء براقة .
4 العقب : جمع عقبة ، أي شيء من المرق يرده مستعير القدر .
5 شروى : مثل .
6 تقفو : تمحو .

إن يَرحَضِ اللهُ عنّي عارَ مُطّلَبي ... إليك رِفداً ألا فانجد به وغرِ
إنّي ودعواكَ أن تأتي بمكرُمةٍ ... كمُنبضِ القوْسِ عن سَهمٍ بلا وَتَرِ
فاردد جُفونَك حَسْرى عن أبي دُلَفٍ ... ولا ملامَةَ أن تعْشى عن القَمرِ
لا يسخطنَّ امرؤ إن ذلّ من حَسبٍ ... فالله أنزلَه في مُحكَم السُّورِ
لم آتِ سَوْءا ولم أسخَط عَلى أحدٍ ... إلاّ على طَلَبي في مُجْتدًى عَسرِ[1]
أقصِرْ أبا جعفرٍ عن سَطْوةٍ جمحَت ... إن لم تُقصِّر بها مالتْ إلى القِصَرِ

فأجابه محمد بنُ عبد الملك : [من المنسرح]

يا أيُّها العائبي ولم يَرَ لي ... عيباً أما تنتهي فتزدجِرُ
هل لكَ وترٌ لديَّ تطلبُه ... فأنت صَلَدٌ ما فيك معتَصَرُ
فالحمدُ والمجدُ والثناءُ لنا ... وللحسودِ التُّرابُ والحَجَرُ

وهي طويلة يقول فيها :

تعيشُ فينا ولا تلائِمُنا ... كما تعيشُ الحَميرُ والبقَرُ
تُغلي علينا الأشعار منكَ وما ... عندكَ نَفْعٌ يُرجى ولا ضَرَرُ

[غزل بغلام]

أخبرني عمِّي ، رحمه الله ، قال : حدَّثني عمرُ بنُ نصر الكاتب ، قال : حدَّثني عمِّي عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى ، قال محمد : اجتاز بديع غلامُ عُمير المأمونيّ بمحمد بن عبد الملك الزيّات ، وكان أحسنَ خلق الله وجهاً ، وكانَ مُحمَّد يحبُّه ويُجنُّ به جنوناً فقال : [من السريع]

راح علينا راكباً طِرفَهُ ... أغْيَدُ مثلُ الرشإ الآنسِ
قد لَبِس القُرطُقَ واستمسكتْ ... كفَّاه من ذي بُرَقٍ يابِسِ[2]
وقُلِّد السيفَ على غُنْجِه ... كأنّهُ في وقعة الدّاحِسِ
أقول لّما أن بدا مُقْبلاً ... يا ليتني فارسُ ذا الفارسِ

1 اجتدى : سأل حاجته .

2 القرطق : القباء .

[سماء تعوقني عن سماء]

أخبرني الأخفشُ ، قال : حدَّثني محمدُ بنَ يزيد قال : دامت الأمطارُ بسُرَّ مَنْ رأى ، فتأخّر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيّات ، وهو يومئذٍ وزيرٌ ، والحسن يكتبُ له ، فاستبطأه محمد بن عبد الملك ، فكتب إليه الحسنُ يقول : [من الخفيف]

أوجبَ العذرَ في تراخي اللقاءِ ... ما تــوالَى مـن هذه الأنواءِ
لست أدري ماذا أقولُ وأشكو ... مـن سماءٍ تعوقُني عـن سماءِ
غير أنّي أدعو على تلكَ بالثُّكْـ ... ـلِ وأدعـو لهــذِهِ بالبقاءِ
فسلام الإلــه أُهدِيــه غضّاً ... لـك منّــي يـا سيِّد الوُزَراءِ

[عتاب]

أخبرني الصُّوليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ موسى ، قال : اعتلّ الحسنُ بن وهب ، فتأخّر عن محمد بن عبد الملك أيّاماً كثيرةً ، فلم يأته رسولُه ، ولا تعرَّف خبره ، فكتب إليه الحسنُ قولَه : [من الخفيف]

أيُّهــذا الوزيــرُ أيَّدك اللـ ... ـهُ وأبقاك لي بَقـاءً طويلا
أجميلاً تــراه يـا أكرمَ النا ... س لكيما أراه أيضـاً جميلا
إنّني قــد أقمتُ عَشراً عليلا ... مـا ترى مرسِلاً إليَّ رسولا
إن يكن موجب التعمّد في الصّحّـ ... ـه مَنّـاً عـليَّ منكَ طويلا
فهو أولى يـا سيدَ النّاس برّاً ... وافتقـاداً لمَـن يكـون عليلا
فلماذا تركتَنــي عُرضة الظّنّ ... من الحاسدينَ جِيلا فجِيلا
ألِذَنْبٍ فما علمتُ سوى الشكـ ... ـر قرينـا لنيَّتي ودَخِيلا
أم ملالٍ ، فمـا علمتك للصا ... حبِ مثلي على الزمانِ مَلولا
قد أتــى اللهُ بالشفاء فما أعْـ ... ـرفُ ممّـا أنكرتَ إلاّ قليلا
وأكلتُ الدُّرّاج وهــو غِـذاءٌ ... أفَلَــتْ علّتــي عليــهِ أُفولا[1]
بعدما كنتُ قد حملتُ من العلّـ ... ـةِ عِبْئـاً على الطِّباعِ ثقِيلا

1 الدُّرّاج : طائر أرقط .

ولعلّـــي قَدِمـــتُ قبلَك آتيـ ـلكَ غداً إن وجدتُ فيه سَبيلا

فأجابه محمدُ بنُ عبد الملك : [من الخفيف]

دفع اللّهُ عنـكَ نائبةَ الدَّهـ ـــر وحاشاكَ أن تكونَ عَليلا

أُشهِدُ اللّهَ مـا علمتُ ومـاذا كَ مـــن العُـذرِ جائزاً مقبولا

ولعَمري أن لَو علمتُ فلازمتـ ـك حولاً لكان عِندي قَليلا

إنَّني أرتَجي وإن لم يكنْ مـا كان ممّـا نَقَمـتُ إلاّ جليلا

أن أكونَ الذي إذا أُضمر الإخـ ـلاصَ لم يلتَمِسْ عليـه كَفيلا

ثـمّ لا يبـذُلُ المـودَّة حتى يجعـلَ الجهدَ دُونها مَبذولا

فإذا قال كانَ مـا قال إذْ كا نَ بعيداً مـن طَبعـه أن يَقولا

فاجعلَنْ لي إلى التعلُّق بالعُذْ رِ سَبيلاً إن لم أجِـدْ لي سَبيلا

فقديماً ما جادَ بالصفْحِ والعفْـ ـوِ وما سامحَ الخَليلُ الخَليلا

قال : وكتبَ محمدُ بن عبد الملك إلى الحَسَن بن وهْب وقد تأخّر عنه : [من البسيط]

قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خبَرٌ ماذا تراه دَهاه قلت : أيْلولُ

شهرٌ تجذُّ حبالُ الوصلِ فيه فما عقدٌ من الوصل وهو محلولُ

[مساجلة بينهما]

قال : وكان محمد قد ندبه لأن يخرجَ في أمر مُهِمّ فأجابَه الحسَنُ فقال : [من البسيط]

إنّي بحـولِ امرِىءٍ أعليتَ رُتبتَه فحظُّـه منـكَ تعظيـم وتبجيلُ

وأنـــت عُدّتـــه في نَيـــل هِمّته وأنـت في كلّ مـا يهواه مأمولُ

مـا غالنـي عنـك أيلولٌ بلذّته وطيبِـه ولنعـمَ الشهـرُ أيلولُ

الليلُ لا قِصَرٌ فيـه ولا طـولُ والجو صافٍ وظهر الكأسَ مَرحولُ

والعود مستنطَقٌ عـن كلِّ معجبةٍ يُضحي بها كلُّ قلب وهو مَتْبولُ

لكن توقُّعُ وشْك البين عن بلدٍ تحلُّـه فـوكاءُ العـين محلولُ

ما لي إذا شمَّرتْ بـي عنك مبتكِراً دُهمُ البِغـال أو الهوجُ المراسيلُ[1]

---

1 الهوج المراسيل : النوق المسرعة سهلة السير .

إلاّ رعاياتُـــك اللاَّتي يعــودُ بها حـــدُّ الحوادثِ عنِّي وهو مفلولُ

قال : وكان الحسنُ بن وهب يساير محمداً على مُسَنَّاة[1] ، فعدل عن المسنّاة لئلاّ يضيق لمحمد الطريقُ ، فظنّ محمد أنّه أَشفقَ على نفسه من المسنّاة ، فعدل عنها ، ولم يساعده على طريقه ، وظنَّ بنفسه أَن يصيبَها ما يصيبه ، فقال له محمد : [من الخفيف]

قـــد رأَيناكَ إذ تركتَ المُسنّا ةَ وحاذَيْتَنـــي يَسارَ الطـريقِ
ولعمري ما ذاك منكَ وقد جدَّ بــك الجِـدُّ من فِعال الشَّفيقِ

[مساجلة أخرى]

فقال له الحسَنُ : [من الخفيف]

إن يكنْ خوفي الحُتُوفَ أَراني أَن تـــراني مشبَّهـــا بالعَقُوقِ
فلقد جارتِ الظنونُ على المُشـ ـفقِ والظَّنُّ مولـــعٌ بالشفيقِ
غرَّر السيدُ الأجلُّ وقــد سا رَ على الحَرْفِ من يَمين الطريقِ
فأَخذتُ الشِّمالَ بُقيا عَلى السيـ ـــد إذ هالني سُلوكُ المَضيقِ
إنَّ عندي مــودَّةً لك حازتْ مـا حوى عاشقٌ من المَعشوقِ
طودُ عــزّ خصصتُ منــه ببرٍّ صار قَدْري بــه مع العَيُّوقِ[2]
وبنفسي وإخوتــي وأَبي البــ ـرّ وعَمِّي وأُسرتي وصَديقي
من إذا ما رُوِّعْتُ أَمَّن رَوْعي وإذا مــا شَرِقْتُ سوَّغَ رِيقي

[يفتخر]

أُخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش والصوليّ ، قالا : حدَّثنا المبرِّد ، قال : استسقى الحسنُ بنُ وهب من محمد بن عبد الملك نبيذاً ببلد الروم ، وهو مع المعتصم فسقاه وكتب إليه : [من مجزوء الكامل]

لم تلــقَ مِثــلي صاحبا أندى يـــداً وأعمَّ جودا
يسقــي النديـــمَ بقَفــرةٍ لم يُسْق فيها الماءَ عُودا

---

1 مسناة : سدّ يعترض به الوادي .

2 العيّوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا .

صفــراءَ صافيــةً كأنّ بكــأسها دُرّاً نَضيــدا
وأجودُ حــين أجودُ لا حَصِراً بــذاكَ ولا بليدا
وإذا استقــلّ بشكرهــا أُوجبــتُ بالشُّكْر المزيدا
خُذهـــا إليــكَ كأنّما كُسِيتْ زُجاجَتُها عُقودا
واجعل عليــكَ بأن تقو مَ بشكرهــا أبداً عهودا

[يوم سرور لا يكمل]

أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني أحمد بن محمد الأنصاريّ ، قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسنَ بن وهب في آخر أيّام المأمون ، فجاءهُ ودخلا حمّاماً له ، وأقاما على لهوهما ، ثم طُلِب الحسنُ بن وهب لعمل احتيج فيه إليه ، فمضى ، وبطل يومهم ، فكتب الحسن إليه : [من السريع]

سقيــاً لنَضرِ الوجـهِ بَسّامِهِ مُهــذَّبِ الأخـلاق قَمقامِهِ[1]
تكسبــه شُكــراً على أنّها مُطبقـــةُ السِّنِّ لِلوّامِـــهِ[2]
زُرْناه في يــوم عــلا قدرُه مــن سائــرِ الأيّام في عامِهِ
أسعــده الله وأحظــى بــه وجــاده الغيــث بإرهامِهِ[3]
فكــان مسروراً بنــا بــاذلاً لرحْلِــهِ الرحــبِ وحمّــامِهِ
نخدمــه وهــو لنـــا خــادم بفضلــه مــــن دون خُدَّامِهِ
ثــم سقانا قَهــوةً لم يــدَعْ أطيــبَ منهــا بقُـرى شامِهِ
صهباء دَلَّــتْ عــلى دَنِّهــا وحدَّثَتْ عــن ضعف إسلامِهِ

فأجابه محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى : [من السريع]

وزائـــرٍ لــذَّ لنــا يومُــهُ لــو ساعد الدهرُ بإتمامِهِ
مــاذا لقينا مــن دواوينه وخطّــه فيهــا بأقلامِهِ

1 القماقم : السيّد .
2 إطباق السن : كناية عن الصمت .
3 الإرهام : الغيث .

أسرّ مـا كنّا فمن مازحٍ ... أو شارب قد عَبَّ في جامِهِ
فارقنـا فالنَّفس مطروفـة ... بواكف الدَّمـع وسجَّامِهِ
وعاد بـالمدح لنـا منعِماً ... بـه إلى سالـف إنعامِهِ
ليت ـ وأنَّى لي بها مُنْيَةً ـ ... لو كنت فيـه بعضَ قُوَّامِهِ
يَشْكر مـا نـال على أنّه ... لا يُشكـرُ الحـرُّ لحمَّامِهِ
أمسحه فيـه وأُدنـو لـه ... مـن خلفـه طوراً وقُدَّامِهِ
جعلت نفسي جُنَّة للصِّبا ... وبِعت إسلامـي بإسلامِهِ
فصار ما يشرب حِلاًّ لـه ... وصـرت مأخـوذاً بآثامِهِ

[ابن الزيات في قيوده]

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب ، قال : سمعت القاسم بن ثابت يحدّث عن أبيه ، قال : قال أحمد الأحول : لما قُبِض على محمد بن عبد الملك الزيّات تلطَّفتُ في الوصول إليه ، فرأيته في حديد ثقيل ، فقلت له : أعْزِزْ عليّ ما أرى ، فقال : [من الرمل]

سَلْ ديارَ الحيّ مـا غيَّرَها ... ومحاهـا ومحـا منظرَهـا
وهي اللاتي إذا ما انقلبت ... صَيَّرت مَعروفَها مُنكرَها
إنّمـا الدُّنيـا كظِلٍّ زائلٍ ... نحمـد الله كـذا قدَّرَها

في هذه الأبيات رمل طنبوري لا أدري لمَن هو ؟

وممّا يغنّى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيّات : [من مجزوء الرمل]

صوت

ظالمـي مـا علمتُـهْ ... مُعتـدٍ لا عدمتُـهْ
مُطْمِعي بالوصال ممـ ... ـتنعٌ حـين رُمتُـهْ
مُرْصِدٌ بالخلاف والـ ... ـمَنْع من حيثُ سُمتُهْ[1]
هاجـرٌ إن وصلتُـهُ ... صابـرٌ إن صَرَمتُـهْ
كم وكم قد طويتُ ما ... بي وكم قـد كَتمتُـهْ

---

1 أرصد له شيئاً : أعدّه له .

رُبَّ همٍّ طويت فيـ ـك وغيظٍ كظمتُـهْ
وحيـاةٍ سئمتهـا والهـوى ما سئمتُـهْ
رُمـتُ شيْئاً هَويتُـه ليس لي مـا حُرِمتُـهْ
قـال إذ صرَّح البكا ءُ بمـا قـد سترتُـهْ
لـو بكى طول دهرِه بـدمٍ مـا رَحِمْتُـهْ

الغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر .

صوت

[من الهزج]

إذا أَحببـتُ لم أَسْلُ وإن واصلـتُ لم أَقطَعْ
وإن عاتبنـي النـاسُ تصاممْتُ فلـم أُسْمَعْ
وقـد جرّبت مـا ضرّ وقـد جرّبت مـا ينفعْ
فمـا مثـل الهوى أَنهَـ ـكُ للجسم ولا أَضْرَعْ
ولا كالهجـرِ في القربِ إلى المـوتِ ولا أَسْرَعْ
وإن أوجعنـي العَـذْل فنِيرانُ الهـوى أَوجعْ
وهـذا عَـدَمُ العقـلِ فمـا أَسْطِيع أن أَصنَعْ
ولا والله مـا عنـدي لما قـد حلَّ بـي مَدْفَعْ
ولا فـيّ لهجرانـ ـك لولا ظلمكمْ موضعْ

الغناء لعريب لحنان : خفيف ثقيل بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

[يمدح الحسن بن وهب]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : حدّثني الحسن بن رجاء ، قال : قدِم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصِّلح ، وامتدحه بقصيدته التي أوّلها : [من الرجز]

كأنّهـا حـين تنـاءَى خَطْـوُهُ أَخْنس مَوْشيُّ الشَّوى يرعى القُلَلْ[1]

1 الأخنس : ذكر البقر الوحشي . موشي الشوى : منقوش الأطراف .

وقال فيها :

إلى الأمير الحسن استنجدْتهـا أيّ مـرادٍ ومَنـاخٍ ومَحلّ
سيف أمير المؤمنـين المنتَضى وحصن ذي الرياستين المُقْتَبِلْ
آبـاؤك الغـرّ الألى جدُّهـمُ كِسرى أنو شروان والناس هَمَلْ
من كلِّ ذي تاجٍ إذا قال مضى كلُّ الذي قـال وإن همّ فَعَلْ
فأيْـنَ لا أيْـنَ وأنّى مِثلُكمْ أنتم الأمـلاك والنّاس خَوَلْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[يتنكّر للحسن بن سهل فيخجله]

قال : ومرض الواثق ، فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً ، ومحمد بن عبد الملك يومئذٍ وزيره ، والحسن بن سهل متعطّل ، فجعل الحسن بن سهل يتكلّم في العلّة وعلاجها وما يصلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام ، قال : فحسده محمد بن عبد الملك ، وقال له : مِنْ أين لك هذا العلم يا أبا محمد ؟ قال : إنّي كنت أستصحب من أهل كلّ صنعة رؤساء أهلها ، وأتعلّم منهم ، ثم لا أرضى إلاّ ببلوغ الغاية ، فقال له محمد ، وكان حسوداً : ومتى كان ذلك ؟ قال : في زمان قلت فيّ : [من الرجز]

فأيـن لا أين وأنّى مثلكم أنتم الأملاك والناس خوَلْ

فخجل محمد بن عبد الملك ، وأطرق ، وعَدَل عن الجواب .

[عسى أمور بعد ذلك تكون]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني ميمون بن هارون بن خلف قال : كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيّات ، وهـو يريـد يومئـذٍ منزلـه ، حتى مرّ بـدار إبراهيم بن رباح ، فـرأى فيها قبّة مشيدة ، فقال : [من الكامل]

أمّا القبابُ فقد أراها شُيِّدَتْ وعسى أُمورٌ بعـد ذاك تكون
عبدٌ عرَتْ منـه خلائقُ جهلِهِ إذ راح وهـو من *الثَّراء سمينُ*

فما كان إلاّ أيّام حتى أُوقع به .

[ابن أبي دواد يكيد له]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الحسن بن عليّ بن عبد الأعلى عن أبيه ، قال : كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيّات وبين أحمد بن أبي دواد ، فكفَّ محمد عن ذكره ، وجعل ابن أبي دواد يخلو بالواثق ، ويغريه به ، حتى قبض عليه وكان فيما بلغه عنه أنّه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه . فقبض الواثق عليه ، ثم أطلقه بعد مدّة ، ثم وزر للمتوكّل ، وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق ، وأشار ابن أبي دواد بالمتوكّل ، وقام وقعد في أمره حتى وُلّي ، وعمَّمه بيده ، وألبسه البُردة ، وقبَّل بين عينيه ، وكان المتوكِّل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفاءه له فيَتجهّمه محمد ، ويُغلظ له الردّ ، إلى أن قال يوماً بحضرته : ألا تعجبون إلى هذا العاصي ، يعادي أمير المؤمنين ، ثم يسألني أن أصلح له قلبه ! اذهب ، ويلك فأصلح نفسَك له ، حتى يصلح لك قلبه . فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق ، فدخل إليه يوماً وقد كان قال للواثق : إنّ جعفراً يدخل إليّ وله شعر قفاً وطُرّة مثل النساء ، فقد ضحك فأمره بأن يحلقهما ، ويضرب بشعرهما وجهه ، فلمّا دخل إليه المتوكِّل فعل ذلك به ، وتجهَّمَه بالقبيح ، فلمّا ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه ، فاستوزره وخلع عليه ، وجعل ابن أبي دواد يغريه به ويَجِد عنده لذلك موقعاً واستماعاً ، حتى قبض عليه وقتله ، فلم يجد له من أملاكه كلِّها من عينٍ وَوَرِق وأثاث وضيعة إلاّ ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فندِم على ذلك ، ولم يجِد منه عوضاً ، وكان أمره ممّا يُعتدُّ على أحمد بن أبي دواد ، ويقول : أطمعتَني في باطل ، وحملتَني على أمر لم أجِد منه عوضاً .

[دندن الكاتب يتنبأ بما حدث له]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : زعم محمد بن عيسى الفساطيطيّ ، أنّ محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب ، وعليه خلع الوزارة للمتوكّل لمّا وزر له ، فقال دندن : [من الكامل]

راح الشقيّ بخلعة النُّكْرِ مثل الهدِيِّ لليلة النَّحْرِ[1]

---

1 الهدي : الضحية ونحوها .

لا تمَّ شهر بعـد خِلْعَتـه حتى تـراه طافِيَ الجَمْرِ
ويُرى يُطامن من إساءته يَهْوي لَـهُ بِقَواصم الظهْرِ

فكان الأمر كما قال .

[في التنور]

قال عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى : فلمّا قبض عليه المتوكّل استعمل له تنُّورَ حديد ، وجعل فيـه مسامير لا يقـدر معها أن يتحرّك إلاّ دخلت في جسده ، ثم أُحماه له وجعله فيه ، فكان يصيح : ارحموني ! فيقال له : اسكت ، أنت كنت تقول : ما رحمت أحداً قطّ ، والرحمة ضعف في الطبيعة ، وخَوَرٌ في المُنّة ، فاصبر على حكمك ! وخرج عليه عبادة ، فقال : أردت أن تَشْوِيَني ، فَشَوَوْك .

[موت ومكايدة]

أُخبرني طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشميّ : قال : قال العبّاس بن طومار : أُمر المتوكّل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيّات ، وقد أحمي تنّور حديد ، وجعله فيه ، فيكايده ، فدخل إليه فوقف بإزائه . ثم قال : اسمع يا محمد ، كان في جيراننا حفَّار يحفر القبور ، فمرضت مخنّثة من جيراني ، وكانت صاحبةً لي ، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم ، فبرأت هي ومرض هو بعد أيّام ، فدخلت إليه صاحبتي وهو بالنزع ، فقالت : ويْ يا فلان ؟ حفرت لي قبراً وأنا في عافية ، أوَ ما علمت أنه مَن حفر بئر سوء وقع فيها ، وحياتك يا محمد ، لقد دفنّاه في ذلك القبر ، والعقبى لك . قال : فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ، ويكايده إلى أن مات .

[الحسن بن وهب يرثيه]

قال الصوليّ : وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك ، وكان في حياته ينتفي[1] منها ، ويجحدها ، ثم شاعت بعد ذلك ، ووجدت بخطّه : [من الوافر]

يكـاد القلب مـن جزعٍ يطيرُ إذا مـا قيـل قـد قُتِل الوزيرُ
أميرَ المؤمنـين هَدَمْـتَ ركناً عليـه رَحـاكُمُ كانـت تدورُ

1 ينتفي منها : يتنصّل منها .

سيُبلى الملك مـن جزعٍ عليه ويخرب حين تَضْطرب الأُمورُ
فمهلاً يـا بنـي العبّاس مهلاً فقـد كُوِيَتْ بفعلكمُ الصدورُ
إلى كم تَنْكُبُـون النـاسَ ظلماً لكـم في كلٍّ ملحمـة عقيرُ
جزيتـم ناصراً لكـمُ المنايا وليس كذلِكُمْ يُجْزَى النَّصيرُ
فكنتم سائقـاً أرسا إليكـم وذلك مـن فعالكـمُ شهيرُ
وكانَ صلاحـه لـو شئتموه قريبـاً لا يحاولـه البصيرُ
كأَنَّ اللهَ صيَّركـم ملـوكاً لئـلاَّ تعدلـوا ولأنْ تجوروا

[504] ـ أخبار أبي حشيشة

[نسبه]

أبو حشيشة لقبٌ غَلَبَ عليه ، وهو محمدُ بن أُميّة بن أبي أُميّة ، يكنى أبا جَعفر ، وكان أهله جميعاً متَّصلين بإبراهيمَ بن المهديّ ، وكان هو من بينهم مَعنيّاً بالطُّنبور ، يُغنّى أحسن غِناء وخَدَم جماعة من الخلفاء أوّلهم المأمونُ ، ومَن بعدَه إلى المعتمِد .

[أبو صالح يكتب له في استتاره]

وله يقول أبو صالح بن يَزداد وكتب بها في استتاره : [من الوافر]

جُعِلْتُ فِداك يا ابنَ أبـي أُمَيّهْ أرى الأيّامَ قد حكمتْ عليَّهْ

وملّنيَ الصديقُ وخانَ عهدي فما أقْرا لكـمْ كتُبـا إليَّهْ

فإن كان الضميرُ كما بـدا لي فهـذا والإلـهِ هـو البَلِيَّهْ

وكان أكثرُ انقطاعه إلى أبي أحمد بنِ الرشيد أيّامَ حياته ، وكان أبوه وجده وأخواله كُتّاباً .

وقرأت على أحمد بن جعفر جَحظةَ ما ذكره عن أبي حشيشةَ في كتابه الذي ألّفه في أخبار مراتب الطُّنبوريين والطُّنبوريّات وكان من ذلك أنه قال : شاهدت أبا حشيشةَ مدّة ، وكان يتغنَّى في أشعار خالد الكاتب وبني أُميّة ، وكانت معه فِقَرٌ من الأحاديث يضعُها مواضعَها ، وكانت له صنعة تقدَّمَ فيها كلَّ طُنبوريّ ، لا أحاشي من قولي ذلك ، فَمِنها : [من الطويل]

كأنَّ همومَ الناس في الأرضِ كُلِّهـا عليَّ وقلبـي بينهم قلـب واحـدِ

ولي شاهـدا عـدلٍ سُهادٌ وعَبرةٌ وكم مُـدَّعٍ للحُبّ من غيرِ شاهدِ

وهو خفيف رَمَل مطلق . قال جَحظةُ : ورأيته في القَدْمةِ التي قدِمها مع ابن المدبّر بين يدي المعتمد ، وقد غنّاه من شعر عليّ بن محمد بن نصر .

صوت

[المجتث]

حُرِمتُ بـذلَ نوالِك واسوأتا مـن فِعالِكْ

لمـــا مَلَلْـــتَ وصـــالي آيسْتِني مـــن وِصالِكْ

فوهبَ له مائتي دينار .

واللحن رَمَل مطلق .

[عريب تفضله على علويه ومخارق]

أخبرني جَحظة فيما قرأتهُ عليه ، قال : حدَّثني ابن نُوْبخت : يعني عليَّ بنَ العبّاس قال : رأيْتُه وقد حضرتْ عَريبُ عند ابن المدبر ، وهو يُغنّي ، فقالت له عَريب : أحسنتَ يا أبا جعفر ، ولو عاش الشَّيْخان ما قلتُ لهما هذا ، تَعني عَلّويَه ومُخارقاً .

[يُهدَّدُ بالجلد إنْ تكلّم]

حدَّثني أبو حشيشةَ ، قال : هجم عليَّ خادمٌ أسودُ ، فقال لي : البِسْ ثيابَك ، فعلمتُ أنّ هذا لا يكون إلاّ عن أمر خليفة أو أميرٍ ، فلم أُراجعه ، حتى لبستُ ثيابي ، فمضيت معه فعبَر بي الجسرَ ، وأدخلني إلى دارٍ لا أعرفها ، ثم اجتاز بي في رِواق فيه حُجَرٌ تفوح منهنَّ رائحةُ الطعامِ والشرابِ ، فأدخِلتُ منهنَّ إلى حجرة مفروشة ، وجاءَني بمائدة كأنّها جَزْعة يمانية قد نشرت في عراصها الحِبَرة[1] ، فأكلتُ وسقاني رِطْلين وجاءَني بصندوق ففتحه فإذا فيه طَنابر ، فقال لي : اخترْ ، فاخترتُ واحداً ، وأخذ بيدي ، فأدخلني إلى دار فيها سَمّاعة وفيها رجلان على أحدهما قَباء غليظ ، وعلى الآخر ثيابٌ مُلحَم[2] وخَزّ ، فقال لي صاحب الخزّ : اجلس ، فجلست ، فقـال : أكلـتَ وشربتَ ؟ فقلت : نعم . قال : عندنا ؟ قلتُ : نعم ، قال : تُغَنّي ما نقول لك ؟ فقلت له : قل ، فقال : تُغنّى بصنعتك : [من الخفيف]

يـا كثيرَ الإقبالِ والإنصرافِ ومَلولاً ولـو أشا قلت خافِ

وهو رَمَل مطلق ، فغنّيتهُ إيّاه ، وجعلَ يطلبُ منّي صوتاً بعد صوت من صَنعتي ، فأغنّيه ، ويستعيده ، ويشرب هو والرجُل ، وأُسقى بالأنصاف المختونة[3] إلى أن صلّوا العشاءَ الآخرة ، وهم لا يشربون إلاّ على الصوتِ الأوّل لا يريدون غيره ، ثم أوْمأَ إليَّ الخادم : قم ، فقمت ، فقال لي صاحبُ القَباء منهما : أتعرفني ؟ قلتُ : لا والله ، قال : أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، وهذا محمد بن راشد الخنّاق ، واللهِ لئن بلغني أنّك تقولُ : إنّك رأيتَني لأضربنّك

1 الحبرة : كناية عن ألوان الطعام الشهية البراقة .

2 مُلْحَم : جنس من الثياب .

3 المختونة : الناقصة .

مائتيْ سَوط ؛ انصرف . فخرجتُ ودفع إلى الخادم ثلاثمائة دينار ، فجهدتُ أن يقبلَ منها شيئاً على سبيل البرّ ، فما فعَل .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني أبو حشيشة : قال : وجّه إليّ إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ، فصرتُ إليه وهو في داره التي على طرَف الخَندق ، فدَعا بجُونة[1] ، فأكل وأكلتُ من ناحية ، ودَعا بسِتارة وقال : تغنَّ بصنعتِك : [من مجزوء الكامل]

عــادِ الهَوى بالكأسِ بردا فأَطِعْ إمــارة مــن تبدَّى

وهو خفيف رَمَل مطلق .

فغنّيتُه مراراً ، ثم ضرب السِّتارة ، وقال : قولوه ، فقالَتْه جاريةٌ فأحسنت غاية الإحسان ، فضحِك ثم قال : كيف تَراه ؟ فقلت : قد والله بغَّضُوه إليَّ ، فازداد في الضحِك ، وأنا أرمقُ جُبّةَ خزٍّ خَضراء كانتْ عليه ، فقال : كم ترمُقُ هذه الجُبَّة ؟ يا غلامُ كانت عشرة أثواب خزّ فقطعت منها هذه الجبّة ، فهاتِ التسعةَ فجيء بها ، فدفعها إليَّ فكنت أبيعَ رُذالَها بستّينَ دِيناراً .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني أبو حشيشة أنّ بَني الجنيد الإسكافيّينَ كانوا أوّل مَن اصطنعه ، وأنّهم كانوا يسمّونه الظَّريف ، وأنّ أوّل منزل أبْتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبرُه ، وتفاقم أمرُه . قال : وكانوا آكلَ الناس ، رأيتُ رجلاً منهم ، وقد أكل هو وابن عمّ له اثنينِ وعشرين رأساً كباراً ، وشَرِبا ، فسكِرا وناما ، ثم انتبها في وقت الظُّهر ، فدعَوا بالطعام ، فعادا إلى الأكل ، ما أُنكر مِنْهما شيئاً .

[المأمون أوّل خليفة سمعه]

ونسختُ من كتاب ألّفه أبو حشيشةَ ، وجمع فيه أخباره مع مَن عاشره ، وخدمَ من الخلفاء ، وهو كتاب مشهور ، قال : أوّل مَن سمِعني من الخُلفاء المأمونُ ، وهو بدمشق ، وصفَني له مُخارق ، فأمر بإشخاصي إليه ، وأمر لي بخمسين ألفَ دِرهم أتجهّزُ بها ، فلمّا وصلتُ إليه أدناني ، وأُعجِبَ بي ، وقال للمعتصِم : هذا ابنُ مَن خدمك وخدم آباءك وأجدادكَ يا أبا إسحاق ، جَدُّ هذا أُميّة كاتب جدِّكَ المهديّ على كتابة السرِّ وبيتِ المال والخاتمَ ، وحجَّ المهديُّ أربعَ حِجَج كان جدّ هذا زميلَه فيها .

1 جونة : سلة صغيرة .

[يضرب لغنائه بشعر فيه ذكر الشيب]

واشتهى المأمونُ من غنائي : [من الرمل]

صوت

كان يُنْهى فَنَهى حينَ انتهى وانجلتْ عنه غياباتُ الصِّبا
خلع اللهوَ وأضحى مُسْبِلا للنُّهى فضلَ قميصٍ ورِدا
كيف يرجو البيضُ مَنْ أوَّلُه في عيون البيض شَيْبٌ وجلا
كان كحلا لمآقيها فقدْ صار بالشيب لعينيها قَذى

الشعر لدِعبِل ، والغناء لمحمد بن حسين بن مُحرز رمَل بالوسطى .

قال أبو حشيشة : وكان مُخارق قد نَهاني أن أُغنّيَ ما فيه ذكرُ الشيبِ من هذا الشعر ، وأن أقتصر على البيتين الأوّلين ؛ لأنّ المأمون كان يشتدُّ عليه ذكرُ الشيب ، ويكرهه جدّاً من المغنّين ، وأمر ألاّ يغنّيَه أحدٌ بشعر قيل في الشيْب أو فيه ذكر له ، فسكرتُ يوماً ، فمررتُ في الشعرِ كلِّه ، فقال : يا مُخارق ، ألا تحسنُ أدبَ هذا الفتى ! فنَقَفني[1] مُخارق نَقْفة صلبة ، فما عُدتُ بعدها لذكر شيء فيه الشيب .

[لكلّ خليفة صوت يحبه]

وذكر أبو حشيشةَ في كتابه هذا ممّا كان يشتهيه عليه المأمونُ وغيره من الخلفاء أصواتاً كثيرةً ، ولا فائدة في ذكرها هاهنا لأنّها طويلة ، فذكرت ممّا كان يختاره عليه كلُّ خليفة صوتاً . قال أبو حشيشةَ : كان المعتصم يَشتهي عليَّ : [من مجزوء الكامل]

صوت

أسرفْتَ في سوء الصنيعِ وفتكتَ بي فتكَ الخليعِ
وولِعتَ بي مُتمرِّداً والعذر في طرف الوَلُوعِ
صبّرتُ حبَّك شافعاً فأُتيتُ من قِبَل الشَّفيعِ

الشعرُ لأصرَم بن حُميد ، والغناء لأبي حَشيشَة .

قال : وكان الواثق يختارُ من غنائي : [من مجزوء الكامل]

---

1 النقف : أشد الضرب بعصا ونحوها .

يـا تاركي متَلدِّد العُـ ـوَّاد جَـذلانَ العُداةِ[1]
انظُـر إليّ بعـين را ضٍ نظـرةً قبل المماتِ
خلَّيتَنـي بـين الوعيـ ـدِ وبين أَلْسِنَةِ الوُشاةِ
مـاذا يُرَجّـي بالحيـا ةِ مُنَغَّصٌ روحَ الحيـاةِ

الشعر لمحمد بن سعيد الأسديّ ، والغناء لأبي حَشيشَة خفيف رَمَل .

قـال : وكان المتوكّل يحبُّني ، ويستخفُّني ، وكانت أغانيه التي يشتهيها عليّ كثيرةً منهـا : [من المتقارب]

صوت

أطعتُ الهوى وخلعتَ العِذارا وباكرتَ بعد القَراح العُقارا[2]
ونازعكَ الكأسَ من هاشم كريـمٌ يحـبُّ عليها الوَقارا
فتـى فـرّق الحمـدُ أمواله يَجُرّ القميصَ ويُرخي الإزارا
رأى اللهُ جعفـرَ خيرَ الأنـام فملّكـه ووقـاهُ الحِـذارا

الشعرُ والغناءُ لأبي حَشيشَة .

قال : وكان الفتح بن خاقان يشتهي عليّ : [من الكامل]

صوت

قالوا عشقتَ فقلتُ أُحسنَ من مَشى والعشقُ ليس على الكريـمِ بعارِ
يا مَن شكوتُ إليه طول صبابتي فأجابنـي بتجهُّـمِ الإنكـارِ

قال : وكان المستعين يشتهي عليّ : [من المتقارب]

صوت

وما أنسَ لا أنسَ منها الخشوعَ وفيضَ الدّمـوع وغمزَ اليدِ
وخَـدّي مُضافـاً إلى خدّهـا قيامـاً إلى الصُّبـح لم نرْقُدِ

الشعر لمحمدِ بن أبي أُميّة والغناءُ لأبي حشيشة .

---

1 متلدد العواد : متحير الزائرين .

2 العقار : الخمر .

قال : وأخبرني محمد بن عليّ بن عِصْمة ، وكان إليه الزهدُ في الدُّنيا كلِّها ، قال : حضرتُ المعتزَّ وقد ورد عليه جوابُ كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكان كتب إليه يطلُبني منه ، فكتب إليه محمد : إنّي عَليلٌ ، لا فضلَ فيَّ للخدمة ، قال أبو عِصمة : فقال لي المعتزّ : يا أَبا محمد ، صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر ، فقلتُ له : يا سيِّدي ، أنا أَعلم الناس بخَبرِه ، هو والله عليل : ما فيه موضع لخدمةِ أَمير المؤمنين ، قال : ثم ذكرني المعتمد . وحرّضَه عليّ ابنُ حَمدون ، فكتب إلى أيّوب سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذٍ أمير بَغداد ، في إشخاصي ، فشخَّصني إليه من ساعتي ، فأكرمني ، وأدْنى في مجلسي ، وأمر لي بجائزة ، واشتهى عليّ : [من الكامل]

قلبي يُحبُّكِ يا مُنى قلبي ويُبغضُ من يُحِبُّكْ
لأكونَ فرداً في هوا كِ فليتَ شِعري كيفَ قَلبُكْ

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والصنعةُ لأبي حشيشة رمل .

[مع إبراهيم بن المهدي]

قال أبو حشيشة : سمع إبراهيم بن المهديّ أصواتاً من غناء محمد بن الحارث بن بسخُنّر وعمرو بن بانة ، فاستحسنها وأخذها جواريه ، وقال : الطُّنبور كُلُّه باطل ، فإن كان فيه شيء حقّ فهذا . وأشتهي أن يسمعني . فهبته هيبة شديدة ، وقلت : إن رضيَني لم يزِد ذلك في قَدري ، وإن لم يرضَنِي بقيتُ وصمةً آخرَ الدّهر ، وكان يطلُبني من محمد بن الحارث بن بسخُنّر خاصة ، ومن إسحاق بن عمرو بن بزيع ، فكنتُ أفرُّ منهما ، حتى صِرتُ بسُرَّ مَن رأى ، وأنا في تلك الأيّام منقطعٌ إلى أبي أحمد بن الرشيد ، ونحن في مضاربَ لم نكن سكنَّا المنازل بعدُ ، فوافى إلى أبي أحمد بن الرشيد رسولُ إبراهيم بن المهديّ فأبلغه السلامَ ، وقال : يقول لك عَمُّك : قد أعْيَتْنيَ الحِيَلُ في هذا الخبيثِ ، وأنا أحبُّ أن أسمعه ، وهو يهرُبُ منِّي ، فأحبُّ أن تبعثَ به إليَّ ، وتكون زَبْربُ معه تُؤْنسه . فقال لي : أبو أحمد : لا بدَّ أن تمضيَ إلى عمِّي ، فجهدتُ كلَّ الجَهد أن يُعفِيَني ، فأبى ، فلمّا رأيت أنّه لا بدّ لي منه لبستُ ثيابي ، ومضيتُ إليه ، وهو نازل في دسْكرة ، فرحّب بي وقرّب ، وبسطَني كلَّ البسط ومعي زَبْربُ ، ودَعا بالنبيذ ، وأمر خَدَماً له كباراً ، فجلسوا معي وشربوا وسقَوْني . وعرض لي بكلِّ حيلة أن أغنّيَ ، فهبتُه هيبة شديدة ، وحَصِرتُ . وشرِبَ ، ودعا بثلاث جوار ، فخرجن

وجلسن ، وقال لهنَ : قُلنَ : [من المنسرح]

صوت

كيفَ احتيالي وأنتَ لا تصلُ عِيل اصطباري وقلَّتِ الحيلُ
إن كان جِسمي هواكَ يُنحِله فـإن قلبـي عليـك يتَّكِلُ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء لأبي حشيشةَ رمل . وكان يسمِّيه الرُّهبانيّ ، عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رُهبانٍ في الليل يردِّدُونه ، فغنّاه عليه .

فقالتْه إحداهنّ ، فذهب عقلي ، وسمعت شيئاً لم أسمع مثلَه قطُّ ، فقال : يا خليلي ، أهـذا لك ؟ فقلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، وأخذتني رِعْدة ، ثم قال لهنّ : إيهِ ، قُلن : [من مجزوء الخفيف]

صوت

رَبِّ مـا لي ولِلْهـوى مـا لهـذا الهـوى دَوا
حازَ طَرْفي الذي هوى الـ ـحُسْنُ قَلبي وما حوى

الشعرُ لخالدٍ ، والغناء لأبي حشيشةَ رَمَل .

فَغَنَّتْهُ فسمعتُ ما هو أعجبُ من الأوّل ، فقال : يا خليلي ، هذا لك ؟ قلت : نعمْ يا سيِّدي ، قال : هكذا أُخذناهما من محمد بن الحارث ، ثم شربَ رِطلاً آخر ، فقلت : يا نفس ، دعـاكِ الرجُـل يَسْمعكِ ، أو يُسمعكِ ، وقوّيت عزمي ، وتغنّيته بشعر خالد الكاتب ، وهو هذا : [من المتقارب]

صوت

لئنْ لـجَّ قلبُـك في ذكـره ولـجَّ حبيبُـكَ في هَجـرِهْ
لقد أورث العينَ طولَ البُكا وعـزّ الفـؤادُ عـلى صَبرِهْ
فإن أذهبَ القلبَ وجدٌ بِـه فجسمُـكَ لا شكَّ في إثْرِهْ
وأيُّ مُحـبٍّ تجافى الهَـوى بطُـولِ التفكُّـرِ لم يُبْـرِهْ

فجعل يُردّد البيتَ الأوّلَ والبيتَ الأخير ، وقال لي : لا تَخرجنَّ يا خليلي من هذا إلى غيره ، فلم أزل أردده عليه ، حتى شَرِب ثلاثاً ، واسترحتُ ساعةً ، وشربتُ وطابت نفسي ، ثم استعادني فغنّيته ، فأُعجِبَ به خلافَ الأوّل ، فنظر إليّ وضَحِك ، ولم يقُل شيئاً ، وشرب رِطلاً رابعاً وجاءت المغرب ، فقال لي : يا خليلي ، ما أشكّ في أنّك قد أوحشت ابني منكَ ،

فامضِ في حفظ الله تعالى . فخرجت أطير فرحاً بانصرافي سالماً ، فلمّا وافيتُ أبا أحمد ، وبصَر بي من بعيد قال : حِنطة ، أو شعير ؟ فقلت ، بلِ سِمْسِم وشَهْدٌ ، انْجُ على رغم أنفِ مَن رغم ، فقال : ويحكَ ، أتُراني لا أعرفُ فضلَك ، ولكن أحببتُ أن أستعينَ برأيه على رأيي فيك ، وقصصتُ عليه القصة ، فسرّه ذلك ، ولم يرضَ حتى دسَّ إليه محمدَ بن راشد الخناق ، فسأله عني ، فقال : ما ظننت أن يكون في صناعته مثله .

[إسحاق يزكيه]

قال أبو حشيشة : وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصليّ غنائي فاستحسنه ، فسأل عني ، فقال : غناء الطُّنبور كله ضَعيف ، وما سمعتُ فيه قطُّ أقوى ولا أصحَّ من هذا .

[موت أبي حشيشة]

حدّثني جحظةُ ، قال : كان سببُ موت أبي حشيشة بسُرّ مَن رأى ، أنّ قلماً غلام الفضلِ بن كاووس صار إليه في يوم بارد ، فدعاه إلى الصّبوح ، فقال له : أنا لا آكل إلاّ طعاماً حاراً ، وليس عندكَ إلاّ فُضَيلة من مجليّة ، قال : تساعدني ، وتأكل معي ، فأكلَ منها ، فجمّدَتْ دمَ قلبه ، فمات ، فحملَه إبراهيمُ بنُ المدبّر إلى بناتِه وما كسبه بِسُر مَن رأى معه ، فاقتسمْنَه بينهُنَّ .

صوت

[من المنسرح]

سَقياً لقاطولَ لا أرى بلَداً أَوْطَنَهُ الموطِئون يُشْبهُها
أمنا وخفضا ولا كَبهْجَتِها أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهُها

البيت الأول من البيتين لِعنان جارية الناطفيّ ، والثاني يقال : إنّه لعمْرو الوراق ، ويقال إنّه لأبي نُواس ، ويقال بل هو لها .

والغناء لعَريب خفيف رَمَل . وكان الشعر : «سَقْيا لبغداد» فغيّرته عريب وجعلت مكانه «سقيا لقاطول» .

[505] ـ أخبار عنان

كانتْ عِنان مولّدةً من مولّدات اليمامة ، وبها نشأتْ وتأدّبتْ ، واشتراها الناطفيّ ، وربّاها ، وكانت صفراءَ جميلةَ الوجه ، شَكِلة[1] مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة . وكان فحول الشعراء يساجلونها ، ويقارضونها ، فتنتصف منهم .

[مساجلة فاحشة بينها وبين أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ صهرُ المبرِّد النحويّ وعليٌّ بنُ صالح بن الهيثم قال : حَدَّثنا أبو هِفَّان عن الجمَّاز قال : دخل أبو نواس يوماً على عِنان جاريةِ الناطفيّ ، فتحدّثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت شعراً ، فقالت : هاتِ فقال : [من مجزوء الرمل]

إن لي أَيْــراً خبيثاً ... لونُه يَحكي الكُميتا
لو رأى في الجوّ صَدْعاً ... لنَــزا حتّــى يموتا
أو رآه فــوق سقفٍ ... لتحــوَّل عنكَبُــوتا
أو رآه جــوفَ بحرٍ ... خِلتَه في البحرِ حُوتا

قال : فما لبثَتْ أن قالت : [من مجزوء الرمل]

زوّجوا هــذا بألْفٍ ... وأظُــنَّ الألـف قُوتا
إنّــي أخشى عليــهِ ... إن تَمادى أن يمُوتا
بادروا ما حلَّ بالمسـ ... ـكين خوفاً أن يَفُوتا
قبــل أن يَنْتكس الدّ ... اءُ فلا يأتــي ويُوتى

قال : ودخل إليها يوماً ، فقال : [من المجتث]

مــاذا تريــنَ لِصَبٍّ ... يريدُ منــك قُطَيرَهْ

1 شكلة : ذات غنج ودلال .

فأجابته : [من المجتث]

إيـايَ تَعنـي بهـذا عليـك فاجْلدْ عُمَيرَهْ

فقال لها : [من المجتث]

أُريدُ هـذا وأَخْشى على يدي منكِ غَيْرَهْ

قال : فخجِلتْ وقالت : تَعِستَ ، وتعِس مَنْ يَغارُ عليك .

[تطارح أبا حنش]

أخبرنا أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ : قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة : قال : حدَّثني أَبو أَحمد بن معاوية : قال : سمعت أَبا حَنَشٍ يقول : قال لي الناطفيّ : لو جئتَ إلى عِنان فطارحتَها ، فعزمتُ على الغدوّ ، فبتُّ ليلتين أحوكُ بيتين ، ثم غدوتُ عليها فقلتُ : [من الطويل]

أُحَـبُّ المِلاحَ البيضَ قلبـي ورُبّما أَحَبَّ المِلاحَ الصُّفْر من وَلَد الحَبَشْ
بكيـتُ على صفـراء منهنّ مـرّةً بكاءً أَصاب العـينَ مِنّيَ بالعَمَشْ

فقالتْ : [من الطويل]

بكيـتُ عليهـا أَنَّ قلبـي يحِبُّها وأَن فُؤادي كالجَناحين ذُو رَعَشْ
تَعَنَّيتَنـا بالشِّعْـرِ لمـا أَتَيْتَنـا فدونَك خذْه محكماً يا أَبا حَنَشْ

[هي أشعر الجن والإنس]

أَخبرني أَحمدُ : قال : حدَّثني عمر بن شبّة : قال : حدَّثني أَحمد بنُ مُعاوية : قال : سمعتُ مروان بن أَبي حفصة يقول : لَقِيَني الناطفيّ ، فدعاني إلى عِنان ، فانطلقتُ معه ، فدخل إليها قبلي ، فقال لها : قد جئتُكِ بأشعر الناس ، مروان بن أَبي حَفْصة ، فوجدها عليلةً ، فقالتْ له : إنّي عن مروانَ لفي شُغل ، فأهوى إليها بسوْط فضربها به ، وقال لي : ادخُل ، فدخلتُ وهي تبكي ، فرأَيت الدموع تَنْحدِر من عينيها فقلتُ : [من السريع]

بكتْ عنانٌ فجرى دمْعُها كالدُّرِّ إذ يسبقُ مـن خَيطِهْ

فقالت وهي تَبكي : [من السريع]

فليت مَـن يَضربُهـا ظالماً تيْبَس يُمنـاهُ عـلى سَوطِهْ

فقلت : أَعتق مروانُ ما يملك إن كان في الجنّ والإنس أَشعر منها .

[تجيز ما لا يجاز]

أَخبرني الجوهريّ ، قال : حدَّثنا أَبو زيد عن أَحمد بن معاوية : قال : قال لي رجل : تصفَّحتُ كُتُباً ، فوجدت فيها بيتاً جَهدت جهْدِي أَن أَجد مَن يُجيزه ، فلم أَجد ، فقال لي صديق : عليك بعِنان جارية الناطفيّ ، فجئتُها فأَنشدتُها : [من الطويل]

صوت

وما زالَ يشكُو الحبّ حتى رأَيتُهُ تنفّسَ في أَحشائـــه وتكلَّما

فما لبثت أَن قالت : [من الطويل]

ويَبكي فأَبكـي رحمـةً لبُكائه إذا ما بكى دمْعاً بكيتُ له دَما

في هذين البيتين لحن من الرَّمَل ، أَظنُّه لجحظةَ أَو لبعض طبقته .

[تعايي شاعراً]

قرأتُ في بعض الكتب : دخل بعضُ الشُّعراء على عِنان جارية الناطفيّ ، فقال لها مولاها عايِيه ، فقالتْ : [من المنسرح]

سَقياً لبغداد لا أَرى أَبداً يسكنه الساكنون يُشبهها

فقال : [من المنسرح]

كأَنّها فِضَّـةٌ مُمَوَّهـةٌ أَخْلَصَ تمويهَهـا مُمَوِّهُها

فقالتْ : [من المنسرح]

أَمنٌ وخفض ولا كَبَهجَتِها أَرغدُ أَرضٍ عيشاً وأَرفَهُها

فانقطع .

أَخبرني أَحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار ، قال : حدَّثني ابن أَبي سَعيد قال : حدَّثني مسعودُ بن عيسى ، قال : أَخبرني موسى بن عبد الله التَّميميّ ، قال : دَخَل أَبو نُواس على الناطفيّ ، وعنانُ جالسةٌ تبكي ، وخَدُّها على رَزَّة من مِصراعِ الباب ، وقد كان الناطفيّ ضربها ، فأَومأ إلى أَبي نواس أَن يحرّكها بشيء ، فقال أَبو نُواس : [من المنسرح]

عنان لو جُدْتِ لي فإِنّيَ من عمريَ في آمَنَ الرسول بما

فردّتْ عليه عِنانُ : [من المنسرح]

فإن تمادى ولا تمادَيْــتَ في قطعك حَبلي أكُنْ كمَن ختَما

فردَّ عليها أبو نُواس فقال : [من المنسرح]

علقتُ مــن لو أتــى على أنفُـ ـسِ الماضينَ والغابرينَ ما نَدِما

فردَّتْ عليه : [من المنسرح]

لــو نظـرتْ عينُها إلى حَجَرٍ ولَّــد فيــه فُتورهـــا سَقَما

[لا بديل لخاتمها]

أخبرني ابنُ عمّار ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مهروَيْه : قال : حدَّثني محمد بن أبي مروان الكاتب : قال : أخذ أبو نُواس من عِنان جارية الناطفيّ خاتماً فَصُّه أحمر ، فأخذه أحمد بن خالد حيلويه من أبي نُواس ، فطلبته منه عِنان ، فبعث إليها مكانه خاتماً فَصُّه أخضر ، فاتَّهمتْه في ذلك ، فكتب أبو نواس إلى أحمد بن خالد ، فقال : [من السريع]

فدتْكَ نفسي يــا أبا جعفرٍ جاريــةٌ كالقمـــر الأزهــرِ
تعلقتْنــــــي وتعلَّقْتُهــــــا طِفلينِ في المهـدِ إلى المكْبرِ
كنتُ وكانت نتهادى الهوى بخاتمينـــا غيرَ مستنكـــرِ
حنَّت إلى الخاتم منِّي وقد سلَبتني إيّــاه مــذ أشهُرِ
فأرسلــتْ فيــه فغالطْتُها بخاتَــمٍ في قَــدّه أخضرِ
قالت : لقــد كان لنا خاتَمٌ أحمــرُ أهــداه إلينا سرِي
لكنّــه عُلِّــق غَيري فقــدْ أهدى لــه الخاتَم لا أمتري
كفـــرتُ بـــالله وآياتِـــه إن أنــا لم أهجـرْه فليصبرِ
أو فأتِ بالمخرجِ من تُهمَتي إيّـــاه في خاتَمِنـــا الأحمرِ
فارْدُدْه تَرْدد وصلَها إنّهـــا قُــرّةُ عَيني يـــا أبا جَعْفَرِ
فإنّنـــي متَّهَـــمٌ عندهـــا وأنت قــد تعلَم أنّي برِي

قال : فردّ إليه الخاتم ، وبعث إليه معه بألفي درهم .

[الرشيد أشعر منها]

أخبرني ابن عمّار وعليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرد ، عن

المازنيّ عن الأصمعيّ ، وقال ابن عمّار في خبره عن بعض أُصحابه ، أُظنُّه المازنيّ ، عن الأصمعيّ ، قال : ما رأيتُ أثر النبيذ في وجه الرشيد قطُّ إلاّ مرَّةً واحدة ، فإنّي دخلتُ إليه أنا وأبو حفص الشَّطَرَنْجي ، فرأيت التّخثُّر[1] في وجهه ، فقال لنا : استبقا إلى بيتٍ بل إلى أبيات ، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف دِرهَم ، قال : فأشفقتُ ، ومنعتني هيبته ، قال : فقال أبو حفص : [من الخفيف]

كلَّما دارتِ الزجاجةُ زادتـ ـــه اشتياقاً وحُرقــةً فبكاكِ

فقال : أحسنتَ فلك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالتِ الهيبة عنّي ، فقلتُ : [من الخفيف]

لم ينلْكِ الرجاءُ أن تحضُريني وتجافتْ أمنيَّتــي عــن سواكِ

فقال : لله درُّكَ ! لك عشرون ألف دِرهم ، قال : فأطرقَ مليّاً ، ثم رفع رأسه إليّ ، فقال : أنا والله أشعرُ منكما ، ثم قال : [من الخفيف]

فتمنَّيــتُ أن يَغَشِّيَنــي اللـــ ــــهُ نُعاسا لعــلَّ عَيْنــي تَراكِ

[الأصمعي يصرف الرشيد عنها]

أخبرني ابنُ عمّار والأخفشُ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيد عن المازنيّ : قال : قال الأصمعيّ : بعثتْ إليّ أُمُّ جَعفر أنّ أمير المؤمنين قد لَهِج بذكر هذه الجارية عِنان ، فإن صرفتَه عنها فلك حكمك . قال : فكنتُ أُريغُ[2] لأن أجد للقول فيها موضعاً ، فلا أجدُه ، ولا أقدمُ عليه هيبةً له ، إذ دخلتُ يوماً فرأيتُ في وجهه أثر الغضب ، فانخزلْتُ ، فقال : ما لك يا أصمعيُّ ؟ قلت : رأيت في وجه أمير المؤمنين أثَرَ غضبٍ ، فلعنَ اللهُ مَنْ أغضَبه ! فقال : هذا الناطِفيّ والله ، لولا أنّي لم أجُرْ في حكم قطّ متعَمِّداً لجعلتُ على كلّ جبلٍ منه قطعةً ، وما لي في جاريته أَرَبٌ غير الشعر ، فذكرت رسالة أُمّ جعفر ، فقلت لَهُ ، أجلْ والله ما فيها غير الشعر ، أفيسرّ أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدَقَ ؟ فضحِكَ حتى استلقى ، واتَّصل قولي بأُمّ جعفر فأجزلَتْ لي الجائزةَ .

1 التخثّر : غثيان النفس .

2 أريغ : أطلب .

[الرشيد يلح في طلبها]

أخبرني عَمّي والحسنُ بن عليّ ، قالا : حدَّثنا عُمرُ بن محمد بنِ عبد الملك الزيات ، قال : حدَّثني محمد بن هارون ، عن يعقوبَ بن إبراهيم : أن الرشيد طلب من الناطفيِّ جاريتَه ، فأبى أن يبيعَها بأقلَّ من مائة ألْف دينار ، فقال : أُعطيك مائةَ ألْفِ دينار على أن تأخذ بالدينار سبعةَ دراهم ، فامتنع عليه ، وأمر أن تُحمَلْ إليه ، فذكروا أنّها دخلتْ مجلسه ، فجلستْ في هيئتها تنتظره فدخل عليها ، فقال لها : ويلك ! إنّ هذا قد اعتاصَ عليَّ في أمركِ ، قالت : وما يمنعك أن توفيَه وتُرضيَه ؟ فقال : لَيْس يقنعُ بما أُعطيه ، وأمرها بالانصراف . فبلغني أنّ الناطفيّ تصدَّقَ بثلاثين ألْف درهم حين رجعتْ إليه ، فلم تزلْ في قلب الرشيد حتى مات مولاها ، فلمّا مات بعث مسروراً الخادم ، فأخرجها إلى باب الكرَخ ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيديّ قد جلَّلَها ، فنوديَ عليها : مَن يزيد ؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها ، وقال : هذه كَبِدٌ رطْبة ، وعلى الرجل ديْنٌ ، فأشاروا بِبيعها ، قال : فبلغني أنّها كانت تقولُ ، وهي في المصطَبة : أهان الله مَن أهانني ، وأذَلَّ مَن أذلَّني ، فَلكزها مسرورٌ بيده ، وبلغ بها مسرورٌ مائتيْ ألْف درهم ، فجاءَ رجل ، فقال : عليّ زيادةُ خمسةٍ وعشرين ألف درهم ، فلكزه مسرورٌ ، وقال : أتزيد على أمير المؤمنين !

ثم بلغ بها مائتين وخَمْسينَ ألْفا ، وأخذها له قال : ولم يكن فيها شيء يعاب ، وطلبوا لها عيباً لئلاّ تصيبها العينُ ، فأوقعوا بخنصرَ رجلها شيئاً . وأولدها ابنين ، قال : أظنّهما ماتا صغيرين ، ثم خرج بها إلى خُراسان ، فمات هناك وماتت عِنان بعده .

[أبو نواس يُشَبِّبُ بها]

قال : وأنشدنا لأبي نُواس في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد ويذكُر عِنان في تشبيبها : [من السريع]

عِنان يـا مَن تُشبه العِينا ... أنـتِ على الحُبِّ تلومينا

حُسنكِ حُسْنٌ لا أرى مثلَه ... قـد تـرك الناس مَجانينا

[بينهما وبين العبّاس بن الأحنف]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُليل العَنَزيّ : قال : حدَّثني أحمد بن القاسم العِجليّ : قال : حدَّثني أبو القاسم النخعيّ قال : كان العبّاس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطفيّ ، فجاءني يوماً ، فقال : امض بِنا إلى عِنان جارية الناطفيّ ، فصرنا إليها ، فرأيتها

كالمهاجرةِ له ، فجلسنا قليلاً ، ثم ابتدأ العبّاس فقال : [من مجزوء الرمل]

قال عبّاسٌ وقَـد أُجْـ ـهِد من وجدٍ شديدِ
ليس لي صبرٌ على الهَجْـ ـرِ ولا لَذْعِ الصُّدُودِ
لا ولا يَصْبِر للهجْـ ـرِ فـؤادٌ من حَديدِ

فقالت عنان : [من مجزوء الرمل]

مَن تـراهُ كان أغنى منكَ عن هذا الصدودِ
بعد وصلٍ لـكَ منّي فيــه إرغامُ الحَسودِ
فاتَّخذ للهَجْرِ إن شئـ ـتَ فؤاداً من حديدِ
مـا رأينـاكَ على مـا كنت تَجني بجَليدِ

فقال العبّاس : [من مجزوء الرمل]

لــو تجودينَ لصَبٍّ راح ذا وجدٍ شديدِ
وأخي جهلٍ بما قدْ كان يَجْني بالصدودِ
ليس مَن أحدثَ هَجْراً لصديــقٍ بسَديــدِ
ليسَ منه الموتُ إن لَمْ تَصليــه بِبَعيــــدِ

قال : فقلتُ للعبّاس : ويحكَ ! ما هذا الأمرُ ؟ قال : أنا جنيت على نفسي بِتتايُهي عليها ، فلم أبرحْ حتى ترضَّيتُها له .

[أبو نواس يبغض الرشيد فيها]

أخبرني الحسنُ بن عليّ : قال : حدَّثنا الحارثُ بن يحيى بن حَمَد بن أبي ميَّة : قال : حدَّثني يحيى بن محمد : أنّ الرشيد كان يساوم بعِنان جارية النَّطافيّ ، فبلغ ذلك أُمَّ جعفر ، فشقَّ عليها ، فدسَّت إلى أبي نواس أن يحتالَ في أمرِها فقال يَهجوها : [من السريع]

إن عِنـــانَ النطّافيّ جاريةٌ أصبح حِرُّها للنَّيْكِ مَيدانا
ما يشتريهـــا إلاّ ابنُ زانية أو قَلْطَبانٌ يكون مَن كانا[1]

1 القرطبان والقلطبان : الديوث الذي لا غيرة له .

فبلغ ذلكَ الرشيدَ ، فكان يقولُ : لعن اللهُ أبا نواس ، وقبَّحه فلقد أفسدَ عليّ لذّتي في عِنان بما قال فيها ، ومنعني من شِرائها .

صوت

[من السريع]

ما لي وللخمرِ وقــد أُرعشَت مِنّي يَميني هــاتِ باليُسرى

حتــى تَــراني مائــلاً مُسنَدا لا أَستطيعُ الكـأسَ بالأخرى

الشعر للحسن بنِ وَهْب ، والغناء لعبدِ الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ، خفيف ثَقيل بالوُسطى ، وفيه أيضاً له خفيف رَمل بالبنصر .

[506] ـ أخبار الحسن بن وهب[1]

[نسبه]

هو الحسنُ بنُ وَهْب بن سعيد ، كاتب شاعر مترسِّلٌ فصيح أديب ، وأخوه سُليمان بنُ وهب فَحْل من الكتَّاب ويكنى أبا عليّ ، وهو عريق في الكتابة ، ولأولاده نَجابةٌ مشهورة تستغني عن وصف ذلك ، وكانوا يقولون إنّهم من بَني الحارث بن كعب ، وأصلُهم نَصارى ، وفي بني الحارث نَصارى كثير .

[قول البحتري فيه]

وفي الحسن بن وهبْ يقول البُحْتريّ : [من الخفيف]

يا أخا الحارثِ بنِ كعب بن عمرو أشُهوراً تَصومُ أم أيّاما

وكان البُحتُريّ مدَّاحاً لهم ، وله في الحسن ، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته : [من الوافر]

أناةً أيُّها الفَلكُ المُدارُ أنهبٌ ما تطرَّق أم جُبارُ

نزلنا منزلَ الحسنِ بن وهبٍ وقد دَرَستْ مغانيهِ القِفارُ

يقول فيها يصف صَبوحاً كانوا قد اصطَبحوه :

أَقمنا ، أكْلُنا أكلُ استلابٍ هُناكَ وشربُنا شُربٌ يُدارُ

تنازعْنا المدامةَ وهي صِرْفٌ وأعجلْنا الطبائخَ وهْي نارُ

ولم يكُ ذاك سُخْفاً غيرَ أنّي رأيت الشَّرْب سُخْفُهمُ الوَقارُ

أخبرني الصوليّ ، وذكر ذلك عن جماعةٍ من الكتاب : أنّ الحسنَ بنَ وهب كان أشدّ تمسكاً بالنسب إلى بني الحارث بن كعب من أخيه سُليمان ، وكان سليمان يُنكر ذلك ، ويعاتبُ عليه أخاه الحَسْن وابنَه أحمد بنَ سليمان . وأصلهم من قرية من سواد واسط في جسر سابور يقال لها «سارَقيقا» .

1 أنظر أخباره في : الفهرست : 136 ، والسمط 506 وابن خلكان 2 : 15–18 ومصورة ابن عساكر 4 : 604 وتهذيب ابن عساكر 4 : 256 والوافي 12 : 297 والفوات 1 : 367 وفي معجم الأدباء 1019–1022 .

[يتباهون بحفظ أشعاره]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثني عمر بن نصر الكاتب ، وكان من مشايخ الكتّاب بِسُرَّ مَن رأى ، قال : كنّا نتهادى ونحن في الديوان أشعارَ الحسن بن وهب ، ونتباهى بحِفْظها ، قال : وأنشدني له ، وكتب بها إلى أخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس في أيّام الواثق : [من الكامل]

خطبٌ أبا أيوبَ جلَّ محلّه ... فإذا جزعتَ من الخطوب فمن لَها
إنّ الذي عَقَد الذي انعقدتْ به ... عُقَدُ المكاره فيكَ يُحْسِن حلَّها
فاصبرْ لعلَّ الصبرَ يفتِق ما ترى ... وعسى بها أن يَنْجَلي ولعلَّها

قال : وكتب إليه أيضاً وهو في الحبس بسُرَّ من رأى : [من الطويل]

خليلَيَّ من عبدِ المَدان تروَّحا ... ونُصَّا صدورَ العيس حَسْرى وطُلَّحا[1]
فإنَّ سليمان بن وهب ببلدةٍ ... أصابَ صميمَ القلب منّي فأقْرَحا
أُسائلُ عنه الحارسينَ لحَبْسه ... إذا ما أتوني : كيف أمسى وأصبحا
فلا يُهنِىء الأعداءَ أسْرُ ابن حُرّةٍ ... يَراه العِدا أندى يميناً وأسمحا
وأنهضَ للأمر الجليلِ بعزْمَةٍ ... وأقرعَ للباب الأصمِّ وأفتحا

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ : قال : حدَّثني محمد بن موسى بن حمّاد : قال : وجّه الحسن بن وهب إلى أبي تمّام وهو بالوصل خِلَعاً فيها خزٌّ وَوَشْيٌ ، فامتدحه بقصيدة أوّلُها : [من المنسرح]

أبو عَليّ وَسْمِيُّ منتجِعَهْ ... فاحْلُلْ بأعلى واديه أو جَرَعِهْ

ثم وصف الخِلْعة فقال :

وقد أتاني الرسولُ باللبس الفَخْـ ... ـم لصَيف امرىءٍ ومُرتَبعِهْ
لو أنّها جُلِّلتْ أُوَيْساً لقد ... أسرعتِ الكِبرياء في وَرَعِهْ
رائقُ خَزٍّ أجيدَ سابِرُه ... سَكْبٌ تدين الصِّبا لمدَّرعِهْ
وسرُّ وشْيٍ كأنَّ شِعريَ أحْيا ... نًا نسيبُ العيونِ من بِدَعِهْ

1 النص : استخراج جهد الناقة في السير . وحسر وطلح البعير : أعيا وتعب .

تركتْني ساهـر الجفونِ على أزْلمِ دهـرٍ بحُسنها جذَعِهْ

يعني الدهرَ ، والدهر يقال له : الأزْلم الجذَع ، والأَزلم : الطويل ، والجذَع : الجديد : يقول : هو قديم سالِف ، ويومُه جديد ، قال لقيطٌ الإياديّ : [من البسيط]

يـا قـوم بيضتُكم لا تفضحنَّ بها إنّي أخاف عليها الأزلَم الجذَعا[1]

[موقفه من سجن أخيه]

أخبرني الصوليّ : قال : حدّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : لما حَبس محمد بن عبد الملك الزيات سليمانَ بن وهب ، وطالبه بالأموال وقْت نكبته قال الحسن بنُ وهب : [من الطويل]

خليـليّ مـن عبد المـدان تروَّحا ونُصّا صدورَ العِيسِ حَسْرى وطُلَّحا

فإنَّ سليمان بـن وهـبٍ بمنزلٍ أُصاب صميم القلب منّي فأقرحا

أُسائـل عنـه الحـارسيْن لحبسه إذا مـا أتوني كيفَ أمسى وأَصبَحا

فلا يُهنىء الأعداءَ حبسُ ابنِ حرّة يـراه العِـدا أندى يميناً وأسمحا

وقُـولا لهمْ صَبراً قليلاً وأَصبِحوا فما أَقرب الليلَ البهيمَ من الضُّحا

قـال : وقيل لـه وسُليمـانُ محبوسٌ : كيف أصبحْتَ ؟ قال . أُصبحتُ واللهِ قليلَ النّشاط ، كالَّ القريحةِ ، صَدِىء الذهْنِ ، ميّت الخاطرِ من سوء فعل الزّمان ، وتوارُد الأحزان ، وتَغَـيُّر الإخوان ، قال : وآلى ألاَّ يذوقَ طعاماً طيّباً ، ولا شرب ماء بارداً ، ما دام أخوه محبوساً ، فوفَّى بذلك .

[من قوله في حاج]

أخبرني الصوليّ : قال : أخبرني أبو الأسود : قال : كان للحسن بن وهب جارٌ هاشميّ ، يلقَّب بالطيْر ، فحجّ سنةً من السنين ، ورجع آخر الناس ، فقال فيه الحسنُ : [من الوافر]

أينقصُ أم يزيـدُ مـن الرقاعهْ أخـو حُمْقٍ لـه الدُّنيا مشاعَهْ

يحـجّ على الجِمالِ ولـو تجلَّى لمكّـة جاءهـا في بعْضِ ساعَهْ

[الدمع حزن محلول]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا الطالقانيّ : قال : حدّثنا أحمد بن سليمان بن وهب . قال : رآني عمِّي الحسن ، وأنا أبكي لِفراقِ بعض الآفي فقال : [من السريع]

---

1 بيضة البلد : السيّد وبيضة القوم : أصلهم .

ابكِ فما أَنْفَع ما في البكا لأنَّه للوجْـــد تَسهيـــلُ
وهـــو إذا أنـــتَ تأمَّلتَــه حزن على الخَدّينِ مَحْلولُ

[لا تنه عن خُلق]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا علي بن الصبَّاح : قال بلغ الحسنَ بن رجاء أَنْ الحسن بنَ وهب عابه بحُبّ الغِلْمان ، وكان الحسن بن وهب أشدَّ حبّاً لهم منه ، فقال : مَثَلي ومثَلُه كما قال حسان بن ثابت : [من الطويل]

وإنّي لأغنى الناسِ عن فضلِ صاحبٍ يـرى النّاس ضُلاّلاً وليس بمُهْتَدِ

[المسؤول أحوج من السائل]

أخبرنا محمد : قال : حدَّثنا الحَزَنْبل : قال : كتب رجل إلى الحسنِ بنِ وهب يستميحه ، فوقّع في رُقعته : [من البسيط]

الجودُ طَبعي ولكن ليس لي مالُ فكيف يحتالُ مَـنْ بالرَّهْن يحتالُ

[تكره النار]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ : قال : حدَّثني محمدُ بن موسى بن حمَّاد : قال : كنت أَكتُبُ في حداثَتي بين يدي الحسن بنِ وهب ، وكان شديد الشَّغَف ببنات جارية محمد بن حمّاد كاتب راشدٍ ، فكنّا يوماً عنده ، وهي تُغَنّى ، وبين أَيدينا كانُونُ فحم ، فتأذّت به ، فأُمرتْ أَن يباعَدَ ، فقال الحسن : [من الكامل]

بأَبـي كرهتِ النارَ حتى أُبعِدتْ فعلمتُ مـا معنـاكِ في إبعادِها
هي ضرةٌ لـك بالتماع ضِيائِها وبحسن صُورتهـا لـدى إيقادِها
وأَرى صنيعَكِ في القلوبِ صَنيعَها في شَوكهـا وسَيالِهـا وقَتادِها[1]
شَرِكتْكِ في كلِّ الجهاتِ بحسْنِها وضِيائهـا وصَلاحهـا وفَسادِها

[تفاجئه بنات]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني الحسيْنُ بن يحيى : قال : كنّا عند الحسن بن وهب ، فقال : لو ساعدنا الدّهر لجاءتنا بناتُ ، فما تكلّم بشيء حتى دخلتْ ، فقال : إنّي وإيّاكِ لَكَما قال علي بن أُميّة : [من الكامل]

1 السيّال : شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض ، وقيل إنّه ما طال من السّمر .

وفاجأتني والقلب نحوَكِ شاخِص وذكرُكِ ما بين اللسانِ إلى القَلبِ
فيا فرحــةً جاءت على إثْر تَرْحةٍ ويا غفلتا عنها وقــد نزلَتْ قُربي

[تخونه شجاعته أمام بنات]

قرأتُ في بعض الكتب : دخلتْ يوماً بناتُ على الحسن بن وهب ، وهو مخمور ، فسلّمتْ عليه ، وقبّلتْ يدَه ، فأراد تقبيلَ يدها ، فمنعته فرُعِشَ ، فقال : [من الطويل]

أقولُ وقــد حاولـت تقبيلَ كَفِّها وبي رِعــدةٌ أهتزُّ منهـا وأسكُنُ
فديتُكِ إنّــي أشجعُ النّاس كلِّهِم لدى الحربِ إلاّ أنّني عنكِ أجبُنُ

[بنات داؤه ودواؤه]

أخبرني الصُّوليّ : قال : حدَّثني محمدُ بن موسى : قال : جاءت بناتُ تسأل الحسن بن وهب من علّةٍ نالته ، فحين رآها دعا برطْلٍ ، فشَرِبه على وَجْهها ، وقال : قد عوفيتُ ، فأقيمي اليوم عندي ، فأبت وقالتْ : عند مولاي دَعوةٌ ، فأمر بإحضار مائتي دينار ، فأحضِرتْ فقال : هذه مائة لمولاك ، فابعثي بها إليه ومائة لكِ ؛ فقالت : أمّا هو فأبعث بمائة إليه ؛ وأمّا أنا فوالله لا أخذتُ المائةَ الأُخرى ، ولأتصدَقنّ بمثلها لعافيتِكَ ولكن أكتبُ إليه رقعةً تقوم بعذري ؛ فأخذ الدواةَ ؛ وكتب إلى مولاها : [من الخفيف]

ضرَّةَ الشمس والقمرْ متِّعيني مــن النَّظرْ
مَتِّعينــــي بجــلْسةٍ منك يا أحسن البَشَرْ
أشتريهــا إن بعتنــ ــيها بسمْعي وبالبَصرْ
أذهبَ السقمَ سُقمُ طر فِكِ ذي الغُنْج والحَورْ
فأديمــي السرورَ لا تَمْزِجي الصفوَ بالكَدَرْ
ليس يُبقي علـيَّ حُبُّـ ـكِ هــذا ولا يذرْ
وأنــا منــه فأنعَمـي بمُقــامٍ عــلى خَطرْ
وتَغَنَّــيْ فــداك كلُّ مُغــنٍّ لكــي أُسَرّ
ربع سَلمى بذي بقر عرضــة الريح والمَطرْ[1]

---

1 ذو بقر : واد .

[عمه يحبّ بنات]

حدَّثني أَبو إسحاق بن الضحاك عن أَحمد بن سليمان ، والحكايتان متفقتان متقاربتان ، أَخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني الحسيْن بن يحيى : قال : حدَّثني أَحمدُ بن سليمان بن وهب قال : قال لي أَبي : قد عزمت على معاتبة عمِّك في حبّه لبنات ، فقد شهَّر بها وافتضَح ، فكُن معي ، وأعنِّي عليه ، وكان هواي مع عمّي ، فمضيْتُ معه فقال له أَبي ، وقد أَطال عتابه : يا أَخي ، جُعِلْتُ فداك ! الهوى أَلذُّ وأَمتع ، والرأي أَصوبُ وأَنفَع ، فقال عمِّي متمثّلا : [من الطويل]

إذا أمرتْك العاذلاتُ بهَجرِها أبتْ كبدٌ عمّــا يقلنَ صَديعُ
وكيف أُطيع العاذلاتِ وحبُّها يُؤرّقُنــي والعــاذلاتُ هُجوعُ

فالتفت إليّ أَبي يَنظُر ما عندي ، فتمثّلت : [من الطويل]

وإنّي ليلحاني على فرط حُبِّها رجالٌ أطاعتْهم قلوب صَحائحُ

فنهض أَبي مُغضباً وضمَّني عمِّي إليه ، وقبَّلني ، وانصرفتُ إلى بناتِ ، فحدَّثْتُها بما جرى وعمِّي يسمع ، فأَخذتِ العُودَ ، فغنَّتْ : [من الوافر]

يلومُــك في مودّتها أُناسٌ لوَ انَّهُمُ برأيــكَ لم يلوموا

فيه ثقيل أوّل .

[عجوز لا تعود إلى لومه]

قال أَحمدُ بن سليمان ، وعَذلتْه عجوزٌ لنا ، يقال لها : مُنى ، فقال لها : قومي ، فانظري إليها ، واسمَعي غناءها ، ثم لُوميني ، فقامت معه ، فرأَتْها ، وسمعت غناءها فقالت له : لستُ أعاودُ لومَك فيما بعدَ هذا ، فأَنشأ يقول : [من الطويل]

ويــومٍ سها عنــه الزمانُ فأَصبحتْ نواظرُه قــد حــار عنهــا بَصيرُها
خلوتُ بمــن أَهــوى بــه فتكاملتْ سُعــودٌ أَدارَ النحسَ عنّــا مُديرُها
أَمــا تعذرينِي يــا منــى في صَبابتي بمَن وجْهُها كالشمس يلمَع نُورُها

[تعممت الوسيلة بنات]

قال أَحمد بن سليمان : كان لعمِّي كاتب يعرف بإبراهيم : نَصْرانيٌّ يأنس به ، فسأَل بناتَ مَسأَلتَها عمِّي أَن يجعل رزقَه أَلفَ دِرهم في الشَّهر ، فلمّا شرب أَقداحاً ، وطربَ وثبتْ قائمةً

وقالت : يا سيِّدي لِيَ حاجة ، فوثب عَمِّي ، فقام لقيامِها ، فقالت : تجعلُ رزقَ إبراهيم ألفَ درهم في الشهر ، فقال : سمعاً وطاعة ، فجلستْ فأنشأ يقول : [من الكامل]

قامت فقمتُ ولم أكن لو لم تقمْ ... لأُجِلّ خلقاً غيرَها فأقوما

شفعت لإبراهيمَ في أرزاقه ... فودِدتُ أنّي كنتُ إبراهيما

فأجبتُها إنّي مطيعٌ أمْرَها ... وأراه فرضاً واجباً محتُوما

ما كان أطيبَ يومَنا وأسَرَّه ... لو لم يكن بِفراقها مَختُوما

قال : ثم إنّ عمِّي صار إلى أبي ، فأخبره الخبرَ ، فأمر أن يجعلَ لإبراهيمَ من ماله ألفَ دِرهم أخرى لشفاعتها .

[بنات لا تزوره في علّته]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني إسماعيل بن الخصيب : قال : اعتلَّ الحسن بن وهب فلم تعلم بناتُ بذلك ، وتأخّرتْ عن عيادته ، فكتب إليها : [من الهزج]

عليلٌ أنتِ أعْلَلْتِهْ ... فلَو أنّك علّلتِهْ

بوعْدٍ أن تَزورِيه ... إذا ما مُمكنٌ نلتِهْ

قريباً لنفيت الدّا ... ءَ عنه حينَ واعدتِهْ

وما ضرّكِ لو جاء ... رسولٌ منك أرسلتِهْ

فيحكي لَكِ ما قال ... كما يحكي الذي قُلتِهْ

أما والله لو أنّ الـ ... ـذي يُحمَل حُمِّلتِهْ

لما احتاج إلى التعلـ ... ـيم فيما قد تجاهَلْتِهْ

[في الشفانين الشفاء]

أخبرني الصّولي : قال أحمد بن إسماعيل : قال : حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن جميل : قال : أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علّة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها قفص شفانين[1] ، وكتب إليها : [من الطويل]

شفاءُ أنينٍ بالشفانين أملّتْ ... لكم نفسُ مَن أهدى الشفانين عامدا

1 الشفانين : ضرب من الحمام جميل الصوت بهي المنظر .

كُلُوها يَكِلُّ الداءُ عنكــم فإنّني أُزورُكُم للشوق لا زرتُ عــائدا

[يهجو سيّدها]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثني ميمون بن هارون : قال : كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم جمعة يستدعيها ، فكتبت إليه أن عند مولاها أصدقاءَ له ، وقد منعها من المسير إليه ، فكتب إليها ثانياً يقول : [من الخفيف]

يومنــا يــوم جُمعــة بأبي أنــ ـــتِ وعندَ الوضيع لا كانَ قوْمُ
سَفَلٌ مثله يسومونَــه الخَسْــ ـفَ ويَرضاه وهو للوعْدِ سَوْمُ
فامنعيهمْ منكِ البشاشةَ حتى يتغَشَّاهــمُ مــن البَــرْد نَومُ
وليكنْ منك طول يومكِ لِلّــ ـــه صلاةٌ إلى المَساء وصومُ
وارفعــي عنهم الغِناء وإن نــا لك عــذلٌ مــن الوضيع ولَوْمُ
واذكري مُغرماً بحبِّك أمسى همُّــه أن يُدِيلَــه منــكِ يومُ[1]

[يصف البرق]

أخبرني عمّي قال حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : كان الحسنُ بن وهب يشربُ عند محمد بن عبد الله بن طاهـر ، فعرضَت سحابة ، فبَرَقـتْ ورعـدَت ، وقَطَرت ، فقـال الحسنُ : [من الخفيف]

هطلتنا السماءُ هَطْــلا دِراكاً عارض المرزمانِ فيها السِّماكا[2]
قلــت للبرق إذ تألّق فيهــا يــا زِنادَ السماء من أُوراكا
أحَبيبــاً نأيْـتَــــه فَبكــاكا فهــو العارضُ الذي اسْتبكاكا
أم تشبهتَ بالأمير أبي العَبّـ ـاس في جُوده فلسْتَ كذاكا

[بينه وبين ابن الزيات]

أخبرني عمي ، قال : حدَّثنا أبو العَيناء ، قال : طلبَ محمدُ بن عبد الملك الزياتِ الحسنَ بنَ وهبٍ ، وكان قد اصطبح مع بنات فكتب إليه : يا سيدي ، أنا في مجلس بَهِيٍّ ، وطعام هَنيٍّ ، وشرابٍ شَهيّ ، وغناء رضيٍّ ، أفأتحوّلُ عنه إلى كدِّ الشقيّ ، ووثبت بناتُ لتقوم ، فردّها

1 أدالنا من عدونا : غلبنا عليه .

2 المرزمان : نجمان في السماء مع الشعريين .

وكَتَب : [من المجتث]

ما بانَ عنكَ الذي بِنْـ ـتَ عنه لا عاشَ بَعْدَكْ
إن لم يكن عنده الصبـ ـرُ والسُّلُوُّ فعندَكْ
وما وجدتَه إلاّ عبدَ الرجاء وعبدَكْ

فاستلمها الرسولُ ، ومضى بها إلى محمد ، فوقّع فيها : [من المجتث]

أبا عليٍّ أراك الإله في الأمرِ رُشدَكْ
إن لم تكن عنديَ اليو مَ كنتُ بالشوق عندَكْ
فاهدم مَحلَّك عندي واجهَدْ لذلك جَهدَكْ
فلستُ أزدادُ إلاّ رعايةً لك وُدَّكْ
وانعَمْ بمَن قُلتَ فِيها عبدَ الرجاء وعبدَكْ
أُزيلَ نحسُك فيها وأَطلَعَ الله سَعدكْ

وردّ الرقعةَ إلى الحسن ، فلمّا قرأها خَجِل ، وحلفَ ألاّ يشرب النبيذَ شهراً ، ولا يفارق مجلسَ الوزير .

[آخر عهده ببنات]

أخبرني عمِّي عن إبراهيم بن المدبّر ، قال : ولدَت بناتُ من مولاها ولَداً وسمّته بإبراهيم ، فأبغضها الحسنُ بن وهب ، وكتبَ إليها : [من الخفيف]

نُتِجِ المُهرةَ الهجانُ هجيناً ثم سَمّى الهجينَ إبراهيما
بخليلِ الرحمنِ سَمَّيتَ عَبداً أم قريعَ الفِتيانَ ذاك الكريما

وبعثَ بالبيتين إليها ، وكان آخر عهدِه بها .

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني الصوليّ قال : حدَّثنا محمد بن موسى قال : كان الحسن بن وهب يعشق غلاماً روميّاً لأبي تمام ، وكان أبو تمام يعشقُ غلاماً خزريّاً للحسن ، فرأى أبو تمام يوماً الحسنَ يعبثُ بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقت إلى الروم لنركُضنّ إلى الخزر ، فقال له الحسنُ : لو شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام : ما أشبّهك إلاّ بداود ، ولا أشبّهُ نفسي إلاّ بخصميْه ، فقال له : لو كان هذا منظوماً حفِظناه ، فأمّا المنثور فهو عارضٌ لا حقيقة له ، فقال

أبو تمّام : [من البسيط]

أَبـا عـليٍّ لصرْف الدّهر والغِيَرِ وللحـوادث والأيّـامِ والعِبَرِ
أعندك الشمسُ لم يخطَ المغيب بها وأنت مضطربُ الأحشاء للقمرِ
أذكرتَني أمـر داود وكنت فتى مُصرَّف القلب في الأهواء والذّكَرِ
إن أنت لم تترك السيرَ الحثيث إلى جـآذر الرّوم أعْنقْنا إلى الخزَرِ[1]
إن الغزال لـه منّـي محلٌّ هوًى يحلّ منّـي محـلَّ السمع والبصرِ
ورُبَّ أمنَع منـه جانباً وحِمًى أمسى ولكنّـه منّـي على خَطَرِ
جرَّدتُ منه جنودَ العزم فانكشفتْ منـه غيابتُهـا عـن تِكّة هَدَرِ
سبحانَ مـن سبّحتْه كلُّ جارحةٍ ما فيك من طَمحانِ الأيْر والنظرِ
أنت المقيم فما تعـدو رواحلُه وأيـرُه أبـداً منـه عـلى سَفَرِ

[غلامه وغلام أبي تمام]

قال الصوليّ : فحدَّثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : قلتُ لأبي تمّام : غلامُكَ أطوعُ للحسنِ بن وهب من غلام الحسن لكَ ، قال : أجلْ والله ؛ لأنَّ غلامي يجد عندَه ما لا يجدُه غلامه عندي ، وأنا أعطي غُلامه قِيلاً وقالاً ، وهو يعطي غُلامي ثياباً ومالاً .

[ابن الزيات يتجسّس عليه]

أخبرني الصُّوليّ قال : حدَّثني أبو الحسن الأنصاريّ ، قال : حدَّثني أبي . وحدَّثني الفَضْلُ الكاتبُ المعروف بفنجاخ : أنّ الحسنَ بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وهو وزيرُ الواثق ، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسنِ بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما ، فتقدّم إلى بعض ولده ، وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهـب ، بأن يُعلموه بخبرهما ، وما يكون بينهما . قال : وعزم غلامُ أبي تمام على الحِجامة ، فكتب إلى الحسن يُعلمه بذلك ، ويسأله التوجيه إليه بنبيذٍ مطبوخ ، فوجَّه إليه بمائة دنّ ومائة دِينار ، وبخلعة حسنة وبخورٍ كثير ، وكتب إليه : [من الخفيف]

1 الجوْذر : ولد الظبي .

لَيتَ شعري يا أملحَ الناسِ عندي هـل تداويـتَ بالحِجامة بَعدي
دفـعَ اللهُ عنـك لي كُـلَّ سَوءٍ باكرٍ رائحٍ وإن خنـتَ عهدي
قـد كتمتُ الهوى بمبلغِ جُهدي فبـدا منـه غيرُ مـا كنتُ أُبدي
وخلعـتَ العِـذارَ فليعلـم النا س بأنّـي إيّـاك أُصفي بوُدِّي
وليقولوا بمـا أحبُّـوا إذا كنـ ـتَ وَصـولا ولم ترُعنـي بصدٍّ
مَنْ عذيري من مُقلتيكَ ومن إشـ ـراق وجهٍ من دون حُمرة خَدٍّ

قال : ووضع الرّقعةَ تحتَ مُصلاّه ، وبلغ محمد بن عبد الملك خبرُ الرّقعة ، فوجَّه إلى الحسن ، فشغله بشيءٍ من أمره ، وأَمر مَن أَخذَ الرقعة من تحت مُصلاّه ، وجاءه بها ، فقرأَها ، وكتب في ظَهرِها : [من الخفيف]

ليت شِعري عن ليت شِعركَ هذا أَبِهــزلٍ تقولــه أم بِجــدٍّ
فلئــن كنــتَ في المقـال مُحِقّاً يا ابنَ وهبٍ لقـد تَغَيَّرتَ بعدي
وتشبَّهْتَ بــي وكنتُ أُرى أنّي أنــا العاشِقُ المتيَّـم وحْـدي
أَتركُ القصدَ في الأمــورِ ولـولا غمراتُ الهَوى لأبصرت رُشدي
وأحبّ الأخ المشارك في الحـبِّ وإن لم يكـن بـه مثلُ وجدي
كنديمـيْ أَبـي عـليّ وحاشا لنديمـي مثـل شِقـوة وَجْدي

صوت

إنَّ مـولايَ عبـد غيري ولـولا شُؤم جَدِّي لكان مولايَ عَبْدي
سيِّدي سيِّدي ومـولايَ مـن أَوْ رَثني ذِلَّـةً وأضـرَعَ خَـدِّي

في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل ، أظنّه لِجحظة أو غيره من طَبقته .

قال : ثم وضع الرقعة في مكانها ، فلمّا قرأها الحسنُ قال : إنَّا لله ! افتضحْنا عند الوزير ، وحَدَّثَ أَبا تمّام بما كان ، ووجَّه إليه بالرقعة ، فلقيا محمدَ بن عبد الملك ، وقالا له : إنّما جعلنا هذين سبباً للمكاتبة بالأشعار لا للريبة ، فتضاحَكَ وقال : ومَنْ يظنّ بكما غير هذا ! فكان قولُه أشدَّ عليهما من الخبرة .

[يتشاغل عن أبي تمام]

قرأتُ في بعض الكتب : كان الحسنُ بن وهب يعاشرُ أبا تمّام عِشرةً متّصلة ، فنُدب الحسنُ بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي ، فتشاغلَ عن عِشرة أبي تمام ، فكتب إليه أبو تمّام : [من البسيط]

قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خَبَرٌ ماذا تراه دهاه ؟ قلتُ : أيلولُ

شهرٌ كأنّ حِبالَ الهَجر منه فلا عَقْدٌ من الوصلِ إلاّ وهْو مَحلولُ

فأجابه الحسن : [من البسيط]

مـا عاقَني عنكَ أيلولٌ بلذّته وطِيبِهِ ولنعـمَ الشهـرُ أيلولُ

لكن توقّعَ وَشْك البين عن بَلدٍ تحتلُّـه ووِكاء العـينِ مَحلولُ

[يهجو الغنوي وابن أبي دواد]

وقرأت فيه : كان بين الحسنِ بن وهب وبين الهيثم الغَنَويّ وأحمد بن أبي داود تباعدٌ ، فقال يهجوهما : [من الوافر]

سألت أبـي وكان أبي خبيراً بسُكّان الجزيـرة والسّوادِ

فقلت لهم : أهيثَمُ من غَنيٍّ فقال كأحمـدَ بـن أبي دُوادِ

فإن يكُ هيثَمٌ من جَذْم قَيس فأحمـدُ غير شَكٍّ مـن إيادِ

[مجاملة]

أخبرني عمّي : قال : حدّثني عُمر بن نصر الكاتب ، قال : كتب الحسنُ بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطيّ يسأله أن يصيرَ إليه فكتب إليه محمد : [من الوافر]

وقيتُكَ كلَّ مكـروهٍ بنفسي وبالأدْنينَ مـن أهلي وجِنسي

أتأذن في التأخـرِ عنـك يومي على أن ليس غيرُكَ لي بـأُنسِ

فأجابه الحسنُ بن وهب ، فقال : [من الوافر]

أقِـم لا زلت تُصبحُ في سرورٍ وفي نِعَـمٍ مواصلـة وتُمسي

فما لي راحةٌ في حبس مَن لا أراهُ يكونُ مَحبوساً بحَبسي

وكان الحسنُ يومئذٍ معتقلاً في مُطالبة يُطالب بها .

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسناد .

[صاحب غير مؤتمن]

كان الحسنُ بنُ وهب يعشق بناتَ ، جاريةَ محمد بن حمّاد الكاتب ، وكان له معها أخبارٌ كثيرة ، وكان لا يصبرُ عنها ، فقَدِم الحسنُ بن إبراهيم بن رَباح من البصرة ، واتصل به خبرُها ، ووصفها له الحسنُ بن وهب ، وصار به إليها ، فأتمَّ ليلتَه معها ، ومرَّت بينهما أعاجيب ، ثم خالفه الحسنُ بن إبراهيم بن رَباح ، وخاتلَه في أمرها ، فكتب إليه الحسنُ بنُ وهب : [من مجزوء الخفيف]

لا جميلٌ ولا حَسَنْ ... خُنتَ عهدي ولم أخُنْ
كملتْ إذ فعلتَ هـ ... ـذا أعاجيب ذا الزَّمنْ
فإلى اللهِ أشتكي ... ما بقلبي من الحَزنْ
رُبَّ شكوى من الصديـ ... ـقِ إلى غير ذي شَجَنْ
بأبي أنتَ يا حسنْ ... يا أخا الطوْل والمِنَنْ
أيُّ رأيٍ أراك ختْـ ... ـلي في الشادِنِ الأغَنْ
يتخطّى إليه دُو ... نيَ في حالِكِ الدُّجُنْ
فترى منه سُنَّةً ... تَتعالى عن السُّنَنْ
مَع كشفي لك الحديـ ... ـثَ الذي عنكَ لم يُصَنْ
واعتمادي زعمتُ مِنـ ... ـكَ على أحصَنِ الجُنَنْ
وعلى خيرِ صاحبٍ ... وعلى خيرِ ما سكَنْ
خَجِلي منْ إساءةٍ ... فَضحَتْ حُسنَ كلِّ ظَنّ
ثم مِمّن جرّتْ إلى ... مَن وفيمَن وعند مَنْ
إن تكنْ تِلك هفوةً ... فهي كالشيء لم يكُنْ
أو تكن بِعتَ خُلّتي ... بموافٍ من الثَّمنْ
دُرّة البحرِ من عدَنْ ... ذُخْر سيفِ بن ذي يَزَنْ
لم يكن قطُّ مثلُها ... في معدٍّ ولا عَدَنْ

فتغافل عن جوابه ، وأقام على مُواصلتها وسماعها وحَظر عليها ، فلم يكن الحسنُ بنُ وهب يلقاها ، فغَلُظ ذلك عليه ، وكتب إليها بهذه الأبيات : [من الكامل]

أنكرتِ معرفتي جُعلتُ لك الفدا ... إنكــارَ سيّــدةٍ تُلاعِــبُ سَيِّدا
أنــا ذو منْعتِ جفونَــه أن ترقُدا ... وتركتِــه ليــلَ التّمــام مُسهَّدا
وبريــتِ لحــمَ عِظامــه فتجرَّدا ... وأَزَرْتِ مضجعَــه النساءَ العُوَّدا
أنا ذا فــإن لم تعرفيني بعــدَ ذا ... فأنا ابنُ وهبٍ ذو السماحة والنَّدى
أشكُو إلى اللهِ الفــؤاد المُقْصَــدا ... وجوًى ثَوى تحــتَ الحَشا مُتلدِّدا
وغريــرة مــا كنتُ من إشفاقها ... يومــاً وإن بَعُـد التلاقي مُسْعِدا
يــا ظبيــة في روضــةٍ مَوْلِيَّــةٍ ... جــادَ الربيــعُ تُرابَهــا فتلبَّدا
هل تجزيــنَّ الوُدَّ منّــي مثلَــه ... أو تَصدُقين من المواعِدِ موعدا
إنّي وإنْ جَعلَ القريضُ يجولُ بي ... حتّى يغُــورَ بمــا أقــولُ ويُنجِدا
لَعلَــى يقــينٍ أنّ قلبــكِ موجَــعٌ ... عندي المثالُ أنا الحِمى ولك الفِدا
وكما علمــتِ إذا لبستِ المُجْسَدا ... وثَنَيْتَ خَلفِ الأُذْنِ حاشيةَ الرِّدا[1]
وحَبَوتِ جيدكِ من حُلُيِّكِ عَسْجداً ... ونظمتِ ياقوتــاً بــه وزَبرْجَدا
وشكوتِ وجدكِ في الغِناء شِكايةً ... تُنسي حُنيْنــا والغَريــضَ ومَعْبَدا
سِيمــا إذا غَنَّيتنــي بتعمُّــدٍ ... بأبــي وأُمّي ذاك منــكِ تَعمُّدا
أثْــوى فأقصرَ ليلــةً ليــزوّدا ... ومضى وأخلفَ من قُتيْلةَ موْعِدا

[صاحبه يرثي لحاله]

فوقعت الأبيات في يد ابن رباح فقرأها ، وعلم أنّه قد بلغ منه . فكتب إليه : [من الطويل]

فِدًى لكَ آبائي وحقَّ بأن تُفدى ... فِدًى لك قَصْداً من ملامكَ لي قَصْدا
ولا تَلْحَنــي في عَثرة إن عَثرتُها ... فلا والذي أمسيتُ أُدعى له عَبدا
وعهدُك يا نفسي يَقيك من الرّدى ... فأعظمْ به عندي وأكرمْ به عَهْدا
يمــينَ امــرئٍ برٍّ صَدوقٍ مُبرَّإٍ ... من الإثمِ ما حاولتُ هَزْلاً ولا جِدَّا
سِوى مــا بــه أزدادُ عندكَ زُلفةً ... ويُكسبني منك المودَّة والحَمْدا

1 المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران .

أرى الغيّ إن أومأت للغيّ طاعةً ... لأمركَ فضلاً عن سِوى الغيّ لي رُشدا
وأسعى لما تسعى وأتبعُ ما ترى ... وفي كلّ ما يُرضيك أستغرِقُ الجُهدا
إذا أنا لم أمْنَحك صفوَ مودّتي ... فمن ذا الذي أُصفي له غيرَك الوُدَّا
ومن ذا الذي أرعى وأشكُرُ والذي ... يُؤمِّل خيراً بعدُ منّي أو رِفْدا
وأنت ثِمالي والمعوّل والذي ... أشدّ به أزرى فيعصِمُني شَدّا
وآثرُ خلقِ الله عندي ومَن له ... أيادٍ ووُدٌّ لستُ أُحصيهما عدًّا
فلا تحسبنّي مائلاً عن خَليقتي ... لك الدهرَ حتى أُسكنَ القبرَ واللَّحْدا
معاذ إلهي أن أرى لك خاذِلاً ... ولكنَّ عذري واضحٌ أنّ بي وَجْدا
بأحسنِ مَن أبصرتُ شخصاً وصُورةً ... وأملحِ خلقِ الله كلِّهمُ قَدّا
بمالكةٍ أمري وإن كنتُ مالكاً ... لَها ففؤادي ليس من حُبِّها يَهْدا
إذا سألتْني أن أُقيم عَشيَّةً ... لأونسها لا أستطيعُ لها رَدَّا
تُراشِفُني صفوَ المودَّة تارةً ... وأجني إذا ما شئتُ من خدِّها وَردا
قنعتُ بها لّما وثِقتُ بحبّها ... فلا زينبا أبْغي سواها ولا هِنْدا
ولو بُذِلَتْ لي جنّةُ الخُلد منزِلاً ... وقلتَ: اجتنبْها لاجتنبتُ لها الخُلْدا

[الحسن يكتب إليها]

فلمّا قرأها الحسن بن وهب علم أنّه ندِمَ فكتب إليه: [من مجزوء الخفيف]

حسنٌ يشكو إلى حسنِ ... فقْدَ طَعم النّوم والوَسَنِ
وهَوًى أمستْ مَطالِبُهُ ... قُرِنَتْ باليأس في قَرَنِ
وحبيبٌ في محلّته ... معه في الدّارِ لْم يَبِنِ
فإذا ما رام زَورتُه ... فهو كالغادين في الظُّعُنِ
عجباً للشمس لم تَرَها ... مُقلَتي حَولاً ولم ترِني
أتراها بعدَنا صَرَمتْ ... حبَّنا هذا من اليَمنِ
فقديماً كان مطلعُها ... بيدي سَيف بن ذي يزَنِ

فكتب إليه ابن رَباح: [من المديد]

حسنٌ يَفــدي بمُهجتــه حسناً مــن حــادث الزّمنِ
ويَقِيـــه مـــا تضمَّنَـــه مــن دَخيـل الهــمِّ والحَزَنِ
هاكَ عينــي فابــكِ واقيةً عينــك العَبْرى على الشَّجَنِ
وفــؤادي فامْلَــهُ حَزَنــاً مــن صُروف الهــمّ والفتنِ
إن تكن شمسُ الضُّحا حُجِبت عـن سليل المجد مــن يَمنِ
فهْــي حَيرى عــن مَطالعها في سوى قــوم ابن ذي يَزَنِ

[رواية عن عشقه]

ثم اعتذر إليه ، ورجع إلى معاشرته ، وكان لا يحضُر دار محمد بن حمّاد ، ولا يسمع غناء بناتَ جاريته إلاّ مع الحسنِ بن وهب لا يستأثرُ بها عليه .

وقال محمد بن داود الجراح : حدَّثني بعض أُصحابنا : أَنّ الحسنَ بنَ وهب ، أَتى أَبا إسحاق إبراهيم بن العبّاس مستعدياً على أَبي محمد الحسن بن مخلد في أَمر بنات جارية محمد بن حمّاد ، وكان الحسنُ بن وهب يتعشّقها ، فأَفسدها عليه الحسنُ بن مخلد ، ولم يذكر محمد بن داود من خبرهما غير هذا . وإنّما ذكرت هذه القصة على قلّة الفائدة فيها ليتَّضح خبرهُ مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرها لم يقع إليّ بروايته .

[أبو تمام يستسقيه]

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني عبد الرحمن بن أَحمد ، قال : وجدت بخطّ محمد بن يزيد : كتب أَبو تمّام إلى الحسن بن وهبٍ يستسقيه نبيذاً : [من الوافر]

جعلتُ فِداك عبد الله عندي بعقْــبِ الهَجــر منــه والبعادِ
لــه لُمَــةٌ مــن الكتّاب بيضٌ قَضوْا حــقَّ الزيــارة والوِدادِ
وأحسِبُ يومَهم إن لم تجدهم مُصادِفُ دَعــوةٍ منهم جَمادِ
فكــم يــومٍ من الصهباء سارٍ وآخــرَ منــكَ بالمعروف غادِ
فهــذا يستهِــلُّ على غَلِيــلي وهــذا يَستهــلُّ عــلى تِلادي
فيسقي ذا مَذانبَ كُلِّ عِرْق ويَنــزع ذا قــرارةَ كُلِّ وادِ
دعوتهمُ عليكَ وكنــتَ مِمَّنْ نُعيِّنُــه على العُقَــدِ الجيادِ

[هو وأبو تمام يزوران أبا نهشل]

قال : فوجّه إليه بمائة دينار ومائة دنٍّ نبيذاً .

قال محمد بن داود بن الجراح : زار الحسنُ بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حُميد ، فبدأ أبو تمّام ، فقال : [من السريع]

أغصَّك اللهُ أبـا نَهشلِ

ثم قال للحسن أَجِزْ : فقال : [من السريع]

بخدِّ ريم شادِنٍ أكحلِ

ثم قال : أَجزْ يا أبا نهشل ، فقال : [من السريع]

نَطمعُ في الوصـلِ فإن رمتَه صار مـعَ العيّوق في مَنزلِ[1]

[من كتبه إلى أبي تمام]

أخبرني جعفر بن محمد بن قُدامة بن زياد الكاتب : قال : كتب الحسنُ بنُ وهب إلى أبي تمام ، وقد قدِم من سفَر : جُعِلت فِداءك ووقاءك وأسعدني الله بما أوفى عليَّ من مقدمك ، وبلَغَ الوَطرُ كلَّ الوطَر بانضمام اليدِ عليك . وإحاطة الملك بِك ، وأهلاً وسهلاً ، فقرَّب الله داراً قرَّبَتْك ، وأحيا رِكاباً أدَّتك ، وسقى بلاداً يلتقي ليلُها ونهارُها عَليك ، وجعلكَ اللهُ في أحصن معاقِله ، وأيقظِ محارسِه وأبعدِها على الحوادث مراماً برحمته .

[يدافع عن أبي تمام]

أخبرني الحسنُ بن علي : قال : حدَّثنا محمد بن موسى : قال : قال رجل للحسن بن وهب : إنّ أبا تمام سَرَق من رجل يقال له مُكنَف من ولد زهير بن أبي سُلمى ، وهو رجل من أهلِ الجزيرة قصيدَته التي يقول فيها : [من الطويل]

كأنّ بنـي القعقـاع يومَ وفاته نُجومُ سماء خـرَّ من بينها البدْرُ
تُوفِّيـت الآمـالُ بعـدَ محمـدٍ وأصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفَر السَّفْرُ

فقال الحسن : هذا دِعبل حكاه ، وأشاعَه في النّاس ، وقد كذبَ ، وشعرُ مكنِف عِندي ، ثم أخرجه ، وأخرج هذه القصيدة بعينها ، فقرأها الرجل فلمْ يَجد فيها شيئاً ممّا قاله أبو تمام في قصيدته : ثم دخل دعبل على الحسن بن وهب ، فقال له : يا أبا عليّ ، بلغني أنّك قلتَ في أبي

---

1 العيوق : نجم أحمر في طرف المجرة الأيمن .

تمّام كيتَ وكيتَ ، فهبه سَرق هذه القصيدة كُلَّها ، وقبلنا قولَكَ فيه ، أسرق شعرَه كلَّه ؟ أتحسنُ أنت أن تقول كما قال : [من الطويل]

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بَعدي ومَحَّتْ كما مُحَّتْ وشائعُ من بُردِ[1]

وأنْجَدتمُ من بَعد إتّهام دارِكُمْ فيا دمعُ أنجِدْني على ساكِني نجْدِ

فانخزل دِعبل واستحيا ، فقال له الحسنُ : الندمُ توبة ، وهذا الرجل قد توفِّي ، ولعلّك كنتَ تُعاديه في الدُّنيا حسداً على حظِّه منها ، وقد مات الآن ، فحسبُك من ذكره ، فقال له : أصدقك يا أبا عليٍّ ، ما كان بيني وبينه شيء قطّ إلاّ أنِّي سألتُه أن ينزل لي عن شيء استحسنتُه من شعره ، فبخِلَ عليّ به ، وأمّا الآن فأمسكُ عن ذكره ، فجعل الحسنُ يضحَك من قوله واعترافه بما اعترف به .

[اليزيدي يهجو محمد بن حماد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء : قال : حدَّثَنا إسحاق بن محمد النَّخعيّ : قال كتب إبراهيمُ بنُ محمد بن أبي محمد اليزيديّ إلى محمد بن حمّاد الكاتب يهجوه ، ويعيره بعشق الحسن بن إبراهيم بن رباح والحسن بن وهب جاريته وتغايُرهما عليها : [من الخفيف]

لي خليطان مُحكمان يُجيدا نِ لِما يعمَلانِه حاذقانِ

واحد يعملُ القِسيَّ فيأتيـ ـكَ بها في استقامةِ الميزانِ

وفتًى يعمَل السكاكينَ في القَرْ نِ مقرٌّ بحذقه الثَّقَلانِ

وهما يطلبان قَرْناً على رأسـ ـكَ فانظر في بعضِ ما يسألانِ

قلت : هلْ يُؤلِم الفتى قطعُ ما فيـ ـه تريدان أيّها الفتيانِ

فأجابا بلُطفِ قولٍ وفَهْمٍ قم فإنّا إذاً لنَوْكى مَدانِ[2]

فاقطع الآن ما برأسكَ منها إن فيما ترى لمحضُ بيانِ

ذاك خيرٌ من أن يُسمّى اسمَ سوء فيقالُ انظُروا إلى القَرْنانِ[3]

---

1 الوشيعة : المكوك .

2 نوكى : جمع أنوك .

3 القرنان : الديوث .

صوت

[من الكامل]

قـــد كان عتبــك مــرَّةً مكتوما فاليـــوم أُصبــحَ ظاهــراً معلوما
نـــال الأعادي سُؤْلَهــم لا هُنِّئوا لَّمـــا رأونـــا ظاعنـــاً ومُقيما
والله لـــو أَبصرتَنـــي لأَدَيْتَ لي والدّمع يَجري كالجُمانِ سُجُوما[1]
هبني أسأتُ فعـادةٌ لك أَن تُـرى مُتجـاوِزاً مُتطـاولا مَظْلـــوما

الشعر لأَحمد بن يوسف الكاتب ، والغناء لعُبيد بن الحَسن الناطفيّ اللَّطَفي ، ثاني ثقيل بالوسَط ، وفيه خفيف رمل يقال : إنّه لرَذاذ ، وفيه ثقيل أَوّل مجهول .

1 أديت : أشفقت ورفقت .

[507] ـ أخبار أحمد بن يوسف[1]

[اسمه ونسبه]

هو أحمدُ بن يوسف بن صبيح الكاتب ، وأصله من الكوفة ، وكان مذهبه الرسائلَ والإنشاء ، وله رسائل معروفة ، وكان يتولّى ديوان الرسائل للمأمون ، ويُكنى أبا جعفر ، وكان موسى بن عبدُ الملك غلامَه وخِرِّيجَه ، فذكر محمدُ بن داود بن الجراح أنّ أحمد بن سَعيد حدَّثه عن موسى بنِ عبد الملك : قال : وهب لي أحمد بن يوسف ألفي ألف درهم تفاريق عن ظهر يَدٍ .

[أخوه القاسم يمدح البهائم ويرثيها]

وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر ، وكان ينتمي إلى بني عِجْل ، ولم يكن أخوه أحمد يدَّعي ذلك .

وكان القاسم قد جعل وَكْده[2] في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعرِه في ذلك ، منها قوله يرثي شاة : [من الخفيف]

عــينُ بكّــي لعنزنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجلاء[3]

وقوله في الشاهَمُرك[4] : [من مجزوء الرمل]

أقفــرت منــك أبا سَعْـ ـدٍ عِــراص وديــارُ

وقوله في السِّنَّوْر : [من المتقارب]

ألا قُــل لُمجَّةَ أو ماردة تبكّي على الهِرَّة الصائدَهْ

---

1 انظر أخباره في : كتاب بغداد لابن أبي طاهر : 128 وتاريخ بغداد 5 : 216 والجهشياري : 304 والفهرست : 139 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 287 وتهذيب ابن عساكر 2 : 124 ومختصر ابن منظور 2 : 330 وبغية الطلب 2 : 148 والوافي 8 : 279 وفي معجم الأدباء 2 : 560–569 .

2 الوكد : المراد والهم .

3 الأدماء : البيضاء .

4 الشّاهَمُرك : الدجاج قبل أن يبيض .

وقوله في القُمْرِيّ : [من المجتث]

هـل لامرىء من أمانِ ... مـن طارق الحَدَثـانِ

[يتبنى جارية للمأمون]

أخبرني محمدُ بن خَلَف وكيع : قال : حدَّثنا عبد الله بنُ أبي سعد : قال : حدَّثني رجل من ولد عبد الملك بن صالح أنّ الهشاميّ قال : كان أحمدُ بن يوسف قد تبنّى جارية للمأمون اسمُها مُؤْنِسة ، فأراد المأمونُ أن يسافر ويحمِلَها ، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها ، وأمر بعض المغَنِّين ، فغنَّاه به ، فلمّا سمعَه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه ، وهو : [من الكامل]

قد كان عَتْبُك مرّة مكتوما

[يعتب على جارية]

وقال محمد بن داود : حدَّثني أحمد بن أبي خيثمة الأطرُوش قال : عتب أحمد بنُ يوسف على جارية له ، فقال : [من المنسرح]

وعامـلٍ بالفُجـور يأمـرُ بالـ ... ـبِرّ كهادٍ يخُوض في الظُّلَمِ

أو كطبيبٍ قـد شفَّـه سَقَمٌ ... وهْو يُداوي من ذلكَ السَّقَمِ

يـا واعـظَ الناسِ غير متَّعظ ... نفسَك طهِّـر أوْ لا فـلا تلُمِ

[يقول شعراً على لسان مؤنسة]

ووجدتُ في بعض الكتب بلا إسناد : عَتَب المأمون على مؤنسةَ ، فخرج إلى الشَّمَّاسِيّة[1] متَنزِّهاً ، وخلَّفها عند أحمد بن يوسف الكاتبَ فرجَتْ أن يذكرها إذا صار في مُتنزَّهه ، فيرسلَ في حملها ، فلم يفعلْ ، وتمادى في عتبه ، فسألتْ أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعُه فقال : [من البسيط]

يا سيدا فقدُه أغـرى بيَ الحَزَنا ... لا ذقتُ بعدكَ لا نوماً ولا وَسَنا

لا زلتُ بعدك مَطويّـاً على حُرَقٍ ... أشنا المُقامَ وأشنا الأهلَ والوطَنا

ولا التذذتُ بكـأس في مُنادمةٍ ... مذ قيل لي : إن عبد الله قد ظَعَنا

---

1 الشماسية : موضع .

ولا أرى حَسنـاً تبـدو محاسنُه إلاَّ تذكَّرتُ شوقاً وجهَك الحَسَنا

وبعثتْ به إلى إسحاق الموصليّ ، فغنّاه به ، وقيل : بل بعثتْ به إلى سُنْدُس ، فغنَّتْه به ؛ فاستحسن ذلك ، وقـال : لَمن هذا الشعر ؟ . فقال أحمد بن يوسف : لمؤنسة يا سيِّدي تترضّاك ، وتشكو البعد منك ، فركب من ساعته ، حتى ترضَّاها ، ورضيَ عنها .

ووجدت في هذا الكتاب قال : كنّا مع أحمد بن يوسف الكاتب في مجلس ؛ وعندنا قَيْنة ، فتحلاّها[1] أحمدُ بنُ يوسف ، فكتب إلى صاحب المنزل : [من مجزوء الرمل]

أنـا رهـنٌ للمنايـا بـين إبـرامٍ ونَقْضِ
من هَوى ظبي غريرٍ مونَـق المنظـرِ غَضٍّ
ليتها جـادتْ بتقبيـ ـلٍ لخدَّيهـا وعَضٍّ
إن عجزتُم عن شِراها لي بفَـرْضٍ أو بقَرْضِ
فتمنَّـوا لي جميعـاً أنّـهـا قَبـرٌ لبعْضي

[يستسقي الفضل]

أخبرني عمِّي : قال : حدَّثنا الحسنُ بن عُليل : قال : ذكر مسعود بن أبي بِشر أنّ أحمدَ بنَ يوسف دخلَ يوماً على الفضْل بن سَهـل أو أخيـه في يـوم دجْن ، فأطال مُخاطبته ، وكان أحمد بن يوسف آنساً به ، ففتح دواتَه وكتبَ إليه : [من الوافر]

صوت

أرى غَيْماً تؤلِّفُـه جَنُوبٌ وأحسِبُـه سيأتينـا بهَطْلِ
فوجْهُ الرأي أن تدعو برَطلٍ فتشربه وتدعُو لي برَطلِ

ودفعها إليه فقرأهما ، وضحِك ، وقال : إن كان هذا عينَ الرأي قبلناه ، ولم نردّه ، ثم دعا بالطعام والشراب ، فأتموا يومَهم .

الغِناء في هذين البيتين للقاسم بن زُرزُور ثاني ثقيل بالوسطى .

[يعشق محمد بن سعيد]

ومّما يغنّى فيه من شعره : [من الخفيف]

---

1 تحلاّها : أي وجدها حلوة .

صوت

صدَّ عنِّي محمدُ بنُ سعيدِ   أَحسنَ العالمين ثانيَ جِيدِ
ليس من جفوةٍ يصدُّ ولكِنْ   يتجنّى لحُسْنه في الصُّدودِ

الغناء فيه لزُرزور خفيف رَمَل ، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زُرزور عن أُبيه ، ومحمد بن سعيد هذا كان من أُولاد الكتّاب بسُرَّ مَن رأَى ، وكان أَحمدُ يتعشَّقه .

ومن شعره الذي يُغَنَّى فيه : [من المنسرح]

صوت

كم ليلـةٍ فيـكَ لا صباحَ لها   أحببتُها قابضـاً عـلى كَبِدي
قد غَصَّت العينُ بالدّموع وقدْ   وضعتُ خدِّي على بَنانِ يَدي
كأنَّ قلبـي إذا ذكرْتُكُـم   فريسةٌ بـين ساعِـدَيْ أُسدِ

الغناء لشارية من رواية طبَّاع ، وفيه خفيف رَمَل ، ذكر حَبش أنّه لأَحمد النُّصيبيّ ، وهو خطأ يشبه أَن يكون لأَحمد بن صَدَقة أَو بعضِ طَبَقَته .

صوت

[من الكامل]

الراحُ والنّدْمانُ أَحسنُ منظراً   في كلِّ ملتفِّ الحدائـق رائِقِ
فإذا جمعتَ صفاءَه وصفاءها   فارْجُمْ بكلّ مُلمة مـن حالِقِ

الشعر للعَطَوي ، والغناء لبَنان ثقيل أوّل بالوُسطى ، وفيه لذكاء وجه الرزّة خفيف ثقيل .

[508] ـ أخبار العطوي

[نسبه]

هو محمدُ بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، ويكنى أبا عبد الرحمن بَصريٌّ المولد والمَنشأ .

وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العبّاسيّة ، واتصل بأحمد بن أبي دواد ، وتقرَّبَ إليه بمذهَبه وتقدّمِه فيه بقوّة جِدالِه عليه ، فلمّا تُوفِّيَ أحمد نقصت حاله . وله فيه مدائح يسيرة ، ومراثٍ كثيرة .

[يرثي ابن أبي دواد]

منها ما أنشدنيه الأخفش عن كوثرةَ أخي العَطَويّ :

أَحنطْتَه يا نصرُ بالكافورِ ... وزففتَه للمنزلِ المهجورِ
هلاّ ببعض خِصاله حَنَّطتَه ... فيضوعُ أفقُ منازلٍ وقُبورِ
تاللهِ لو من نشرِ أخلاقٍ له ... يُعزى إلى التقديسِ والتطهيرِ
حنّطتَ مَن سَكَن الثَّرى وعلا الرُّبا ... لتُزَوِّدُوه عُدَّةً لنُشورِ
فاذهبْ كما ذهبَ الوفاءُ فإنّه ... ذهبتْ به ريحا صباً ودَبُورِ
واذهبْ كما ذهبَ الشبابُ فإنّه ... قد كان خير مُصاحِب وعَشيرِ
والله ما أَبَّنتُه لأزيدَه ... شَرفاً ولكن نفثةُ المَصدورِ

وأنشدني الأخفش للعَطويّ أيضاً يرثي أحمدَ بنَ أبي دُواد قال :

وليس صريرُ النعش ما تسمعونَه ... ولكنّه أصلابُ قومٍ تقَصَّفُ
وليسَ نسيمُ المسكَ ريّا حَنُوطِه ... ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخَلَّفُ

[جعله الكتّاب إماماً]

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء ، فقال : كان له فنٌّ من الشعر لم يُسبَق إليه ، ذهب فيه إلى مذهب أصحابِ الكلام ، ففاقَ جميعَ نظرائه ، وخفّ شعرُه على كل لسان ، ورُوِي ، واستعمله الكتّابُ ، واحتَذَوْا معانيَه ، وجعلوه إماماً .

[قذارة وإدمان]

قال ابن داود : وحدَّثني المبرِّد : قال : كان العَطَويّ ، وهو عندنا بالبصرة ، لا ينطِق بالشعر ، ثم ورد علينا شعرُه لمّا صار إلى سُرَّ مَنْ رأى ، وكنّا نتهاداه ، وكان مقتّراً عليه رزقه ، دَفِراً[1] وسِخاً ، منهوماً بالنبيذِ ، وله فيه في وصف الصّبوح وذِكر النّدامى والمجالس أُحسَنُ قول ، وليس له قولٌ يَسقط ، فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرجز]

فِيئي إلى أهدى السُّبلْ ... قولاً وعلماً وعَمَلْ
قاتلها الله لقدْ ... سامتكُما إحدى العُضَلْ[2]
تقول هلا رِحلَة ... تنقُلُنا خيرَ نُقَلْ
أُخشى على جائلةِ الآمـ ... ـالِ جوّالَ الأَجَلْ

[في جمع المال ونفاد العمر]

أُخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش : قال : حدَّثني محمد بن يزيد : قال : سمع العَطويُّ رجلاً يحدّث أَنّ رجلاً قال لعمر بن الخطّاب : إنّ فلاناً قد جمعَ مالاً ، فقال عمر بن الخطّاب : فهل جمعَ له أيّاماً ؟ فأَخذ العطويّ هذا المعنى فقال : [من البسيط]

أَرفِهْ بعيش فتًى يغدو على ثِقَةٍ ... إنَّ الذي قسم الأَرزاقَ يرزُقُهُ
فالعِرْضُ منه مَصون لا يُدنِّسه ... والوجه منه جَديد ليس يخلُقُهُ
جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له ... يا جامعَ المال أيّاماً تُفرِّقُهُ
المالُ عندَكَ مخزونٌ لوارثه ... ما المالُ مالُك إلاّ حين تُنفِقُهُ

[يتمنى كأساً وندمانا]

ومن قوله في النُّدمان والنّبيذ ممّا يغنى فيه ما أُنشدنيه الأَخفش وغيرُه من شيوخنا :

صوت

فكم قالوا تمنَّ فقلتُ كاسٌ ... يطوفُ بها قضيبٌ في كثيبِ
ونُدْمانٌ تُساقطُني حديثاً ... كلحظ الحِبِّ أَو غضِّ الرقيبِ

الغناء في هذين البيتين لذكاء وجه الرزّة خفيف رَمَل .

---

1 دفر : نتن .

2 العضل : جمع عضلة وهي الداهية .

[يستسقي نبيذاً]

أخبرني عمّي : قال : حدَّثني كَوْثرة أخو العَطَوي قال : كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكُتّاب ، ومعهم قَيْنَة يقال لها : مِصْباح ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم غناء ، فما زالوا في قَصْف وعَزفٍ إلى أن انقطع نبيذهم ، فبقوا حَيارى ، وكانوا قريباً من منزلِ أبي العبّاس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلويّ ، وكان صديقاً لأبي عبد الرحمن فكتب إليه : [من الخفيف]

يا ابن مَن طاب في المواليدِ مذ آ ... دم جَرًّا إلى الحُسين أبيهِ

أنا بالقرب منكَ عندَ كريم ... قد ألحّتْ عليه شُهبُ سِنيهِ[1]

عندَه قينةٌ إذا ما تغنَّتْ ... عاد مِنّا الفقيهُ غيرَ فَقيهِ

تزدَهيني وأينَ مثليَ في الفهـ ... ـم تُغنّيه ثم لا تَزْدَهيهِ

مجلسٌ كالرياض حُسناً ولكن ... ليس قطبُ السرور واللهو فيهِ

فأقمه بما به يمتري دنّ عجـ ... ـوز خمارة ممتريهِ

وبأشياخِك الكرامِ إلى السؤْ ... دَد موسى بن جعفرٍ وأبيهِ

إن تَحشَّمْتَني وإن كان إلاّ ... مثلَ ما يأنس الفَتى بأخيهِ

قال : فلمّا وصلت الرقعةُ إلى أبي العبّاس أرسل إليهم براوية شراب ، فلم يزالوا يشربون مجتمعين ، حتى نَفِدتْ في أخفَضِ عيش .

[كأس وقينة]

حدَّثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخصيب الكاتب : قال : جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العَطَويّ بعد وفاة عمّي أحمد بن الخصيب بسنتين ، وكان صديقَه وصنيعتَه ، فجلس عندي يحادثُني حديثَه ، ويبكي ساعة طويلة ، ثم تغيمت السماء وهطلت ، فسألته أن يقيم عندي ، فحلف ألاّ يفعَلَ إلاّ بعد أن أُحْضِرَه من وقتي ما راج من الطعام ، ولا أتكلَّفُ له شيئاً ، ففعلت وجئتُه بما حضر ، فقال لي : ما فعلتْ عُقَدُ ؟ قلتُ : باقية ، وهي في يومنا هذا مقيمةٌ عندي ، والساعةَ تسمع غناءَها ، فقال لي : عجِّل إذن فإنّ النهار قصيرٌ ، ثم أنشا يقول : [من الخفيف]

أدرِ الكأسَ قد تعالى النّهارُ ... ما يُميتُ الهمومَ إلاّ العُقارُ

---

1 سنة شهباء : مجدبة .

صاحِ هذا الشتاء فاغدُ عليها ... إنّ أيّامــه لِــذاذٌ قِصارُ

أيّ شيء ألذّ مــن يوم دَجْنٍ ... فيــه كأس على النّدامـى تُدارُ

وقيــانٌ كأنّهــنّ ظِبــاءٌ ... فــإذا قُلْــنَ قالــتِ الأوتارُ

[أحسن يوم وأطيبه]

حدَّثني عمّي : قال : حدَّثني كوثرة : قال : كان لأبي عبد الرحمن صديقٌ من الأدباء ، وكان يتعشّق جارية من جواري القيان يقالُ لها : عَثْعَث ، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير ، واجتماعٍ يسير ، فأرسل إليها يوماً ، فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه ، واتّفق أن كان ذلك في يوم رذاذ به من الطِّيب والحُسن ما الله به عليم ، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر ، ويسأله المصيرَ إليه ووصف له القصة بشعرٍ ، فقال : [من المتقارب]

يــوم مطيــرٌ وعيش نضيــرُ ... وكأسٌ تــدورُ وقِــدرٌ تفــورُ

وعثْعــثُ تأتــي إذا جئتَنا ... فتسمع منهــا غِنــاء يَصُورُ[1]

وعندي وعنــدك مــا تشتهيـ ... ـه شعــرٌ يمــرُّ وعِلمٌ يدورُ

وإذ كان هذا كما قــد وصفتُ ... فــإن التفــرّق خطبٌ كبيرُ

فقم نصطبحْ قبل فوتِ الزّمانِ ... فــإنّ زمــانَ التلهّي قصيرُ

قال : فسار إليه صاحبُه فمرّ لهما أحسنُ يوم وأطيبُه .

[أعرابي يصف مجلس شراب]

وهذا الشعر أخذه العَطويّ من كلام إسحاق ، أخبرني به وَسْواسَة بن الموصليّ عن حمّاد عن أبيه : قــال : كان يألفُنــي بعضُ الأعراب وكان طيباً ، فجاءني يوماً ، فقلت له : لم أَركَ أمسِ ، فقال : دعاني صديق لي ، فقلتُ : صف لي ما كنتمُ فيه ، فقال لي : كنّا في مجلسٍ نِظامُه سرور بين قُدور تَفور ، وكأسٍ تدور ، وغِناء يصور ، وحديثٍ لا يجور ونَدامى كأنّهم البُدور .

قال إسحاق : وقلت لأعرابيّ : كان يألفني : أين كنت بالأمس ؟ قال : كنت عند بعض ملوك سُرّ مَن رأى ، فأدخلني إلى قُبّة كإيوان كسرى ، وأطعمني في قِصاع تَتْرى ، وغنتْني جاريةٌ سَكْرى ، تلعب بالمضرابِ كأنّه مِدْرى ، فيا ليتَني لقيتها مرّة أخرى .

قال إسحاق : وقلت لبعض الأعراب : طلبتُك أمس فلم أجدْكَ فأين كنتَ ؟ قال : كنتُ

---

1 يصور : يميل .

عند صديقٍ لي ، فأطعمني بناتِ التّنانير ، وأطعمني أُمّهات الأَبازير[1] وحلواء الطَّناجير[2] ، وسقاني زُعاف القوارير ، وأسمعني غناءَ الشادِنِ الغَرير ، على العيدانِ والطّنابير ، قد مُلِكتْ بأوقار الدراهمِ والدَّنانير .

[في مجلس شراب وغناء]

قرأت في بعض الكتب بغير إسنادٍ : أنّ العطويّ كان يوماً جالساً في منزله ، وطرقه صديقٌ له ممن كان يغنّي بِسُرّ مَن رأى ، فقال له : قد أهديتُ إليك جواريَّ اليوم ونبيذاً يكفيك ، وحسبُك بالكفاية . وأقام عنده ، فدخل عليه غلام أمردُ أحسنُ من القمر ، فاحتَبسوه وكتب العَطويّ إلى صديقٍ له من أهل الأدب : [من الخفيف]

يومنا طيّب بـه حسنُ القَصْـ ـف وحثُّ الأرطال والكاساتِ
ما ترى البرقَ كيف يلمعُ فيه ورشاشاً يبـلُّ في الساعاتِ
ولديْنا ظبـيٌ غريـرٌ ظَريفٌ قـد غَنِينـا بـه عَنِ القَيْناتِ
إن تخلّفتَ بعد ما تصلُ الرّقعـ ـةُ عَنّـا فأنتَ في الأمواتِ

فأجابه الرجلُ فقال : [من الخفيف]

أنا في إثـر رُقعتي فاعلمَنْ ذا كَ عـلى أنّـني مـن البُيّاتِ
فافهم الشَّرطَ بينَنا لا تقل لي قد تثاقَلْت فانصرفْ بحياتي
لا لسَوء لكن لأُمتعَ نَفسي بحديثِ الظبي الغريـرِ المواتِي

صوت

[من الطويل]

أيا بيتَ ليـلى إنَّ ليلى مريضةٌ بِراذان لا خالٌ لديْها ولا ابنُ عمّ
ويا بيتَ ليلى لو شَهِدتك أعولَتْ عليكَ رجالٌ من فَصيح ومن عَجَمْ
ويا بيت ليلى لا يَبِسْتَ ولا تزَل بلادُك سُقياها من الواكِفِ الدِّيَمْ

الشعر لمرّة بن عبد الله النَّهديّ ، والغناء لأحمد النُّصَيبيّ ثقيل أوّل بالوسطى ، يقال إنّه لحُنَين .

1 الأبازير : جمع أبزار وهي التوابل .

2 الطناجير : القدور .

[509] ـ أخبار مرّة ونسبه

[نسبه]

هو مُرّة بن عبد الله بن هُليل بن يسار : أحد بني هِلال بن عَصَم بن نصر بن مازن بن خُزيمة بن نَهد ؛ وليلى هذه من رهطه ، يقال لها : ليلى بنت زهير بن يَزيد بن خالد بن عمرو بن سَلَمة .

[يهجو مَن يخطبها]

نسختُ خبرَها من كتاب ابن أبي السَّرِيّ قال : حدَّثني ابن الكلبيّ عن أبيه : قال : كانت امرأة من بني نَهد ، يقال لها : ليلى بنت زهير بن يَزيد ، وكان لها ابن عمّ يقال له مرّة بن عبد الله بن هليل يهواها ، واشتدّ شغَفُه بها فخطَبها ، وأَبوْا أن يزوِّجوه ، وكان لا يخطبها غيرُه إلاّ هجاه ، فخطبها رجل من بني نَهْشَل ، يقال له : إران ، فقال مرّة يهجوه : [من الطويل]

وما كنتُ أخشى أن تصيرَ بمَرَّةٍ ... من الدَّهر ليلى زوجةً لإرانِ
لَمن ليس ذا لُبٍّ ولا ذا حفيظةٍ ... لعِرس ولا ذا منطِق وبَيانِ
لقد بُليتْ ليلى بشرٍّ بَليَّةٍ ... وقد أُنزلتْ ليلى بدار هَوانِ

[تنعى إليه فيرثيها]

قال : فتزوّجها المِنجابُ بن عبد الله بن مسروق ين سَلَمة بن سعد ، من بني زُوي بن مالك بن نَهد ، فخرج إلى البعْثِ براذان ، وهي إذ ذاك مَسْلَحةٌ لأهل الكوفة ، فخرج بها معه ، فماتت براذان ودُفِنتْ هناك . فقدِم رجُلان من بَجيلة من مكتبهما براذان من بني نهد ، وكانتْ بجيلة جيرانَ بني نهد بالكوفة ، فمرَّا على مجلسهم ، فسألوهما عمَّن براذان من بني نهدٍ ، فأخبراهم بسلامتهم ، ونعيا إليهم ليلى ومُرّة في القوم ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

أيا ناعِيَيْ ليلى أما كان واحدٌ ... من النّاس ينعاها إليّ سواكما
ويا ناعييْ ليلى ألم نك جيرَة ... ندامى ذوي حقٍّ فألاّ نهاكما

ويا ناعييْ ليلى لقد هجتُما لنا ... تجاوبَ نَوْحٍ في الدّيار كلاكُما
ويا ناعييْ ليلى لجلّتْ مُصيبةٌ ... بنا فقدُ ليلى لا أُمِرَّت قواكما[1]
ولا عشتما إلاّ حليفَيْ بَلِيّــةٍ ... ولا مِتُّ حتى يُشترى كَفَناكما
فأشْمَتَ والأيّــام فيهــا بوائِقٌ ... بموتِكما إنّــي أُحِــبُّ رَداكما

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

كأنّك لم تُفجَــع بشَيْءٍ تعــدُّه ... ولم تصطبرْ للنائباتِ مــن الدهرِ
ولم تَر بؤساً بعــد طــول غضارةٍ ... ولم ترمِكَ الأيّامُ من حيثُ لا تدري
سقى جانبيْ راذان والساحَة التي ... بها دَفَنــوا ليلى مُلِثٌّ من القَطرِ[2]
ولا زال خِصْبٌ حيث حلَّتْ عظامها ... براذانَ يُسقى الغيث من هَطِلٍ غَمْرِ
وإن لم تكلمنــا عظــام وهامَــةٌ ... هناك وأصداء بَقِــينَ مع الصخرِ

وقال فيها : [من الطويل]

أيا قبر ليلى لا يَبِسْتَ ولا تَــزَلْ ... بلادُكِ تَسقيها من الواكفِ الدِّيمْ
ويا قبر لَيلى غُيِّبَتْ عنك أُمّهــا ... وخالَتُها والناصحــون ذَوو الذِّمْ
ويا قبر ليلى كم جمــالٍ تُكِنّــه ... وكم ضُمّ فيكَ من عَفافٍ ومن كرمْ

وساق باقي الأبياتِ التي فيها الغناءُ .

[هل كان تزوّجها]

وحكى الهيثم بن عدي عن شيخ من بني نهد : أنّ مرّة كان تزوّجَها ، وكان مكتبه براذان ، وأخرجها معه ، ثم ضُرِب عليه البعث إلى خراسان ، فخلّفها عند شيخ من أهل منزله هناك ، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها ، ومضى لبَعثه ، ثم قدِم بعد حول ، فلقيَ فتى من أهل راذان قبلَ وصوله إلى دارها ، فسأله عنها ، فقال : أترى القبرَ الذي بِفناء الدّار ؟ قال : نعم ، قال : هو والله قبرها ، فجاء ، فأكبّ عليه يَبكي ، ويندُبها ، وترك مكتبَه ، ولزِم قبرَها يغدو ويروح إليه ، حتى لحِق بها .

1 أُمِرَّتْ : اشتدّت .
2 مُلِث : دائم ، شديد الهطل .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

بأَبي أَنتَ يا ابن مَن لا أُسمِّي لبعضِ ما
يا شبيهَ الهلالِ مثـ ـلُك في الأُفق أَنجُما
راقبِ اللهَ في أَسـ ـيرك إن كنت مُسْلِما

الشعر لعليّ بن أُميّة والغناء لعمر المَيْدانيّ رَمَل مطلق .

[510] ـ أخبار علي بن أُميّة

[نسبه]

علي بن أُميَّة بن أَبي أُميَّة ، وكان أَبوه يكتبُ للمهديٍّ على ديوان بيت المال وديوانَيْ الرسائل والخاتَم ، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهديّ ، وإلى الفضل بن الربيع ، وقد تقدَّم خَبَرُ أَخيه محمد في مواضع من هذا الكتاب .

[لحن يثير ضجة]

فحدَّثني أَحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار : قال : حدَّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات : قال : حدَّثني محمد بنُ عليّ بن أُميّة : قال : لمّا قدِم عليُّ بنُ أُميَّة ، وقال : [من مجزوء البسيط]

صوت

يا ريحُ ما تصنَعينَ بالدِّمَنِ ؟ ... كم لك من محوِ منظَرٍ حَسَنِ

محوتِ آثارنا وأحدثتِ آ ... ثاراً بربْع الحبيبِ لم تكنِ

إن تك يا ربعُ قد بَليتَ من الرِّيحِ ... فإني بالٍ من الحَزَنِ

قد كان يا ربعُ فيك لي سَكنٌ ... فصرت إذ بانَ بعدَه سَكَني

شبّهتُ ما أَبلتِ الرياحُ مِن آ ... ثار حبيبي النَّأى بلا بَدَنِ

يا ريحُ لا تطمسي الرموسَ ولا ... تمحي رسومَ الدّيار والدّمنِ

حاشاك يا ريح أَن تكوني على ... العاشق عوناً لحادث الزَّمنِ

كثر الناسُ فيه ، وغنّاه عمرو الغزال ، فقال أَبو موسى الأَعمى : [من مجزوء البسيط]

يا ربّ خُذني وخذ عَلِيّاً وخُذْ ... يا ريح ما تصنعين بالدِّمَنِ

عَجِّل إلى النّار بالثلاثةِ والرا ... بع عمرو الغَزال في قَرَنِ

ثم ندم ، وقال : هؤلاء أَهلُ بيت ، وهم إخوتي ، ولا أحبّ أَن أُنشِب بيني وبينهم عداوةً وشرّاً ، فأَتى أُميَّة فقال : إنّي قد أَذنبت فيما بيني وبينكم ذنباً ، وقد جئتك مُستجيراً بك من

فتيانك ، فدَعا بعليٍّ بن أُميّة ، فقال : يا هذا ، عمُّك أبو موسى قد أتاك معتذراً من الشعر الذي قاله ، قال : وما هو ؟ فأنشده ، فقال : قد ضَجِرنا نحن والله منه كما ضَجِرتَ أنت وأكثر ، وأنت آمِنٌ من أن يكون منّا جوابٌ ، وأتى محمد بن أُميَّة ، فقال له مثل ذلك ، ومضى أبو موسى ، فأخذ عليٌّ بن أُميَّة رقعة فكتب فيها : [من مجزوء البسيط]

كم شاعرٍ عند نفسه فَطِنِ ليس لدينا بالشاعر الفَطِنِ
قد أَخْرَجَتْ نفسَه بغُصَّتها يا ريحُ ما تَصنَعين بالدِّمنِ

ودفع الرقعةَ إلى غلام له ، وقال : ادفعها إلى غلام أبي موسى ، وقُل له : يقول لكَ مولاك : اذكرني بهذا إذا انصرفتَ إلى المنزل ، فلمّا انصرف إلى المنزل أتاه غلامُه بالرقعة ، فقال : ما هذه ؟ فقال : التي بعثت بها إليَّ ، فقال : والله ما بعثتُ إليك رقعة ، وأظنّ الفاسق قد فعلها ، ثم دعا ابنه ، فقرأها عليه ، فلمّا سمع ما فيها قال : يا غلام ، لا تنزع عن البغلة . فرجع إلى عليّ بن أُميّة ، فقال : نشدتك الله أن تزيد على ما كان ، فقال له : أنت آمن .

لحن عمرو الغزال في أبيات عليّ بن أُميّة رمل بالوسطى .

[بئس المغني عمرو الغزال]

وقال يوسف بن إبراهيم : حدَّثني إبراهيم بن المهديّ : قال : حدَّثني محمد بن أيّوب المكّيّ : أنّه كان في خدمة عُبيدِ الله بن جعفر بن المنصور ، وكان مستخِفّاً لعمرو الغزال ، محبّاً لـه ، وكان عمرو يستحقّ ذلك بكلّ شيء ، إلاّ ما يدَّعيه ويتحقّقُ به من صناعة الغناء ؛ وكان ظريفاً أدِيباً نظيفَ الوجه واللباس ، معه كلُّ ما يحتاج إليه من آلة الفتُوّة ، وكان صالح الغناء ، ما وقف بحيث يستحقّ ، ولم يدَّع ما لا يستحقّه ، وأنّه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما ، لا يرى لهم عليه فضلاً ولا يشكّ في أنّ صنعتهم مثلُ صنعتِه ، وكان عبد الله قليلَ الفهم بالصناعة ، فكان يظنّ أنّه قد ظفِر منه بكنز من الكنوز ، فكان أحظى الناس عنده مَن استحسن غناء عمْرو الغَزال وصنعته ، ولم يكن في ندمائه مَن يفهم هذا ، ثم استزار عبيدُ الله بن جعفر أخاه عيسى ، وكان أفهَم منه ، فقلت له : استعن برأي أخيك في عمرو الغزال ؛ إنّه أفهَمُ منك ، وكانت أمُّ جعفر كثيراً ما تَسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به ، فكان عيسى أخوه يُعرِّف الرشيد أنه

ضعيف عاجز لا يستحقّ ذلك ، فلمّا زاره عيسى أَسمعه غناء عمرو ، فسمع منه سُخْنَةَ عين[1] ، فأَظهر من السرور والطّرب أَمراً عظيماً ، ليزيد بذلك عُبيدَ الله بصيرةً فيه ، ويجعلَه عيسى سبباً قوياً يشهد عند الرشيد بضعف عقله ، وعلمتُ ما أَراد ، وعرفت أَن عمراً الغزال أَوّل داخل على الرشيد ، فلمّا كان وقت العصر من اليوم الثاني ، لم نشعر إلاّ برسول الرشيد قد جاء يطلب عمراً الغزال ، فوجّه إليه وأَقبل يلومني ويقول : ما أَظنّك إلاّ قد فرقتَ بيني وبين عمرو ، وكنتَ غنيّاً عن الجمع بينه وبين عيسى ، واتفق أَن غنى عمرو الرشيد في هذا الشعر صنعته : [من مجزوء البسيط]

يـــا ريح ما تصنعين بالدِّمنِ كَم لك مـــن محوِ منظرٍ حَسنِ

وكان صوتاً خفيفاً مليحاً فأَطربه ، ووصله بأَلف دينار ، وصار في عِداد مُغَنّي الرشيد ، إلاّ أَنّه كان يلازم عبيدَ الله إذا لم يكن له نوبة ، فأَقبلتُ أَتعجّب من ذلك ، واتَّصلت خدمته إيّاه ثلاث سنين ، ثم انصرفا يوماً من الشمّاسية مع عبيد الله بن جعفر ، فلقيَه الخضر بنُ جبريل ، وكان في الناس في العسكر ، فعاتبه عبيدُ الله على تركه وانقطاعه عنه ، فقال : والله ما أَفعل ذلك جَهلاً بحقّك ، ولا إخلالاً بواجبك ، ولكنّا في طريقين مُتباينين لا يمكن معهما الاجتماع ، قال : وما هما ويحَكَ ؟ قال : أَنت على نهاية السَّرف في مَحبَّة عمرو الغزال ، وأَنا على نهاية السّرف في بغضه وأَنت تتوهّم أَنّه لا يطيب لك عيش إلاّ به ، وأَنا أَتوهّم أَنّي إن عاشرتُه ساعة متّ ، وتقطّعتْ نفسي غيظاً وكمداً ، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبداً ، فقال له عبيدُ الله : إذا كان هذا هكذا فأَنا أَعفيك منه إذا زرتَنـي ، فصِرْ إليَّ آمنـاً ، ففعل ، ولم يجلس عبيدُ الله حتى قال لحاجبه لا تُدخِلِ اليومَ أَحداً ، ولا تستأذن عليَّ لخلق بتةً ودخلنا ، فلمّا وُضِعَت المائدة لم يأْكل ثلاث لُقَم ، حتى دخل الحاجبُ فوقف بين يديه ، وأَقبل عمرو الغزال خلفَه ، فرآه من أَقصى الصحن ، فقال له عبيدُ الله : ثكلتْك أُمُّك ! أَلم أَقل لك لا تُدخلْ عليّ أحداً مِن خلقِ الله ؟ فقال له الحاجب : امرأته طالقٌ ثلاثاً إن كان عنده أن عمراً عندك في هذا المجرى ، ولو جاء جبريل وميكائيل وكلّ مَن خلق الله لم يَدخلـوا عليـك إلاّ بإذن سوى عمرو ؛ فإنّـك أَمرتَني أَن آذن له خاصة وأَن يدخُلَ متى شاء ، وعلى كلِّ حال . قال : ولم يفرغ الحاجبُ من كلامه حتى دخل عمرو ، فجلس على

1 سخنة عين : ضد القُرّة والارتياح .

المائدة وتغيّر وجهُ الخِضر ، وبانت الكراهةُ فيه ، فما أَكل أَكلاً فيه خيرٌ ، وتبيَّن عبيد الله ذلك ، ورُفعت المائدة وقُدِّم النبيذ ، فجعل الخِضر يشرب شرباً كثيراً لم أَكن أُعهده يشرب مثلَه ، فظننت أنّه يريد بذلك أَن يستتر من عمرو الغزال ، وعمرو يتغنَّى ، فلا يقتصر وكلّما تغنَّى قال له عبيد الله : لَمِن هذا الصوتُ يا حبيبي ؟ فيقول : لي وعندنا يومئذٍ جوارٍ مطربات محسنات ، وهو يقطع غناءهنّ بغنائه ، وتبيّنت في وجه الخضر العربدة إلى أَن قال عمرو بعقب صوت : هذا لي ، فوثب الخِضر وكشف استَه وخَرِي في وسط المجلس على بساط خزٍّ لم أَرَ لأَحد مثلَه ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك ، فهذا الخراء لي ، فغضب عبيد الله ، وقال له : يا خِضرُ أَكنت تستطيع أَن تفعل أَكثر من هذا ؟ قال إي والله أَيّها الأمير ، ثم وضع رجليه على سلحه ، ثم أَخرَجَهما فمشى على البساط مُقْبلاً ومُدبراً ، حتى خرج وقد لوَّثه ، وهو يقول : هذا كلّه لي ، وتفرَّقنا عن المجلس على أَقبح حال وأَسوئها ، وشاع الخبر ، حتى بلغ الرشيد ، فضحِك حتى غُلِب عليه ، ودَعا الخضر ، وجعله في نُدمائه منذ يومئذٍ ، وقال : هذا أَطيب خلق الله ، وانكشف عنده عُوارُ عمرو الغزال واسترحنا منه ، وأَمر أَن يُحْجَبَ عنه ، فسقط منذ يومئذٍ ، وقد كان الجواري والغِلمانُ أَخذوه ولَهِجوا به ، وكان الرشيد يكايد به إبراهيم الموصليّ وابن جامع قبل ذلك فسقط غِناؤه أيضاً منذ يومئذٍ ، فما ذكر منه حرفٌ بعد ذلك اليوم إلاّ صنعته في : [من مجزوء البسيط]

يا ريحُ ما تصنعين بالدّمَنِ

ولولا إعجابُ الرشيد به لسقط أيضاً .

[أية ريح يعني]

حدَّثني الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم عن أَبي هِفّان : قال : كنّا في مجلس ، وعندنا قَينة تغنّينا ، وصاحبُ البيت يهواها ، فجعلت تكايده ، وتومىء إلى غيره بالمزح والتَّجْميش[1] ، وتغيظُه بجَهدها ، وهو يكاد يموت قلقاً وهمّاً وتَنَغَّص عليه يومُه ، ولجَّتْ في أَمرها ، ثم سقط المِضرابُ عن يدها ، فأَكبَّت على الأَرض لتأخذه ، فضرَطت ضَرطةً سمعها جميعُ مَن حضر ، وخَجِلت ، فلم تَدْرِ ما تقول فأَقبلت على عشيقها فقالت : أَيش

1 التجميش : الملاعبة .

تشتهي أن أُغنّي لك ؟ فقال : غَنّي : [من مجزوء البسيط]

يا رِيحُ مـا تصنعين بالدِّمَنِ

فخجِلت وضحك القوم وصاحبُ الدار : حتى أُفرطوا ، فبكتْ وقامتْ من المجلس ، وقالت : أَنتم والله قوم سِفَل ، ولعنة الله عليَّ مَن يُعاشركم ، وغضِبَتْ وخرَجَتْ ، وكان ، عَلِم الله ، سببَ القطيعة بينهما وسلوّ ذلك الرجل عنها .

[من الرسول]

أَخبرني ابن عمّار وعمّي الحسن بن عليّ ، قالوا : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدَّثنا الحسين بن الضحاك : قال : كنت في مجلس قد دعينا إليه ، ومعنا عليّ بن أُميَّة ، فعلقتْ نفسُه بقَيْنة دعيتْ لنا يومئذٍ ، فأَقبل عليها فقال لها : أَتُغنّين قوله : [من الخفيف]

خبريني مَـن الرسولُ إليكِ ؟ واجعليـه مَـن لا ينـمُّ عليكِ
وأَشيري إليَّ مـن هـو باللحـ ـظ ليَخفى على الذيـن لَديكِ

فقالت : نعم ، وغنّته لوقتها وزادت فيه هذا البيت ، فقالت :

وأقلّي المُزاحَ في المجلس اليو مَ فـإن المُـزاحَ بين يديكِ

ففطن لِما أَرادتْ وسُرّ بذلك ، ثـم أَقبلت على خادم واقف فقالت له : يا مسرور ، اسقني ، فسقاها ، وفطِن بنُ أُميّة أَنّها أَرادت أَن تعلمه أَنّ مسروراً هو الرسول ، فخاطبه ، فوجده كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردَّد في الرسائل بينهما .

[511] ـ أخبار عمر الميداني

[متقدم في الصنعة والأداء]

هو رجل من أهل بغداد كان ينزل المَيدان[1] فعرف به ، وكان لا يفارق محمداً وعليّاً ابنيْ أميّة وأبا حشيشة ، ينادمهم ويغنّي في أشعارهم ، وكان منزله قريباً منهم ، وهو أحد المحسنين المتقدّمين في الصنعة والأداء .

حدَّثني جحظةُ : قال : سمعتُ ابنَ دقاق في منزل أبي العَنْبَس بن حَمدون يقول : سمعت أبا حَشيشة والمسدود ، ومَن قبلَهما من الطُّنبوريين ، فما سمعتُ منهم أصحَّ غناء ولا أكثرَ تصرّفاً من عُمر الميداني .

[مائدة إسحاق وجائزته]

حدَّثني جحظةُ : قال : حدَّثني علي بن أُميّة : قال : دخلتُ يوماً على عمر الميدانيّ ، وكان له بقّال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ، ويقارضه إذا أعسر ، ويتصرّفُ في حوائجه ، فإذا حصلتْ له دراهمُ دفعها إليه يقبض منها ما رأى ، لا يسأله عن شيء ، فوجدتُ عنده يومئذٍ هذا البقالَ ، فقال لنا عمر : معي أربعة دراهم تُعطوني منها لعلف حماري دِرهماً ، والثلاثة لكم ، فكلوا بها ما أحببتم . وعندي نبيذٌ ، وأنا أغنّيكم ، والبقال يُحضِرنا من الأبقال اليابسةِ ما في حانوته . فوجّهنا بالبقّال . فاشترى لنا بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم فاكهةً وريحاناً . وجاءنا من حانوته بحوائج السِّكباج[2] ونُقْل . فبينا نحنُ نتوقّع الفراغَ من القِدر إذا بفُرانق[3] يدقّ الباب . فأدخله عمر : فقال له : أَجب الأمير إسحاق بنَ إبراهيم . فحلف علينا عمرُ بالطلاق ألاَّ نبرح ، ومضى هو ؛ وأكلنا السِّكباج وشربنا وانصرف عِشاء . وبَكَر إليَّ رسولُه في السَّحَر أن صِرْ إليَّ ، فصرت إليه ، فقلت : أَعطِني خبرك من النَّعل إلى النَّعل[4] . قال : دخلتُ فوُضِعَتْ بين يديّ مائدة

1 الميدان : محلة ببغداد .

2 السكباج : لحم يطبخ بخل .

3 الفرانق : الرسول .

4 من النعل إلى النعل : أي القصة من البداية إلى النهاية .

كأنّها ‑جَزْعة[1] يمانيّة قد فُرِشت في عِراصِها الحِبَرُ فأكلتُ وسُقيتُ رطلين ، ودُفِع إليَّ طُنبورٌ . فدخلت إلى إسحاق ، فوجدته في الصدر جالساً ، وخلفه ستارة . وعن يمينه مُخارق وعن يساره علّويه . فقال لي : أنت عُمر الميدانيّ ؟ فقلت : نعم . فقال : أأكلت ؟ فقلت : نعم قال : هاهنا أو في منزلك ؟ فقلت : بل هاهنا ، قال : أحسنت ، فغنّ بصوتك الذي صنعته فيَّ : [من مجزوء الخفيف]

يا شبيه الهلال كُلْـ ـــل في الأفْق أنجُما

وهو رَمَل مطلق ، فغنّيته فضربَ الستارةَ . وقال : قولوه أنتم ، فقالوه ، فقال : لمخارق وعلّويه : كيف تسمعانِ ؟ فقالا : هذا والله ذا ، وذا ذاك . فرددتُه مراراً . وشرب عليه . وقال لي : أنا اليوم على خلوة ولك عليّ دعوات ، فانصرف اليومَ بسلام . فخرجت ودفع إليَّ الغلام خمسة آلاف درهم . فهي هذه ، والله لا استأثرتُ عليكمُ منها بدرهم . فلم نزل عنده نقصِفُ حتى نَفِدَت .

صوت

[من الهزج]

أَمينَ الخالــق الباري وراعــي كلّ مخلوقِ
أَدِرْ راحَكَ في المعشو ق من راحة معشوقِ

الشعر لأبي أيّوب سُليمان بن وهب . والغناء للقاسم بن زُرزور ثقيل أوّل بالبنصر من جامع غنائه المأخوذ عن أبيه أبي القاسم عبيد الله بن القاسم .

1 الجزع اليماني : من الأحجار الثمينة .

[512] ـ أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب[1]

[ينكر الانتساب إلى الحارث]

قد تقدّم نسبُه في أخبار الحسن بن وهب أخيه وانتماؤه في بني الحارث بن كَعب . وأن أصلهم من قرية يقال لها : سار قرمقا من طَسُّوج[2] خُسْروسابور من سواد واسط ، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتسابَ إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى ابنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدّة تعلّقهما به ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتّاب .

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثني الحسن بن يحيى وعَوْن بن محمد الكِنديّ ، أنّ جعفر بن محمد كان وزير المهتدي في أوّل أمره ، فبلغه عنه تشيُّعٌ فكرهه ، وقال : هذا رافضيّ لا حاجةَ لي فيه ، واستوزر جعفر بن محمد بن عمّار ، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهتدي ، ثم قدِم موسى بن بَغا من الجبل ، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ، فاستوزر المهتدي سليمانَ بن وهب ولقب الوزير حقّاً ؛ لأنّ مَن كان قبلَه كان غيرَ مستحقّ للوزارة ، ولا مستقلاً بها .

[ينصفه ويعطيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسنُ بن يحيى بن الجمّاز : قال : لمّا استُوزرَ سليمانُ بن وهب جلس للنّاس ، فدخل عليه شاعر يقال له : هارون بن محمد البالسيّ ، فذكر مظلمةً له ببلده ، ثم أنشده : [من الخفيف]

زِيـــدَ في قـــدرك العـليِّ علـــوٌّ ... يا ابن وهـــبٍ من كاتبٍ ووزيرِ

---

1 انظر أخباره في ترجمة الحسن بن وهب التي مرّت آنفاً ولسليمان بن وهب ترجمة ضمن ترجمة الحسن بن وهب في معجم الأدباء 3 : 1019–2022 .

2 طَسُّوج : الناحية .

أسفَر الشرق منك والغرب عن ضو ء مـن العدل فاق ضوءَ البدورِ
أنشر النـاسَ غيثُكـمْ بعدما كا نوا رُفاتـاً مـن قبلِ يومِ النّشورِ
شرَّد الجـورَ عدلُكـم فسرحْنا بينكـم بـين رَوْضـة وغديرِ
[أنت عَيْن الإمام والقِـرْم مو سى بـك تفترّ عابسات الأُمورِ]

فوقع في ظلامته [بما أراد] ووصله بمائتيْ دِينار .

[يزيد المهلبيّ يمدحه فيزيد جائزته]

أخبرني محمدُ بن يحيى : قال : حدَّثنا أحمد بن الخصيب : قال : لعهدي بيزيد بن محمد المهلّبيّ عند سليمان بن وهب بعد ما استوزرَه المهتدي ، وقد أجلسه إلى جانبه ، وهو ينشده قولَه : [من الطويل]

وهبتم لنـا يـا آلَ وهب مودَّة فأبقـت لنا جاهـاً ومجداً يؤثَّلُ
فمَـن كان للآثـام والذلُّ أرضُه فأرضُكُم للأجْـر والعِـزّ منزلُ
رأى الناسُ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدِكم فقد سألوكم فوقَ ما كانَ يُسْأَلُ
يقصِّر عـن مسعاكمُ كلُّ آخـرٍ ومـا فاتكـم ممّـن تقـدَّمَ أوّلُ
بلغتُ الذي قـد كنتُ أمّلتُه لكم وإن كنتُ لم أبلغ بكم مـا أؤمِّلُ

فقطع عليه سليمان الإنشاد ، وقال له : يا أبا خالد ، فأنت واللهِ عندي كما قال عُمارة بن عَقيل لابنه : [من الطويل]

أُقهقهُ مسروراً إذا أبتَ سالماً وأبكي من الإشْفاق حين تغيبُ

فقال له يزيد : فيسمعُ منّي الوزيرُ آخرَ الشّعر لا أوَّلَه ، وتمّم فقال : [من الطويل]

ومـاليَ حـق واجبٌ غيرَ أنّني بجـودكمُ في حاجتـي أتوسَّلُ
وأنّكـمُ أفضلتـمُ وبَررْتـمُ وقـد يستَتِمُّ النّعمـةَ المتفضِّلُ
وأوليتـمُ فِعـلاً جميـلاً مقدَّما فعـودوا فإنّ العَوْدَ بالحرّ أجملُ[1]
وكم مُلحفٍ قد نال ما رام منكمُ ويمنعنا مـن مثلِ ذاكَ التجمُّلُ

1 فعودوا في ل : فعودا .

وعوّدتمونا قبـلَ أن نسألَ الغِنى ... ولا بذلَ للمعروف والوجهُ يُبذَلُ

فقال له سليمانُ : لا تبرح والله إلاّ بقضاء حوائجك كائنةً ما كانت ، ولو لم أستفد من كَتَبَة أمير المؤمنين إلاّ شكرَكَ لرأيت جنابي بذلك مُمرِعاً ، وغرسي مُثمِراً ، ثم وقّع له في رِقاع كثيرةٍ كانت بين يديه .

[رجل من ذوي حرفته يطلب عملاً]

أخبرني محمد : قال : حدَّثنا الحَزَنْبَل : قال : لمّا وَلَّى المهتدي سليمانَ بن وهب وزارتَه قام إليه رجل من ذوي حِرفته ، فقال : أنا ، أعزّ الله الوزير ، خادمُك ، المؤمِّل دولتَك ، السعيدُ بأيّامك ، المطويُّ القلب على ودّك ، المنشورُ اللسان بمدحِك ، والمرتهَنُ بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر : [من البسيط]

وفَّيْـتُ كلَّ أديب ودَّني ثَمناً ... إلاّ المؤمِّـلَ دَولاتـي وأيَّامي

فإنَّنـي ضامـنٌ ألاَّ أكافئـه ... إلاّ بتسويغه فَضْـلي وإنعامي

وإنّي لَكَما قال القَيْسيُّ : ما زلت أمتطي النهارَ إليك ، وأستدِلُّ بفضلك عليك ، حتى إذا جنَّني الليلُ ، فَقَبَض البصر ، ومحا الأثر ، أقام بَدَني ؛ وسافر أملي ، والاجتهادُ [عذر] ، وإذا بلغتُك فهو مرادي فقط . فقال له سليمان : لا عليكَ : فإنّي عارف بوسيلتِكَ ، محتاج إلى كفايتِكَ ، ولستُ أؤخّرُ عن أمري النظر في أمرك وتَوليتَكَ ما يحسن أثرُه عليك .

[القاضي أحد شهودها]

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال : ما رأيتُ أظرفَ من سليمان بن وهب ، ولا أحسنَ أدباً : خرجنا نتلقّاه عند قُدومه من الجبل مع موسى بن بَغا ، فقال لي : هات الآن يا أبا الحسن ، حدِّثني بعجائبكم بعدي ، وما أظنّك تحدِّثني بأعجبَ من خبرِ ضَرطة أبي وهب بحضرة القاضي ، وما سُيِّر من خبرها ، وما قيل فيها ، حتى قيل : [من الكامل]

ومن العجائب أنّها بشهادَة الْـ ... ـقاضي فليس يُزيلُها الإنكارُ

وجعل يضحك .

[يعترف بفضل ابن ثوابة]

قال علي بن الحسين الأصفهاني : حضرت أبا عبد الله الباقطانيّ ، وهو يتقلّد ديوانَ المشرق ، وقد تقلَّد ابن أبي السلاسل ماسَبذان ومِهْرجان قُذُف[1] ، وجاءه يأخذ كتبه ،

---

1 ماسبذان ومهرجان قذف : كورتان من نواحي الجبل في طريق القاصد من حلوان العراق إلى همذان .

فجعل يوصيه كما يوصي أصحابُ الدواوين العُمَّالَ ، فقال ابن أبي السلاسل : كأنّك استكثرتَ لي هذا العمل أنت أيضاً ! قد كنتَ تكتب لأبي العبّاس بن ثوابة ، ثم صرتَ صاحب ديوان ، فقال له الباقطانيّ : يا جاهل يا مجنون ، لولا أنّه قبيح عليّ مكافأة مثلك لراجعتُ الوزير ، أيده الله ، في أمرك ، حتى أُزيلَ يدَك ، ومَن لي أن أجِد مثل ابن ثوابة في هذا الوقت ، فأكتب له ، ولا أريد الرياسة ! ثم أقبل علينا يحدِّثنا ، فقال : دخلت مع أبي العبّاس بن ثوابة إلى المهتدي ، وكان سليمان بن وهب وزيره ، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمّال والكتّاب ، فيعملون بحضرته ، فيوقع إليهم في الأعمال ، فأمر سليمان أن يكتبَ عنه عشرةَ كتب مختلفة إلى جماعةٍ من العمّال ، فأخذ سليمان بيد أبي العبّاس بن ثوابة ، ثم قال له : أنت اليوم أحدُّ ذهناً منّي فهلمّ نتعاون ، فدخلا بيتاً ، ودخلتُ معهما ، وأخذ سليمان خمسةَ أنصاف وأبو العبّاس خمسةَ أنصاف أُخَر ، فكتبا الكتب التي أُمر بها سليمانُ ما احتاج أحدهما إلى نسخة ، وقد أكمل كلٌّ واحد منهما ما كتب به صاحبه ، فاستحسنَه وقرّظَه ، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي ، فقال له وقد قرَأها : أحسنتَ يا سليمانُ ، ونِعم الرجلُ أنتَ لولا المعجَّل والمؤجَّل ، وكان سليمان إذا ولّى عاملاً أخذ منه مالاً معجَّلاً ، وأجّل له مالاً إلى أن يتسلَّم عمله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقّاً أو باطلاً ، فإن كان باطلاً فليس مثلُكَ مَن يقوله ، وإن كان حقّاً ، وقد علمت أنّ الأصول محفوظة ، فما يضرّ مَن يساهمني من عمّالي على بعض ما يصل إليهم من برٍّ ؛ من غير تحيُّف للرعيّة ولا نقص للأموال ؟ فقال : إذا كان هكذا فلا بأسَ ، ثم قال له : اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتَقَل في يده ، بباقي ما عليه من المصادرة ، فقال له أبو العبّاس بن ثوابة : كلُّنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك ، وكلّنا حاطب في حبلك ، وساع فيما أرضاك وأيَّد ملكَك ، أفنمضي ما تأمر به على ما خيَّلْتَ أم نقول بالحقّ ؟ قال : بل قُل الحقَّ يا أحمد فقال : يا أمير المؤمنين ، المِلْك يقين ، والمصادَرة شكٌّ ، أفترى أن أُزيلَ اليقين بالشكّ ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدتَ للرجل بالملك ، وصادَرته عن شكٍّ فيما بينك وبينه ، وهل خانك أم لا ، فتجعل المصادرة صُلحاً ! فإذا قبضتَ ضيعته بهذا فقد أزلتَ اليقينَ بالشكّ ، فقال له : صدقت ، ولكن كيف الوصول إلى المال ؟ فقال له : أنت لا بدّ لك من عُمّال على أعمالك ، وكلّهم يرتزق ، ويرتَفِق ، فيحوز رِفقَه ورزقَه إلى منزله ، فاجعله أحد عمّالك ؛ ليصرف

هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه ، فيتخلّصَ بنفسه وضيعته ويعودَ إليك مالك ، فأمر سليمانَ بن وهب بأن يفعلَ ذلك ، فلمّا خرجا من حضرة المهتدي قال له سليمان : عهدي بهذا الرجلِ عدوّك ، وكلّ واحد منكما يسعى على صاحبه ، فكيف زال ذلك ، حتى نُبْتَ عنه في هذا الوقت نيابةً أحييته بها ، وتَخَلَّصتَ نفسَه ونعمته ؟ فقال : إنّما كنت أُعاديه ، وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف منّي ، فأمّا وهو فقير إليّ فلا . فهذا ممّا يحظره الدين والصناعة والمروءة . فقال له سُليمان : جزاك الله خيراً ، أما والله ، لأشكرن هذه النيّةَ لك . ولأعتقدنّك من أجلها أخاً وصديقاً . ولأجعلنَّ هذا الرجل لك عبداً ما بقي . ثم قال الباقطانيّ : أفمن كان هذا وزنه وفعله يُعاب مَن كان يكتُبُ له ؟

[من شعره في نكبته]

أخبرني محمد بن يحيى الباقطانيّ : قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى الباقطانيّ قال : كنت آلف سليمانَ بن وهب كثيراً ، وأخدمه وأحادثه . وكان يخصّني ويأنس بي . فأنشدَني لنفسه يذكر نكبتَهُ في أيّام الواثق : [من مخلع البسيط]

صوت

نوائبُ الدّهر أدَّبْتني ... وإنّما يُوعظُ الأريبُ

قد ذقتُ حُلواً وذقتُ مُرّاً ... كذاك عيشُ الفتى ضُروبُ

ما مَرَّ بؤسٌ ولا نَعيمٌ ... إلاّ وَلي فيهما نصيبُ

فيه رمل محدَث لا أعرف صانعه .

[بينه وبين علي بن يحيى]

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى أنَّ جفوةً نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه : [من الطويل]

جفاني أبو أيّوب نَفسي فداؤه ... فعاتبتُه كيما يَريعَ ويُعتِبا

فوالله لولا الضنُّ منّي بوُدّه ... لكان سُهيلٌ من عِتابِيه أقرَبا

فكتب إليه سليمان : [من الطويل]

ذكرتَ جَفائي وهْو من غير شيمتي ... وإنّي لدانٍ من بعيد تَقرُّبا

فكيف بخِلٌ لي أضِنّ بوُدّه ... وأُصفيه وُدّاً ظاهراً ومُغَيَّبا

عليّ بن يحيى لا عدمتُ إخاءه فما زال في كلّ الخصال مهذّبا
ولكنّ أشْغالاً عَرَتْ وتواتَرت فلمّا رأيت الشغلَ عاق وأتعبا
وكنتُ إلى عذر الأخلاّء إنّهم كِرامٌ وإن كان التواصلُ أوجبا
فإن يطّلبْ منّي عتابُك أوبةً ببرٍّ تجدْني بالأمانة مُعتِبا

[قبلة بقبلة]

أخبرني محمدُ بن العبّاس اليزيديّ عن عمّه : قال : كان سليمان بن وهب ، وهو حدَث ، يتعشَّق إبراهيم بن سوَّار بن شداد بن ميمون ، وكان من أحسنِ النّاسِ وجهاً وأملحِهم أدباً وظَرفاً ، وكان إبراهيم هذا يتعشّق جاريةً مُغنّية ، يقال لها رُخاص ، فاجتمعوا يوماً فسكِر إبراهيم ، ونام ، فرأت رُخاصُ سليمانَ يقبّله ، فلمّا انتبه لامته ، وقالت : كيف أصفو لك وقد رأيتُ سليمانَ يُقبّلك ؟ فهجره إبراهيم ، فكتب إليه سليمان : [من المجتث]

قل للذي ليس لي مِن جوى هواه خَلاصُ
أإِنْ لثمتُك سرّاً وأبصرتْني رُخاصُ
وقال لي ذاكَ قوم على اغتيابي حِراصُ
هجَرتَني وأتَتْني شَتيمةٌ وانتقاصُ
وَسرَّ ذاك أُناساً لهم علينا اختِراصُ
فهاكَ فاقتصّ منّي إنَّ الجُروحَ قِصاصُ

وأهدى سليمانُ إلى رُخاصَ هدايا كثيرة ، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوماً عند سليمان ، ويوماً عند إبراهيم ، ويوماً عند رُخاص .

[مساجلة بينه وبين أحد أصحابه]

أخبرني الصوليّ عن أحمد بن الخصيب : قال : حضرتُ سليمان بن وهب ، وقد جاءته رُقعة من بعض مَن وعده أن يصرّفه من أصحابه ، وفيها : [من الرجز]

هَبني رضيتُ منكَ بالقليل أكانَ في التأويل والتنزيلِ
أو خبرٍ جاء عن الرّسول أو حُجّةٍ في فِطَر العقولِ
مستحسَنٌ من رجل جليلِ عالٍ له حظٌّ من الجميلِ

ينقصُ ما أَشاع بالتطويـل والقول دونَ الفعل بالتحصيلِ
ليس كذا وصف الفتى النّبيل

قال : فكتب له بولاية ناحية ، وأَنفذ إليه مائتيْ دينار وكتب في رقعة : [من الرجز]

ليس إلى الباطل من سبيلِ إلاّ لِمَن يَعدِل عن تعديلِ
وقد وَفَيْنا لكَ بالتحصيلِ فاطْوِ الذي كان عن الخليلِ
فضلاً عن الخليط والنزيلِ وَعُدْ من القول إلى الجميلِ
وعـفٌّ في الكثير والقليلِ تَحظَ مـن الرتبة بالجزيلِ

[هل كان مرتشياً]

أَخبرني محمدُ بن يَحيى عن عبد الله بن الحُسَين بن سعد عن بعض أَهله أَنّه كتب إلى سليمان بنِ وهب ، وهو يتولّى شيئاً من أَعمال الضِّياع : [من الهزج]

أَطـال اللهُ إسعـادَ ك في الآجـل والعاجلْ
أَمـا ترعـى لِمَـن أَمَّـ ـل فضلاً حُرمة الآملْ
وعندي عاجـل من رشـ ـوةٍ يتبعهـا آجـلْ
وأَنـت العـالمُ الشاهـ ـدُ أَنّي كاتـب عاملْ
فـولِّ الكافـلَ البـاذ لَ دون العاجز الباخلْ
فمـا أُفشي لـك السرَّ فِعالَ الأَخـرقِ الجاهلْ

قال : فضحك وأَجلسه وكتب في رقعته : [من الهزج]

أَبِن لي مـا الذي تخطـ ـبُ شرحاً أَيّها الباذِلْ
ومـا تُعطـي إذا وُلِّيـ ـتَ تعجيلاً ومـا الآجلْ
أَفي الإسلافِ تَنقيـص أَم الـوزنُ لـه كامـلْ
وفي الموقـوفِ تضمينٌ أَم الوعـدُ بـه حاصِـلْ
وهـل ميقاتـه الغَلَّـ ـةُ في العـامِ أَو القابلْ
أَبِنْ لي ذاك واردُدْ رُقْـ ـعتـي يـا كاتبـاً عاملْ

[مع سلّة رطب]

فلمّا قرأها الرجلُ قطع ما بينه وبينه ، وردَّ الرقعة عليه ، وولاّه سليمانُ ما التمس . أخبرني محمد بن يحيى عن موسى البربريّ قال : أهدى سليمانُ بنُ وهب إلى سُليمان بنِ عبد الله بن طاهر سِلالَ رُطب من ضَيعته وكتب إليه يقول : [من مجزوء الكامل]

أذِن الأميرُ بفضلـه وبجـوده وبنَيْلِـهِ
لوليِّـــه في بِـرِّه بجَناه سُكَّـرَ نَخلِـهِ
فبعثْـتُ منـه بسَلَّةٍ تحكِي حـلاوةَ عَدلِهِ

[قلمه يصم السَّمع]

أخبرني محمد الباقطاني : قال : كتب سليمانُ بنُ وهب بقلم صُلْب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرَّ القلمُ في يده ، فقال : [من الطويل]

إذا مـا حَددْنـا وانتضيْنا قواطعـاً أصمّ الذكيَّ السمع منهـا صريرُها
تظـلّ المنايـا والعطايـا شوارعـاً تدورُ بمـا شِئنا وتمضـي أُمُورُها
تَساقَطُ في القرطـاس منهـا بدائعٌ كمثـل الـلآلي نَظمُهـا ونَثيرُها
تَقُـودُ أَبِيّـاتِ البيـان بفطنـةٍ تَكَشَّفَ عـن وجـه البلاغـة نورُها
[إذا ما خطوبُ الدهر أرخت ستورَها تجلّـت بنـا عمّـا تُسِرّ ستورُها]

[يرثي أخاه الحسن]

قال : وأنشدَني له يَرثي أَخاه الحسن : [من الطويل]

مضى مذ مضى عِزُّ المعالي وأُصبحت لآلي الحجا والقول ليس لهـا نظمُ
وأَضحى نجيُّ الفِكر بعـدَ فراقه إذا همّ بالإفصاح مَنْطِقُـه كَظْمُ

وذكر ابن المسيِّب أَنَّ جماعة تذاكروا لّما قَبَض الموفّق على سليمان بن وهب وابنه عبد الله : أنّه إنّما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بَغا وودائعه ، فلمّا استقصى ذلك نكبَهما لكثرة ما لهما ، فقال ابن الروميّ وكان حاضراً : [من الطويل]

أَلـم تَـرَ أَنّ المـالَ يُتلِف ربَّه إذا جـمَّ آتِيــه وسُدَّ طريقُه
ومَن جاور الماء الغزير مَجمُّه وسُدَّ مفيضُ المـاء فهو غَريقُه

[البحتري يرثيه]

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مُطالَب ، فرثاه جماعة من الشعراء ، فممّن جوَّد في مرثيته البحتريّ حيث يقول : [من الكامل]

هذا سليمانُ بنُ وهبٍ بعدما ... طالتْ مساعيه النجومَ سُمُوكا
وتنصَّف الدُّنيـا يُدبِّـر أَمرَها ... سبعين حولا قد تَمَمْن دكيكا[1]
أَغْرت به الأقدارُ بَغْتَ مُلِمَّةٌ ... مـا كان رسُّ حديثِها مأفوكا
أَبلغ عُبَيدَ الله فـارعَ مَذْحِجٍ ... شرفاً ومُعطي فَضْلَها تَمليكا
إن الرزيَّةَ في الفقيدِ فَإن هَفا ... جَزِعٌ بلُبِّك فالرزيَّـةُ فِيكا
ومتى وجدتَ الناس إلاّ تاركاً ... لحميمه في التُّرب أَو مَتروكا
بلغَ الإدارة إذ فـداك بنفسه ... وتودُّ لـو تفديـه لا يفديكا
لو يَنجلي لكَ ذخرُها من نَكبةٍ ... جَلَلٍ لأَضحككَ الذي يَبكيكا

صوت

[من الطويل]

لقد برّزَ الفضلُ بن يحيى ولم يزلْ ... يُسامي من الغاياتِ ما كان أَرفَعا
يـراه أَميـرُ المؤمنـين لملكـه ... كَفيلاً لِما أُعطى مـن العهد مَقْنَعا
قضى بالتي شدّتْ لهارونَ مُلكه ... وأَحيـت ليحيـى نفسَه فتمتّعا[2]
فأَمست بنو العباس بعد اختلافها ... وآل عـليّ مثـل زَنْدىْ يـدٍ معا
لئن كان من أَسدى القريضَ أَجاده ... لقـد صاغَ إبراهيم فيـه فأَوقعا

الشعر لأبانِ بنِ عبد الحميد اللاحقيّ يقوله في الفضلِ بن يحيى لمّا قدِم يحيى بن عبد الله بن الحسين على أَمان الرشد وعهده . والغِناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالبنصر عن أَحمد بن المكّيّ ، وكان الرشيدُ أَمره أَن يغنّي في هذا الشعر ، وإيّاه عنى أَبان بقوله :

لقـد صاغَ إبراهيمُ فيه فأَوقعا

---

1 دكيكاً : تاماً .

2 نفسه في ل : ملكه .

[513] ـ أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه

[نسبه]

أَبانُ بنُ عبد الحميد بن لاحق بن عَفير مولى بني رَقاش ، قال أَبو عبيدة : بنو رقاش ثلاثةُ نفر يُنسبون إلى أُمّهم ، واسمها رَقاش ، وهم : مالك ، وزيد مَناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

[صنيعة البرامكة]

أَخبرني عمِّي : قال : حدَّثنا الحسين بن عُلَيل العَنَزيّ : قال : حدَّثني أَحمد بن مَهران مولى البرامكة : قال : شكا مروانُ بن أَبي حفصة إلى بعض إخوانه تَغيّر الرشيد عليه وإمساكَ يدِه عنه ، فقال له : ويحك ! أَتشكو الرشيدَ بعد ما أَعطاك ؟ قال : أَوَ تعجبُ من ذلك ؟ هذا أَبان اللاحقيّ ، قد أَخذَ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ مثلَ ما أَخذتُه من الرشيد في دهري كلِّه ، سوى ما أَخذه منهم ومن أَشباههم بعدَها ، وكان أَبان نقَل للبرامكة كتابَ كليلةَ ودِمنَة ، فجعله شعراً ، ليسهل حفظُه عليهم ، وهو معروف ، أوّله : [من الرجز]

هـذا كتـابُ أَدبٍ ومحنـهْ ... وهو الذي يُدعى كليلة ودمنهْ

فيـه احتيالاتٌ وفيـه رُشدُ ... وهـو كتـابٌ وضعتْـه الهِندُ

فأَعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأَعطاه الفضلُ خمسةَ آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئاً ، وقال : أَلا يكفيك أَن أَحفظه فأَكونَ راويتَك ؟ وعمل أَيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأَ الخلق وأَمر الدنيا وشيئاً من المنطق ، وسمّاها ذاتَ الحُلَل ، ومن الناس مَن يَنسبُها إلى أَبي العتاهية ، والصحيح أَنّها لأَبان .

[بينه وبين أبي نواس]

أَخبرني محمدُ بنُ جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد : قال : حدَّثنا أَبو هِفَّان : قال : حدَّثني الجمَّاز ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكيّ قد جعل امتحان الشعراء وترتيبَهم في الجوائز إلى أَبان بن عبد الحميد ، فلم يرضَ أَبو نواس المرتبة التي جعلَه فيها أَبانُ ، فقال يهجوه

بذلك : [من المجتث]

جالستُ يوماً أباناً لا درَّ درُّ أبانِ
حتى إذا ما صلاةُ الأ ولى دَنتْ لأوانِ
فقام ثَمَّ بها ذو فَصاحة وبَيانِ
فكلَّما قال قُلنا إلى انقضاء الأذانِ
فقال : كيف شَهِدتم بذا بِغير عِيانِ
لا أشهدُ الدَّهرَ حتى تعايَنَ العينانِ
فقلت : سبحانَ رَبِّي فقال : سبحانَ ماني

فقال أبانُ يجيبه : [من مجزوء الرمل]

إن يكن هذا النُّواسيّ بلا ذنبٍ هَجانا
فلقد نِكناهُ حيناً وصفعناهُ زمانا
هانىء الجَرْبى أبوه زادَه اللهُ هَوانا
سائل العباسَ واسمعْ فيه من أمِّك شانا
عجنوا من جُلَنَّارٍ لِيَكيدُوك عِجانا

جُلَّنار أمّ أبي نُواس ، وتزوجَها العبّاسُ بعد أبيه .

[هو والمعذل يتهاجيان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ : قال : حدَّثنا أبو قُلابة عبدُ الملك بن محمد : قال : كان أبان اللاحقيّ صديقاً للمعذَّل بن غَيْلان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء ، فيهجوه المعذَّلُ بالكفر وينسبه إلى الشؤم ، ويهجوه أبان ، وينسبه إلى الفُساء الذي تُهجى به عبدُ القيس ، وبالقِصَر ، وكان المعذَّل قصيراً ، فسعى في الإصلاح بينهما أبو عُيَيْنة المهلَّبيّ ، فقال له أخوه عبد الله ، وهو أسنّ منه : يا أخي إن في هذين شرّاً كثيراً ولا بدّ من أن يُخرجاه ، فدعهما ؛ ليكون شرُّهما بينهما ، وإلاّ فرّقاه على النّاس ، فقال أبان يهجو المعذَّل : [من الطويل]

أحاجيكُمُ ما قوس لحم سِهامُها من الريح لم توصَلْ بقِدٍّ ولا عَقَبْ[1]

---

1 قد : سير من جلد . عقب : عصب يعمل منه الأوتار .

وليست بشَريانٍ وليست بشَوْحَطٍ وليستْ بنبْعٍ لا وليستْ من الغَرْبْ[1]
ألا تلك قــوسُ الدَّحْدحِيّ معــذَّلٍ بها صار عبديّــاً وتمّ لــه النسَبْ[2]
تصكُّ خياشيمَ الأنــوفِ تعمُّــداً وإن كان راميهــا يريد بهــا العُقَبْ
فإن تفتخـر يومــاً تميــمٌ بحاجبٍ وبالقوس مضموماً لكسرى بها العربْ
فحَيٌّ ابــن عمرٍو فاخــرون بقَوْسه وأسهمــه حتــى يغلّــب مَــن غلبْ

قال أبو قلابة : فقال المعذَّل في جواب ذلك : [من الطويل]

رأيــتُ أبانــاً يــوم فِطْرٍ مصلّياً فقُسِّمَ فكـري واستفزنيَ الطرَبْ
وكيف يصلّي مظلمُ القلب ، دِينُه على دين ماني إنَّ ذاك من العجبْ

[يهجو أبا النضير]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثنا عَوْن بن محمد الكنديّ : قال : كان لأبي النَّضيرِ جوارٍ يغنِّين ، ويخرجن إلى جِلّة أهل البصرة ، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوه بذلك ، فمن ذلك قوله : [من الرمل]

غضِب الأحمــقُ إذ مازحتُــه كيف لو كنا ذكرنا المَزدغَهْ
أو ذكرنــا أنّــهُ لاعبَهــا لعبة الجِــدّ بِمزحْ الدغدغهْ[3]
سوَّد الله بخمسٍ وجهَــه دُغــنٍ أمثالِ طـين الردَغَهْ[4]
خُنفُساوان وبنتـــا جُعَــلٍ والتــي تفتــرُّ عنهــا وزغَهْ
يكسر الشِّعــرَ وإن عاتبتَــه في مجالٍ قــال : هذا في اللغَهْ

وأنشدني عمِّي : قال : أنشدني الكُرانيّ : قال : أنشدني أبو إسماعيل اللاحقيّ لجدِّه أبان في هجاء أبي النَّضِير ، [وأخبرني الصوليّ أنّه وجدَها بخطّ الكُرانيّ] : [من الهزج]

إذا قامــت بواكيــكَ وقــد هتَّكْــنَ أستارَكْ

---

1 الشريان والشوحط والنبع . أشجار تصنع منها القسي .
2 الدحدحي : القصير .
3 الدغدغة : الزغزغة .
4 دغن : سود ، جمع دغناء .

أَيُثنينَ على قبر ك أم يلعنَّ أحجارَكْ
وما تترك في الدُّنيا إذا زرتَ غداً نارَكْ
ترى في سَقَرَ المَثْوى وإبليس غداً جارَكْ
لِمَنْ تترك زِقَّيْك ودنَّيْك وأوتارَكْ
وخمساً من بنات الليـ ـل قد أُلبِسْنَ أطمارَكْ
تعالى اللهُ ما أَقبحَ إذ وَلَّيتَ أدبارَكْ

وقال فيه أيضاً : [من الوافر]

قيانُ أَبي النضير مثلَّجاتٌ غناءٌ مثل شعر أَبي النضيرِ
فلا هَمَذانَ حين نصيف نبغي ولا الماهَيْنِ أَيّام الحَرورِ[1]
ولا نبغي بقرميسينَ رَوحا ولا نُبلي البغالَ من المسيرِ
فإن رمت الغناء لديه فاصبر إذا ما جئته للزَّمهريرِ

[يهجو المعذل]

أَخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثنا أَبو خليفة وأَبو ذَكْوان والحسن بن عليّ النَّهديّ : قالوا : كان المعذّل بن غيلان المهري يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور ، وهو يلي حينئذٍ إمارة البصرة من قِبَل الرشيد ، فوهب للمُعذّل بن غَيْلان له بيضةَ عنبر وزنها أَربعة أَرطال ، فقال أَبان بنُ عبد الحميد : [من السريع]

أَصلحكَ اللهُ وقد أصلحا إنِّيَ لا آلوك أَن أَنصَحا
علام تُعطي منوَيْ عَنبرٍ وأَحسِبُ الخازن قد أَرجحا
مَن ليس من قِرد ولا كَلبة أَبهى ولا أَحلى ولا أَملحا
[رسول يأجوج أتى عنهم يخبر أنّ الروم قد أُقبحا]
ما بين رجليه إلى رأسه شِبْرٌ فلا شبَّ ولا أَفلحا

[على باب الفضل بن يحيى]

أَخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا أَبو العَيْناء : قال : حدَّثني الحرمازيّ : قال : خرج أَبانُ بن

---

1 همذان والماهين وقرميسين : بلاد فارسية معروفة .

عبد الحميد من البصرة طالباً للاتّصال بالبرامكة ، وكان الفضلُ بنُ يحيى غائباً ، فقصده ، فأقام ببابه مدّة مديدة لا يصل إليه فتوسَّلَ إلى مَن وصَّل له شعراً إليه ، وقيل : إنّه توسّل إلى بعض بني هاشم ممّن شخص مع الفضل ، وقال له : [من الخفيف]

يا غزيـر النّدى ويا جوهرَ الجو ... هـر مـن آل هاشمٍ بالبطاحِ
إنَّ ظَنِّـي وليس يُخلِفُ ظَنّي ... بـك في حاجَتـي سبيلُ النّجاحِ
إن مـن دونهـا لُمصمَتُ بـابٍ ... أنـت مـن دون قفْلـه مِفتاحي
تاقـت النفسُ يـا خليلَ السَّماح ... نحو بحـرِ النّدى مُجارِي الرّياحِ
ثم فكّرتُ كيف لي واستخرتُ اللـ ... ـه عنـد الإمساء والإصبـاحِ
وامتدحـتُ الأميرَ أصلحَه اللـ ... ـه بشعـرٍ مشهَّـر الأوضـاحِ

فقال : هاتِ مديحَك ، فأعطاه شعراً في الفضل في هذا الوزنِ وقافيته : [من الخفيف]

أنـا مَـن بُغيـةُ الأميرِ وكنـزٌ ... مـن كُنـوزِ الأميـر ذُو أرباحِ
كاتـبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديـبٌ ... ناصـحٌ زائـدٌ عـلى النُّصَّاح
شاعـرٌ مُفلِقٌ أخفُّ مـن الرّيشـ ... ـة مِمّا يكـون تَحت الجَنـاحِ

وهي طويلة جدّاً يقول فيها :

إن دَعـاني الأميرُ عايـن منّي ... شَمَّرِيّـاً كالبُلبُـل الصَّيَّـاحِ[1]

قال : فدعا به ، ووصله ، ثم خُصّ بالفضل ، وقُدِّم معه ، فقُرِّب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم .

[يصل إلى الرشيد على حساب آل علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ : قال : حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ : أنّ أبانَ بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصالَه إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه ، فقالوا له : وما تريدُ من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروانُ بنُ أبي حفصة ، فقالُوا له : إنّ لمروانَ مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمّهم ، به يحظى وعليه يُعطى ، فاسلُكه حتى نفعل ، قال : لا أستحلّ ذلك ، قالوا : فما تصنع ؟ لا يجيء طلبُ الدُّنيا إلاّ بما لا

1 شمريا : ماضياً مجرباً .

يحلّ ، فقال أبان : [من الطويل]

نشَدتُ بحقِّ الله مَن كان مسلماً ... أعُمُّ بما قد قلته العُجمَ والعرَبْ
أعَمٌّ رسولِ الله أقربُ زلفةً ... لديه أم ابنُ العمّ في رتبة النسبْ
وأيُّهما أولى به وبعهده ... ومَن ذا له حقُّ التُّراث بما وجَبْ
فإن كان عبّاسٌ أحقّ بتلكمُ ... وكان عليٌّ بعد ذاكَ على سَبَبْ
فأبناءُ عبّاسٍ هُمُ يرثونه ... كما العمُّ لابن العمِّ في الإرث قد حَجَبْ

وهي طويلة ، قد تركت ذكرها لما فيه ، فقال له الفضل : ما يَرِدُ على أمير المؤمنين اليومَ شيء أعجب إليه من أبياتك ، فركب فأنشدها الرَّشيدَ ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ، ثم اتصلت بعد ذلك خدمته الرشيد ، وخُصَّ به .

[بينه وبين عنان]

أخبرنا أبو العبّاس بن عمار عن أبي العيناء عن أبي العبّاس بن رستم قال : دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عِنانَ جاريةِ النّاطفيّ ، وهي في خيش ، فقال لها أبان : [من المجتث]

العيشُ في الصيف خَيشُ

فقالت مُسرعة : [من المجتث]

إذ لا قتالٌ وجيشُ

فأنشدتُها أنا لجرير قولَه : [من الطويل]

طللتُ أُواري صاحبيَّ صَبابتي ... وهل عَلِقتْني من هواك عَلوقُ

فقالت مُسرعة : [من الطويل]

إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلمتْ ... بأسراره عينٌ عليه نَطوقُ

[مائدة بطيئة]

أخبرني الصوليّ : قال : حدَّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد بن عُثمان بن لاحق : قال : أُولَمَ محمد بن خالد ، فدَعا أبانَ بن عبد الحميد والعتبيّ ، وعبيدَ الله بن عمرو ، وسهلَ بن عبد الحميد ، والحكَم بن قَنبر ، فاحتبس عنهم الغداءُ ، فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال : ألكم أعزّكم اللهُ حاجةٌ ؟

يمازحهم بذلك ، فقال أبان : [من السريع]

حاجَتُنــا فاعْجَـل علينا بهــا مــن الحَشاوي كلَّ طُرديــنِ[1]

فقال ابن قنبر بعد ذلك : [من السريع]

ومن خبيصٍ قـد حكَت عاشقاً صُفرتــه زِيـــنَ بتلويـــنِ

فقال عُبَيْد الله بنُ عمرو : [من السريع]

وأتبِعـــوا ذاك بأُبِّيَّـــةٍ فإنّكــم آيـــينُ آيـــينِ[2]

فقال سَهْل : [من السريع]

دَعنــا مــن الشعر وأوصافِه واعجَــلْ علينــا بالأخاوينِ[3]

فأحضر الغَداءَ ، وخلع عليهم ووصلَهم .

[يشبّب بغلام تركي]

أخبرني الصوليّ : قـال : حدَّثنا محمد بن زياد : قال : حدَّثني أبان بن سعيد الحميدي بن أبان بن عبد الحميد : قال : اشترى جارٌ لجدِّي أبان غلاماً تركيّاً بألف دينار ، وكان أبان يهواه ويُخفي ذلك عن مولاه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ليتني ، والجاهـلُ المغـ ـرورُ مَــن غُــرَّ بلَيْتِ
نلــتُ مِمّــن لا أُسَمِّي وهــو جاري بَيْتَ بَيْتِ
قُبلــةً تُنعِش ميْتــاً إنَّنــي حَـــيٌّ كَمَيْتِ
نتساقى الريقَ بعـد الشـ ـرب من راحٍ كُمَيتِ
لا أُسَمِّيــه ولكـــنْ هــو في كَيْتَ وكَيْتِ

وكان اسمه يتك .

[يحض عمارة على الهرب من زوجها]

وقال أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة : كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد ، وكان عدوّاً لأبان ، فتزوَّج بعمَّارة بنت عبد الوهّاب الثقفيّ ، وهي

---

1 الحشاوي : لم ترد في المعاجم ، ولعلّها ما يُحشى . وطردين : طعام للأكراد .
2 الآيين : العادة ، والعرف المتبع في جماعة من الناس .
3 الأخاوين : جمع إخوان .

أُخت عبد المجيد الذي كان ابن مُناذر يهواه ، ورثاه ، وهي مولاة جِنان التي يُشبِّبُ بها أبو نواس ، ويقولُ فيها : [من الخفيف]

خرجتْ تشهدُ الزفافَ جِنانٌ فاستمالتْ بحُسنها النَّظّارهْ
قال أَهلُ العَروس لمّا رأَوْها ما دهانا بها سِوى عمَّارهْ

قال : وكانت موسرة ، فقال أَبان بن عبد الحميد يهجوه ويحذِّرها منه : [من السريع]

لمّا رأَيت البَزَّ والشارهْ والفرشَ قد ضاقتْ به الحارهْ
واللوزَ والسّكّرَ يُرمَى به من فوق ذي الدار وذي الدارهْ
وأحضروا المُلهِين لم يتركوا طبلاً ولا صاحبَ زَمّارهْ
قلت : لماذا ؟ قيل أعجوبةٌ محمد زُوِّج عَمَّارهْ
لا عَمَّرَ اللهُ بها بيتَه ولا رأَته مُدرِكاً ثارَهْ
ماذا رأَتْ فيه وماذا رجَتْ وهي من النِّسوان مُخْتارَهْ
أَسودَ كالسَّفُّود يُنسَى لدى التَّنّـ ـور بل محراكُ قَيَّارَهْ[1]
يُجرِي على أَولاده خمسةً أَرغفةً كالرِّيش طيَّارَهْ
وأَهله في الأَرض من خَوفه إن أَفرطوا في الأَكل سيَّارَهْ
ويحكِ فِرِّي وأَعصبي ذاكَ بي فهذه أختُك فرَّارَهْ
إذا غَفا بالليل فاستيقظي ثم اطْفِري إنّك طفَّارَهْ
فصعَّدَت نائلةٌ سُلَّما تخافُ أَن تصعدَه الفارَهْ
سُرورُ غَرَّتْها فلا أَفلحتْ فإنّها اللَّخناء غَرَّارَهْ
لو نلتَ ما أَبعدْتَ من ريقها إن لها نَفثةَ سحَّارَهْ

قال : فلمّا بلغتْ قصيدتُه هذه عمّارة هربتْ فحُرِم الثقفيّ من جهتها مالاً عظيماً ، قال : والثلاثة الأَبيات التي أَوّلها :

فصعّدت نائلةٌ سلما

زادها في القصيدة بعد أَن هربتْ .

1 القيّارة : أصله القير وهو الزفت .

[ابن مناذر يهجوه]

أخبرني الأخفش عن المبرّد عن أبي وائِلة ، قال : كان أبان اللاحقيّ يُولَع بابن مُناذر ، ويقول له : إنّما أنت شاعر في المراثي ، فإذا متّ فلا تَرْثني ، فكثر ذلك من أبان عليه ، حتى أغضبه ، فقال فيه ابنُ مُناذر : [من السريع]

غُنجُ أبانٍ ولـينُ منطقه يخبر النّـاس أنّه حَلَقي[1]
داء بـه تُعرَفـونَ كلُّكمُ يا آل عبدِ الحميد في الأُفُقِ
حتّى إذا ما المساء جلَّلهُ كان أُطِبَّـاؤه على الطُّرُقِ
ففرِّجوا عنه بعضَ كربته بمسبطِرٍّ مُطـوَّق العُنُقِ

قال : وهجاه بمثل هذه القصيدة ، ولم يجبه أبانٌ خوفاً منه ، وسُعِيَ بينهما ، فأمسك عنه .

[أكان يهودياً]

أخبرني الصُّوليّ ، عن محمد بن سعيد ، عن عيسى بن إسماعيل : قال : جلس أبانُ بن عبد الحميد ليلة في قوم ، فثلب أبا عبيدة فقال : يقدحُ في الأنساب ولا نَسَب له . فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه : لقد أغفل السلطانُ كلَّ شيء حتى أغفل أَخْذَ الجِزية من أبان اللاحقيّ ، وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أَسْفار التوراة ، وليس فيها مُصحف ، وأوضحُ الدلالة على يهوديتهم أنّ أكثرهم يدَّعِي حفظَ التوراة ، ولا يحفظُ من القرآن ما يُصلّي به ، فبلغ ذلك أباناً فقال : [من الخفيف]

لا تَنِمَّنَّ عـنْ صديـقٍ حديثـاً واستعِـذْ مـن تسرُّر النمَّـامِ
واخفضِ الصَّوتَ إن نطقتَ بليلٍ والتفِـتْ بالنّهـارِ قبـلَ الكَلامِ

[أكان كافراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة : قال : كنّا في مجلسِ أبي زيد الأنصاريّ ، فذكروا أبانَ بن عبد الحميد ، فقالوا : كان كافِراً ، فغضب أبو زيد ، وقال : كان جاري ، فما فقدتُ قرآنه في ليلة قطُّ .

---

1 حلقي : مأبون .

[يقضي على جاره المريض]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ عن دَماذ : قال : كان لأبان جارٌ ، وكان يعاديه ، فاعتلّ علّة طويلة وأرجف أبانٌ بموته ، ثم صَحّ من عِلّته ، وخرج ، فجلس على بابه ، فكانت علّته من السُّلّ ، وكان يكنى أبا الأطول ، فقال له أبان : [من الهزج]

أبا الأطولِ طوّلْتَ ... وما يُنجيك تطويلُ
بك السُّلُّ ولا واللـ ... ـهِ ما يبرأُ مسلولُ
فلا يغررْكَ من طِبِّـ ... ـك أقوالٌ أباطيلُ
أرى فيكَ علاماتٍ ... وللأسباب تأويلُ
هُزالاً قد بَرى جسـ ... ـمَك والمسلولُ مهزولُ
وذِبّاناً حوالَيْكَ ... فموقوذٌ ومقتولُ[1]
وحُمَّى منكَ في الظّهر ... فأنت الدّهرَ مَمْلولُ
وأعْلاماً سِوى ذاك ... تُواريها السّراويلُ
ولو بالفيلِ مِمّا بـ ... ـك عُشرٌ ما نجا الفيلُ
فما هذا على فيكَ ... قُلاعٌ أم دَماميلُ[2]
وما زال مُناجيك ... يُولّي وهْو مَبْلُولُ
لئن كان من الجَوْف ... لقد سالَ بِك النِّيلُ
وذا داء يُزَجّيك ... فلا قالٌ ولا قِيلُ

فلمّا أنشده هذا الشعرَ أُرعِد ، واضطرب ، ودخل منزلَه ، فما خرج منه بعد ذلك ، حتى مات .

صوت

[من الخفيف]

ما تزال الدّيارُ في بُرقةِ النَّجـ ... ـد لسُعدى بقرْقرى تُبكيني[3]

---

1 الموقوذ : الصريع .

2 القلاع : داء يصيب الفم .

3 قرقرى : موضع باليمامة .

قد تحيّلتُ كي أرى وجهَ سُعدى فـإذا كلّ حيلـة تعيينـــي

قلتُ لما وقفتُ في سُدَّة البا ب لسُعـدى مَقالـةَ المِسكينِ

افعلي بي يا ربَّـةَ الخِدرِ خَيراً ومـن المـاء شَربةً فاسقيني

قالتِ : الماءُ في الرَّكيِّ كثيرٌ قلتُ : مـاءُ الركيّ لا يُرويني

طرحتْ دونيَ الستورَ وقالتْ : كلَّ يـوم بعلّـةٍ تـأتيني

الشعر لتُويت اليماميّ ، والغناء لأَبي زَكار الأَعمى ، رَمَل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد من رواية الهِشاميّ .

[514] ـ أخبار تويت ونسبه

[نسبه]

تُوَيْت لقب ، واسمه عبدُ الملك بن عبد العزيز السَّلوليّ من أهل اليمامة ، لم يقع لي غير هذا وجدتُه بخطّ أبي العبَّاس بن ثَوابة ، عن عبد الله بن شَبيب من أخبار رواها عنه .

وتُويْت أحدُ الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حَفْصة وذويهم ، ولم يَفِد إلى خليفة ، ولا وجدْتُ له مديحاً في الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكرَه ، وكان شاعراً فصيحاً نشأ باليمامة وتُوفّي بها .

[حبيبته تضربه]

قال عبد الله بن شَبيب : كانت تُويت يهوى امرأةً من أهل اليمامة يقال لها : سُعدى بنتُ أزهر ، وكان يقول فيها الشعر ، فبلغها شعرُه من وراء وراءَ ، ولم تره ، فمرَّ بها يوماً ، وهي مع أتراب لها ، فقلن : هذا صاحبك ، وكان دَميماً ، فقامت إليه وقُمن معها ، فضربْنَه ، وخَرَّقْن ثيابَه ، فاستعدى عليهِنَّ فلم يُعدِه الوالي ، فأنشأ يقول : [من المنسرح]

إنّ الغواني جرَحْنَ في جسدي … من بعد ما قد فَرَغْنَ من كَبِدي

وقد شقَقْن الرِّداءَ ثُمَّـتَ لم … يُعـدِ عليهِـنّ صاحِبُ البلدِ

لم يُعدِني الأحولُ المشومُ وقد … أبصرَ ما قد صَنَعن في جَسدي

[ترقّ له]

قال : فلمّا جرى هذا بينَه وبينَها عقدَ له في قلبها رِقّة ، وكانت تتعرَّضُ له إذا مرَّ بها ، واجتاز يوماً بِفنائها فلم تتوارَ عنه ، وأرته أنّها لم ترَه ، فلمّا وقفَ مَلِيّاً سترتْ وجْهها بخِمارها ، فقال تُوَيْت : [من الطويل]

ألا أيّها الثـارُ الذي ليسَ نائماً … على تِرةٍ إن مُـتَّ من حُبِّها غَدا

خذُوا بدمي سُعدى فسعدى منِيتُها … غداةَ النَّقا صادتْ فُؤاداً مُقصَّدا[1]

---

1 مقصّداً : مكسّراً .

بآيـةِ مـا ردَّت غـداةَ لقِيتُها على طَـرفِ عَيْنَيْها الرداءَ المورَّدا

[قاتلته تحجّ]

قال ابن شَبيب : ولقيها راحلةً نحوَ مكّة حاجَّةَ ، فأَخذ بخِطام بَعيرِها وقال : [من الكامل]

قـل للتي بكـرتْ تريدُ رَحيلا للحـجِّ إذ وجدتْ إليـهِ سبيلا
مـا تصنعـين بحَجّـةٍ أَو عُمْرةٍ لا تُقْبَـلانِ وقـد قَتلـتِ قَتيلا
أَحيِي قتيلَكِ ثم حُجّي وانسُكي فيكـون حجُّـكِ طاهـراً مَقبولا

فقالتْ له : أَرسل الخِطام ، خيّبك اللهُ وقبحك ، فأَرسلَه ، وسارت .

[يهجو زوجها]

قال عبد الله بن شبيب : ثم تزوَّجها أَبو الجنوب يَحيى بنُ أَبي حَفصة ، فحجبها ، وانقطع ما كان بينها وبين تُوَيت ، فطفِقَ يَهجو يحيى فقال : [من الوافر]

عَناءٌ سِيقَ للقلـب الطروبِ فقـد حُجبتْ معذِّبةُ القُلوبِ
أَقول وقـد عرفتُ لهـا مَحَلاًّ ففاضت عبرةُ العينِ السَّكوبِ
أَلا يـا دارَ سُعـدى كَلِّمينا وما في دار سُعدى من مُجيبِ
ولّمـا ضمَّها وحـوى عليها تركـتُ لـه بعاقبـةٍ نَصيبي
وقلت : زِحامُ مثلكِ مثلَ يَحيى لعمركِ ليس بالرأي المُصيبِ
فمـا لـك مثـلُ لُمِتِه تُدرَّى وما لك مثلُ بُخل أَبي الجنوبِ[1]
إذا فقـد الرغيفَ بكى عليه وأَتبـع ذاك تَشقيقَ الجُيوبِ
يعذّب أَهلَه في القُرْصِ حتـى يظلّوا منـهُ في يـومٍ عصيبِ[2]

وقال أيضاً : [من الطويل]

أَلا في سبيـل اللهِ نفسٌ تقسَّمتْ شَعاعاً وقلـبٌ للحسانِ صديقُ
أَفاقت قلوبٌ كُـنَّ عُذِّبْن بالهوى زمانـاً وقلبـي مـا أَراهُ يُفيقُ
سَرَقْتِ فؤادي ثـم لا ترجعينَـه وبعضُ الغوانـي للقلوب سَروقُ

---

1 لمته تدرَّى في ل : ما جنيت بُدّاً .

2 القرص : أي قرص العجين .

عَروفُ الهوى بالوعد حتى إذا جرتْ ببَيْنِـك غِربـانٌ لهـن نَعيـقُ
ورُدَّت جِمالُ الحيّ وانشقَّتِ العَصا وآذنَ بالبـين المُشِتٌّ صَـدوقُ
ندمـتِ على ألاّ تكـوني جَزيْتني زَعمـتِ وكلُّ الغانيـاتِ مَذُوقُ
لعلّـك أن ننـأى جميعاً بغُلّـة تذوقِين مـن حَرِّ الهوى وأذوقُ[1]
عصيتُ بكِ الناهين حتى لوَ انَّني أمـوتُ لمـا أرعـى عليَّ شَفيقُ

[من مختار قوله في سعدى]

ومن مختار قول تُويت في سعدى هذه ممّا أخذتُه من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أوّلها : [من الوافر]

سنُرضِـي في سُعيـدى عاذليْنا بعاقبـة وإن كُرمـتْ علَيْنا

يقول فيها :

لقيتُ سُعَيدَ تمشي في جَوارٍ بجرعـاءِ النَّقـا فلقيتُ حَيْنا
سلبنَ القلبَ ثـم مضينَ عنّي وقـد ناديتُهـنَّ فمـا لَوَيْنا
فقلتُ وقد بقِيتُ بغير قَلب بقلبي يـا سُعَيدى أيـن أيْنا
فما تجزينَ يـا سُعدى مُحِبّاً يهيم بكـم ولا تَقضينَ دَيْنا
وقالت إذ شكوتَ المطلَ منها لعمركَ مَـن سمعتَ لـه قَضَيْنا
ومَن هذا الذي إن جاء يشكُو إلينا الحبَّ مـن سَقَمٍ شَفيْنا
فهـنَّ فواعـلٌ بـي غيرَ شكٍّ كما قبـلي فَعلْـنَ بصاحِبَيْنا
بعـروةَ والذي بسهامِ هِنـدٍ أُصيب ، فما أقدْنَ ولا وَدَيْنا[2]

ومن مختار قوله فيها :

سلِ الأطلالَ إن نفع السُّؤالُ وإن لم يربَع الركبُ العِجالُ
عن الخَوْدِ التي قتلتكَ ظلماً وليس بهـا إذا بَطَشت قِتالُ
أصابـك مُقلتانِ لهـا وجيدٌ وأشنبُ بـاردٌ عـذبٌ زُلالُ

---

1 ننأى في ل : بنّا .

2 يقصد عبد الله بن عجلان وصاحبته هند .

أعارَكِ ما تبَلْتِ بـه فُؤادي ... مـن العينَينِ والجيـدِ الغَزالُ
أيا ثاراتِ مَن قتلته سُعدى ... دَمي ، لا تطلبُوه ، لها حَلالُ
أرِقُّ لها وأُشفِق بعد قَتلي ... على سُعدى وإن قَـلَّ النَّوالُ
وما جادتْ لنا يوماً ببذلٍ ... يمينٌ مـن سُعادَ ولا شِمالُ

ومن قوله فيها أيضاً : [من الكامل]

يا بنت أزهـرَ إنّ ثأري طالبٌ ... بدمي غـداً والثّأرُ أجهدُ طالبِ
فـإذا سمعـتِ براكبٍ مُتعصِّبٍ ... ينعى قتيلَك فافزَعِـي للراكبِ
فلأنـتِ من بـين الأنامِ رميتني ... عن قَوس مُتْلَفَـةٍ بسهمٍ صائبِ
لا تأمنـي شُمَّ الأُنوفِ وتَرْتِهم ... وتركتِ صاحبَهم كأمسِ الذاهبِ
مَن كان أصبحَ غالباً لهـوى التي ... يهوى فإن هـواكِ أصبحَ غالِبي
قالت وأسبلتِ الدّمـوع لتِربها ... لمـا اغتررتُ وأومأتْ بالحاجبِ
قولي لـه : بـاللهِ يُطلِقُ رحلَـه ... حتى يُـزَوَّدَ أو يَـروحَ بصاحبِ

وقال فيها أيضاً : [من الكامل]

أرَّق العـينَ مـن الشَّوقِ السَّهَرْ ... وصبـا القلـبُ إلى أُمِّ عُمَـرْ
واعتَرتْنـي فكـرةٌ مـن حُبِّها ... ويح هذا القلبِ من طُولِ الفِكَرْ
قَـدَرٌ سِيـقَ فمـن يَملكـه ... أين مَـن يملكُ أسبابَ القَدَرْ
كلُّ شيءِ نالنـي مـن حُبِّهـا ... إن نَجتْ نفسي من الموتِ هَدَرْ

وقال أيضاً : [من الكامل]

يـا لَلرِّجـالِ لِقَلبكِ المتطرِّفِ ... والعينُ إن تَرَ بـرْقَ نَجْدٍ تَذْرِفِ
ولحاجـةٍ يـومَ العبير تعرَّضَتْ ... كبرتْ فـرُدَّ رسولُها لم يُسعفِ
يـا بنت أزهر مـا أراكِ مُثيبَتي ... خيراً على وُدّي لكـم وتلطُّفي
إنّـي وإن خُبِّرتِ أنَّ حياتَنـا ... في طرف عينك هكذا لم تطرِفِ
ليظلُّ قَلبـي مـن مخافة بَيْنِكمْ ... مثـلَ الجنـاح معلَّقاً في نَفْنَفِ[1]

1 نفنف : مهوى بين جبلين .

وليَظَلّ في هَجـر الأَحبَّـة طالِباً   لرضاكِ ممّا جـار إن لم تُسعفي
كأَخي الفَـلاة يَغُرّه مـن مائِها   قِطعُ السرابِ جَرى بقاعٍ صَفْصَفِ
أَهـراقَ نُطفتَـه فلمـّا جاءها   وجـدَ المَنِيَّـةَ عندَها لم تُخلِفِ

صوت

[من الطويل]

أَمِنتَ بـإذن الله من كلِّ حادثٍ   بقربِكَ من خير الورى يا ابنَ حارثِ
إمـامٌ حـوى إرثَ النبيّ محمدٍ   فأَكـرِمْ بـه من ابنِ عَمٍّ ووَارثِ

الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنّر ، خفيف رَمَل بالبنصر مطلق من جامع أغانيه وعن الهِشاميّ .

[515] ـ أخبار محمد بن الحارث

[مروءة أبيه]

مولى المنصور ، وأصله من الرّيّ من أولاد المَرازبة ، وكان الحارث بن بسخنّر أبوه رفيع القَدْر عند السلطان ، ومن وُجوه قواده وولاّه الهادي ، ويقال الرشيد ، الحربَ والخراجَ بكُوَر الأهوازِ كلّها .

فأخبرني حبيب المهلّبيّ : قال حدَّثني النَّوفليّ عن محمد بن الحارث بن بسخنّر : قال : كنت بالدَّيْر ، وكان رجل من أهلها يَعرِض عليّ الحوائجَ ويخدمني فَيُكْرِمُني ، ويذكر قديمنا ، ويترحَّم على أبي ، فقال لي رجلٌ من أهلِ تلكَ الناحية : أتعرفُ سببَ شكرِ هذا لأبيك ؟ قلت : لا ، قال : فإن أباه حدَّثني ، وكان يُعرف بابن بانة ، بأن أباك الحارث بن بسخنّر اجتاز بهم يُريد الأهواز فتلقاه بدِجلة العوراء ، وأهدى له صُقوراً وبَواشق صائدةً ، فقال له : الحقْ بي بالأهواز ، فقال له يوماً : إنّي نظرتُ في أمور الأعمال بالأهواز ، فلم أجِدْ شيئاً منها يرتفق منه بما قَدَّرتُ أن أبرَّك به ، وقد ساومني التُّجّار بالأهواز بالأرز ، وقد جعلتُه لك بالسعر الذي بذَلوه ، وسيأتونني ، فأعلمُهم بذلك ، فقلتُ : نعم ، فجاءوا ، وخلصوه منه بأربعين ألفَ دينار ، فصرتُ إلى الحارث فأعلمتُه ، فقال لي : أرضيتَ بذلك ؟ فقلت : نعم ، قال : فانصرف .

ولّما قَفل الحارث من الأهواز مرَّ بالمدائن ، فلقيَه الحُسينُ بن مُحرِز المدائنيّ المَغنّي فغنّاه : [من السريع]

قد علِم اللهُ عـلا عرشُه   أنّي إلى الحارثِ مُشتاقُ

فقال له : دعْني من شوقك إليَّ ، وسلني حاجةً فإنّي مُبادر ، فقال له : عليَّ دين مائةُ ألف درهم ، فقال : هي عليّ ، وأمر له بها ، وأصعد .

[كان من أصحاب إبراهيم بن المهديّ ويسير على منهاجه]

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهديّ والمتعصِّبين له على إسحاق ، وعن إبراهيم بن المهديّ أخذ الغِناء ، ومن بحره استقى ، وعلى منهاجه جَرى .

[جاسوس غير أمين]

أخبرَني عيسى بن الحسين الورَّاق ، عن محمد بن هارون الهاشميّ ، عن هِبَةِ الله بن إبراهيم بن المهديّ : قال : كان المأمونُ قد ألزم أبي رجلاً ينقل إليه كلَّ ما يسمعه من لفظ جِدّاً وهَزلاً شِعراً وغِناء ، ثم لم يثق به ، فألزمه مكانَه محمد بن الحارث بن بسخنّر ، فقال له : أيّها الأمير ، قُل ما شئتَ واصنع ما أحببتَ ، فوالله لا بلَّغتُ عنك أبداً إلاّ ما تحِبّ ، وطالت صحبته له ، حتى أمِنه وأنِس به ، وكان محمد يغنّي بالمِعْزَفة فنقلَه أبي إلى العود ، وواظب عليه حتى حَذِقَه ، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً : أنا عبدُك وخرِّيجُك وصنيعتُك ، فاخْصصني بأن أرويَ عنك صنعتَك ، ففعل ، وألقى عليه غِناءه أجمعَ ، فأخذه عنه ، فما ذهب عليه شيء منه ولا شَذَّ .

[يغنّي للواثق]

وقال العتّابيّ : حدَّثني محمد بن أحمد بن المكّيّ : قال : حدَّثني أبي : قال : كان محمد بن الحارث قليلَ الصنعةِ ، وسمعتُه يغنّي الواثق في صنعته في شعر له مدَحه به وهو : [من الطويل]

أمِنتَ بــإذنِ الله من كلِّ حادثٍ ... بقربك من خير الورى يا ابنَ حارثِ

فأمر له بألفي دينار .

وذكر عليّ بن محمد الهشاميّ ، عن حمدون بن إسماعيل ، قال : كان محمد بن الحارث قد صنع هزجاً في هذا الشعر : [من مجزوء الكامل]

صوت

أصبحــتُ عبــداً مُستَرقّاً ... أبكِي الأُلى سكنُوا دِمَشْقا
أعطيتُهــم قلبــي فَمَــنْ ... يَبْقى بــلا قلــبٍ فأبقى

[يهب لحنه لغيره]

وطرحه على المَسْدود ، فغنَّاه ، فاستحسنه محمدُ بنُ الحارث منه لطِيب مسموع المسدود ، ثم قال : يا مسدود ، أتحبُّ أن أهَبه لك ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلتُ ، فكان يُغنّيه ، ويدَّعيه ، وهو لمحمد بن الحارث .

وقال العتّابيّ : حدَّثني شَرْوين المغنّي المداديّ . أنّ صَنعةَ محمدِ بنِ الحارث بلغت عشرةَ أصوات ، وأنّه أخذها كُلَّها عنه ، وأن منها في طريقة الرَّمَل ، قال : وهو أحسَنُ ما صنعه .

[من ألحانه العشرة]

صوت

[من المتقارب]

أيا مَــن دَعــاني فلَبَّيْتُه ... ببذْل الهوى وهو لا يَبذُلُ
يُــدِلُّ عــليَّ بِحُبِّي لــه ... فمَن ذاك يفعَلُ مــا يَفعَلُ

لَحْنُ محمدِ بنِ الحارث في هذا الصوت رَمَلٌ مطلق ، وفيه ليزيدَ حوراء ثقيل أوّل وفيه لسُلَيم لحن وجدته في جميع أغانيه غير مُجنّس .

[مع ابن العبّاس الربيعي]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ : قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد : قال : حدَّثني أبو تَوبة صالحُ بنُ محمد ، عن عمرو بن بانَة : قال : كنت عند محمد بن الحارث بن بسخنّر في منزله ، ونحن مُصطبحون في يوم غيْم ، فبينا نحنُ كذلك إذ جاءتنا رُقعة عبد الله بن العبّاس الربيعيّ ، وقد اجتاز بنا مُصعِداً إلى سُرَّ مَن رأى ، وهو في سفينة ، ففضَّها محمدٌ ، وقرأها ، وإذا فيها : [من الطويل]

محمدُ قــد جادتْ علينــا بوَدْقِها ... سَحائــبُ مُــزنٍ برقُهــا يتهلَّلُ
ونحنُ مــن القاطــول في مُتَربَّعٍ ... لــه مسرحٌ سَهــلُ المحلَّة مُبْقِلُ[1]
فَمُرْ فائــزاً تَفديك نفسي يُغَنِّني ... أعَنْ ظُعُنِ الحيّ الألى كنتَ تسألُ
ولا تسقِنــي إلاّ حــلالاً فإنَّني ... أعــافُ مــن الأشياء ما لا يُحَلَّلُ

فقام محمدُ بنُ الحارث مستعجِلاً حافياً ، حتى نزلَ إليه فتلقَّاه ، وحلفَ عليه حتى خرج معه ، وسار به إلى منزله ، فاصطبَحا يومئذٍ ، وغنَّاه فائزٌ غلامُه هذا الصوتَ ، وكان صوته عليه ، وغنَّاه محمد بن الحارث وجواريه وكلّ مَن حضَر يومئذٍ ، وغنَّانا عبدُ الله بن العبّاس الربيعيّ أيضاً أصواتاً وصنَعَ يومئذٍ هذا الهَزَج ، فقال : [من الكامل]

يا طيبَ يَوْمِي بالمَطيرة مُعمِلاً ... للكأس عندَ محمدِ بنِ الحارثِ[2]

---

1 القاطول : موضع على دجلة .

2 المطيرة : قرية من نواحي سامراء وكانت من منتزهات بغداد .

في فِتيـــةٍ لا يسمعونَ لعاذلٍ قــولاً ولا لمسوِّفٍ أو رائثِ

[عجائز أبيه أساتذة مخارق]

حدَّثني وسواسه[1] : قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق : قال : كان أبي يستحسنُ غناء جواري الحارث بن بسخنَّر ، ويعتمدُ على تعليمِهنَّ لجَواريه ، وكان إذا اضطربَ على واحدة منهنّ أو على غيرهنّ صوتٌ ، أو وقع فيه اختلاف ، اعتمدَ على الرجوع فيه إليهنّ . ولقد غنَّى مُخارقٌ يوماً بين يديه صوتاً ، فتزايد فيه الزوائدُ التي كان يستعملُها ، حتى اضطرب . فضحك أبي ، وقال : يا أبا المُهَنّأ ، قد ساء بعدي أدبُك في غِنائِك فالزم عجائز الحارث بن بسخنَّر يُقوِّمْنَ أَوَدَك .

صوت

[من الوافر]

بنــانُ يــدٍ تُشير إلى بَنــانِ تَجاوبَتــا ومــا يتكلَّمــانِ
جرى الإيماءُ بينَهما رَسولاً فأحكم وحْيَــهُ المتناجيــانِ
فلو أبصرتَه لغضضْتَ طَرْفــاً عــن المُتناجِيَيْن بــلا لسانِ

الشعر لِماني المُوَسْوِس ، والغِناء لعُمر المَيْداني هَزَج ، وفيه لعَريب لَحنٌ من الهَزَج أيضاً .

---

1 وسواسة : هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ .

[516] ـ أُخبار ماني الموسوس

[نسبه]

هو رجلٌ من أُهلِ مِصر ، يكنى أَبا الحسن واسمه محمدُ بنُ القاسم ، شاعر ليّن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلاّ في الغزل ، وماني لقب غَلَب عليه ، وكان قدِم مدينةَ السلام ، ولقيَه جماعةٌ من شيوخنا ، منهم أَبو العبّاس محمد بن عمَّار وأَبو الحسن الأَسديّ وغيرهما .

[ينشد للعريان البصري]

فحدَّثني أَبو العبّاس بن عمّار ، قال : كان ماني يألفُني ، وكان مليحَ الإنشاد حلوه ، رقيقَ الشعر غَزِلَه ، فكان يُنشدني الشيءَ ، ثم يُخالَط ، فيقطعُه ، وكان يوماً جالساً إلى جنبي ، فأَنشدني للعُريان البصريّ : [من المنسرح]

مـا أَنصفتْك العُيونُ لم تَكِفِ وقـد رأَيتَ الحبيبَ لم يَقفِ
فابكِ دياراً حـلَّ الحبيبُ بها فَباعَ منْهـا الجَفـاءَ باللُّطَفِ
ثم استعارَتْ مسامعاً كَسد اللـ ـومُ عليها مـن عاشِقٍ كَلِفِ
كأَنّهـا إذْ تقنَّعَـتْ بِبِلًـى شَمطاءُ ما تستقلُّ من خَرَفِ
يـا عـينُ إمّا أَريْتني سَكَناً غضبانَ يَزوي بوجهٍ مُنْصرِفِ
فمثِّلِيـه للقلـبِ مُبتسمـاً في شَخص راضٍ عليَّ مُنعطِفِ
إن تَصفيـه للقلـب مُنقَبضاً فأَنتِ أَشقى منـه بـه فَصفي
يُقال بالصّبرِ قتـلُ ذي كَلفٍ كيف وصبري يموت من كَلَفي
إذا دعا الشوقُ عَبرةً لِهـوًى فأيّ جَفْـنٍ يقـول لا تَكِفي
ومُستراد لِلَّهْـوِ تنفسح الْـ ـمُقْلَةُ في حافتيـه مؤتَلفِ
قَصَرْتُ أَيَّامَـه على نَفَـرٍ لا مُنٍّ بالنَّـدى ولا أُسُفِ
بحيث إن شئتَ أَن ترى قمراً يسعى عليهم بالكأسِ ذا نُطَفِ[1]

1 نطف : جمع نطفة وهي القليل من الماء .

قال : فسألته أن يمليها عليَّ ، ففعل ، ثم قال : اكتب ، فعارضه أبو الحسن المصري : يَعني «ماني» نفسَه فقال : [من المنسرح]

أقفــرَ مَغْنــى الديار بالنَّجَفِ وحُلْت عمّا عهدتُ من لَطفِ
طويــتُ عنهــا الرِّضا مذمّمةً لمّا انطوى غضٌّ عيشِها الأُنُفِ
حَللتُ عن سَكرة الصَّبابة من خوفِ إلهـي بمعـزلٍ قُذُفِ[1]
سَئِمتُ وِرْدَ الصِّبا فقد يَئستْ منّي بناتُ الخدور والخَزَفِ[2]
سلوتُ عــن نُهَّدٍ نُسِبْنَ إلى حسنِ قَوامٍ واللحظ في وَطَفِ
يمددنَ حَبل الصِّبا لَمن أَلِفَتْ رجلاه قِــدَّ المُحول والدَّنَفِ
ومُدنَفٍ عادَ في النحول من الوَجـ ــد إلى مثـلِ رِقّــة الأَلِفِ
يشاركُ الطيرَ في النَّحيب ولا يَشركنَه في النُّحول والقَضَفِ[3]
ومُسمِعاتٍ نَهكْــنَ أعظُمَــهُ فهو مــن الضيم غيرُ منتَصِفِ
مفتخراتٍ بالجَــوْر عُجْبــاً كما يفخر أهــلُ السّفاه بالجَنَفِ
وقهوةٍ مــن نِتــاج قُطْرُبُّلٍ تخطف عقلَ الفتى بلا عُنُفِ
ترجعُ شَرخَ الشباب للخَرِفِ الـ ـفاني وتُدني الفتى من الشَّغَفِ

[يصفع المؤذن]

قال : فبينا هو يُنشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كنّا بإزائه قد صَعِد المئذنة ليؤذّن فأمسك عن الإنشاد ، ونظر إليه ، وكان شيخاً ضعيف الجسم والصوت ، فأذَّن أذاناً ضعيفاً بصوت مرتَعِش ، فصعِدَ إليه ماني مُسرعاً ، حتى صار معه في رأس الصَّوْمَعة ، ثم أخذ بلحيتِه ، فصفَعَه في صَلْعَتِه صفعةً ظننتُ أنَّه قد قلع رأسَه ، وجاء لها صوتٌ منكَرٌ شديد ، ثم قال له : إذا صَعِدت المنارَة لتؤذّن ، فعَطْعِط[4] ، ولا تُمَطْمِط ، ثم نزل ومضى يعدُو على وجهه . ولقيتُ عنتاً منَ عتْب الشيخ وشكواه إيّاي إلى أبي ومشايخ الجيران ،

---

1 بمعزل : بمعرك

2 الخزف : هزّ اليدين في تبختر .

3 القضف : النحافة .

4 عطعط من العطعطة وهي تتابع الأصوات واختلافها ، وهي أيضاً حكاية صوت .

يقول لهم : هذا ابن عمّار يجيء بالمجانين ، فيكتُبُ هَذَيانَهم ، ويسلِّطهم على المشايخ فيصفَعونهم في الصوامع إذا أذَّنوا ، حتى صرتُ إلى منزله ، فاعتذرت وحلفت أنّي إنّما أكتب شيئاً من شعره ، وما عرفت ما عَمِله ولا أُحيطُ به علماً .

[الجارية تغنّي وهو يضيف]

ونسخت من كتاب لابن البَراء : حدَّثني أبي قال : عزم محمد بنُ عبد الله بنِ طاهر على الصَّبوح ، وعنده الحسنُ بن محمد بن طالوت ، فقال له محمد : كنّا نحتاج أن يكون معنا ثالثٌ نأنَسُ به ونلذُّ في مجاورته فمَن ترى أن يكونَ ! فقال ابنُ طالوت : لقد خَطَر ببالي رجل ليسَ علينا في منادمته ثِقَل ، قد خلا من إبرام المجالسين ، وبَرِىء من ثِقَل المؤانسين ، خفيفَ الوطأة إذا أدنيتَه ، سريع الوثبة إذا أمرتَه ، قال : مَن هو ؟ قال : ماني المَوْسوِس ، قال : ما أسأتَ الاختيار ، ثم تقدّم إلى صاحب الشُّرطةِ بطلبه وإحضاره ، فما كان بأسرعَ من أن قبض عليه صاحبُ الشرطة بربع الكَرخ فَوافى به بابَ محمد بن عبد الله ، فأُدخل ، ونُظِّف ، وأُخِذ من شَعْره ، وأُلبِسَ ثِياباً نِظافاً ، وأُدخل على محمد بن عبد الله ، فلمّا مَثَل بين يديه سلَّم ، فردَّ عليه ، وقال له : أَما حان لك أن تزورَنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له ماني : أعزَّ اللهُ الأميرَ : الشوق شديد ، والوُدُّ عَتيد ، والحجابُ صعب ، والبواب فَظٌّ ، ولو تسهّل لنا الإذنُ لسهُلتْ علينا الزيارة ، فقال له محمد : لقد لطُفتَ في الاستئذان ، وأَمره بالجلوس . فجلس ، وقد كان أُطعِم قبل أن يدخل ، فأُتى محمد بن عبد الله بجارية لإحدى بنات المَهديّ ، يقال لها : مَنُوسة ، وكان يحبّ السماعَ منها ، وكانت تُكثر أن تكونَ عنده ، فكان أوَّل ما غَنَّتْه : [من الطويل]

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحمَّلوا دُموعي على الخدَّينِ من شدَّة الوجْدِ
وقولي وقد زالتْ بعيني حُمولُهمْ بواكرُ تُحدى لا يكُنْ آخرَ العهدِ

فقال ماني : أيأذَنُ لي الأمير ؟ قال : في ماذا ؟ قال : في استحسان ما أسمع ، قال : نعم ، قال : أحسنْتِ واللهِ ، فإن رأيتِ أن تزيدي مع هذا الشعر هذين البيتين : [من الطويل]

وقمتُ أداري الدمعَ والقلبُ حائرٌ بمقلةِ موقوفٍ على الضَّرِّ والجَهْدِ
ولم يُعدِني هذا الأميرُ بعدْله على ظالمٍ قد لَجَّ في الهَجرِ والصَّدِّ

فقال له محمد : ومن أيّ شيء استعديتَ يا ماني ؟ فاستحيا ، وقال : لا من ظلم أيّها الأمير ، ولكن الطّربَ حرَّك شوقاً كان كامناً ، فظهر . ثم غنَّتْ : [من الخفيف]

حَجبوها عــن الريــاح لأنّي قلت : يا ريحُ بلِّغيها السّلاما
لو رضُوا بالحجاب هان ولكنْ منعوهـا يــوم الرياحِ الكَلاما

قال : فطرِب محمد ، ودعا برِطل فشربه فقال ماني : ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين البيتين : [من الخفيف]

فتنفَّستُ ثــم قلــتُ لطَيفي : ويــكَ إن زُرتَ طيفَها إلماما
حَيِّهـا بـالسلام سرّاً وإلاّ منعوهـا لشِقْوَتـي أن تَناما

فقال محمد : أحسنت يا ماني ، ثم غنَّت : [من الخفيف]

يــا خليليَّ ساعــةً لا تَرِيما وعَــلى ذي صبابــةٍ فأقيما
مــا مررْنـا بقصرِ زينَبَ إلاّ فضح الدَّمعُ سِرَّكَ المكتُوما

قال ماني : لولا رهبةُ الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يَردان على سمع سامع ذي لُبّ فيصدران إلاّ عن استحسانٍ لهما ، فقال محمد : الرغبةُ في حُسْن ما تأتي به حائلةٌ عن كلِّ رهبة ، فهاتِ ما عندكَ ، فقال : [من الخفيف]

ظَبيةٌ كالهلال لــو تلحظ الصخْرَ بطَـــرفٍ لغادَرتْـــه هَشيمـا
وإذا ما تبسَّمتْ خِلتَ مـا يبدُو مـــن الثَّغـــر لؤلــؤاً مَنظومـــا

[اللحن الحسن يطيّب الشعر]

فقال محمد : إن أحسنَ الشعر ما دام الإنسان يشرَبُ ما كان مكسوًّا لحناً حسناً تُغَنِّي به مَنُوسة وأشباهها ، فإن كسيتَ شعرَك من الألحان مثلَ ما غنَّتْ قبلَه طاب ، فقال : ذلك إليها .

[يصف منوسة]

فقال له ابن طالوت : يا أبا الحُسَين ، كيف هي عندكَ في حسنها وجمالها وغِنائها وأدبها ؟ قال : هي غاية يَنتهي إليها الوصفُ ، ثم يقِف ، قال : قُل في ذلك شعراً ، فقال : [من السريع]

وكيفَ صبرُ النفس عــن غادةٍ تَظلمُهــا إن قلــتَ طاووسَهْ

وجُـرتَ إن شبّهتَهـا بانـةً في جنّـةِ الفردوس مَغروسَهْ
وغيرُ عـدْلٍ إن عَدَلْنا بهـا لؤلـؤةً في البحْـرِ منفوسَهْ
جلَّتْ عن الوصفِ فما فِكرةٌ تلحَقُهـا بالنعـتِ مَحسوسَهْ

فقال له ابنُ طالوت : وجب شكرُك يا ماني ، فساعدَك دهْرُك ، وعطف عليك إلفُك ، ونلتَ سرورَك ، وفارقْتَ محذورَك ، والله يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملُنا ، وطاب يومُنا .

[إذا زرت فخفف]

فقال ماني : [من المديد]

مُدْمِـنْ التخفيف مَوصولُ ومُطِيـل اللّبْـثِ مَمْلولُ

فأنا أستودعُكمُ الله ، ثم قام فانصرف ، فأمر له محمد بن عبد الله بصِلَة ، ثم كان كثيراً ما يبعث يطلبه إذا شَرِب ، فيبرُّه ، ويصلُه ، ويقيمُ عنده .

[يشبب بغلام]

أخبرني جعفر بن قُدامة ، قال : حدَّثني المبرّد ، قال : حدَّثني بعض الكتاب ممَّن كان ماني يلزمه ، ويكثُرُ عنده ، قال : لقيني يوماً ماني بعد انقطاع طويل عنّي ، فقال : ما قطعني عنـك إلاّ أنـّي هائـم ، قلت : بِمَنْ ؟ قال بمَن إن شئتَ أن تراه الساعةَ رأيته فعذرْتَني ، قلتُ : فأنا معك ، فمضى ، حتى وافى بابَ الطّاق ، فأراني غُلاماً جميلَ الوجه بين يدي بزَّاز في حانوتِه ، فلمّا رآه الغلام عدا ، فدخل الحانوتَ ، ووقف ماني طويلاً ينتظره ، فلم يخرج ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

ذَنبي إليه خضوعي حين أُبْصِرُه وطولُ شوقي إليه حـينَ أذكُرُهْ
وما جرحْتُ بطرف العَين مُهجَتَه إلاّ ومـن كَبدي يقتصُّ مَحجرُهْ
نفسي على بُخله تَفديه مـن قَمرٍ وإن رمـاني بذنبٍ ليسَ يغفِرُهْ
وعاذل باصطبارِ القلـبِ يأمرُني فقلتُ : من أينَ لي قلبٌ أُصَبِّرُهْ[1]

ومضى يعدو ويصيح : الموت مخبوءٌ في الكتب .

1 قلبٌ أُصبِّرُه في ل : صبر فأهجره .

صوت

[من الرجز]

وشادنٍ قلبي بـــه مَعمودُ شِيمتُه الهِجـرانُ والصُّدودُ
لا أسأمُ الحِرصَ ولا يجودُ والصبرُ عــن رؤيته مفقودُ
زُنّــارُه في خَصرِه مَعقودُ كأنّه مـــن كَبِدي مَقْدودُ

عروضه من الرجز ، والشِّعْرُ لبكرِ بن خارجة ، والغِناء للقاسم بن زُرْزُور ، خفيف رَمَل بالوسطى .

[517] ـ أخبار بكر بن خارجة

[كان وراقاً]

كان بكرُ بن خارجة ، رجلاً من أهل الكوفة ، مولًى لبني أُسد ، وكان ورّاقاً ضيّقَ العيش ، مقتصراً على التكسّب من الوِراقة ، وصرفَ أُكثرَ ما يكسبُه إلى النبيذ ، وكان مُعاقراً للشُّرب في منازل الخمَّارين وحاناتهم ، وكان طيّبَ الشّعر مليحاً مطبوعاً طَبْعاً ماجناً .

[يتعشّق هدهداً]

فذكر أُبو العَنْبَس الصَّيْمريّ أَنّ محمد بن الحجّاج حدَّثه قال : رأَيتُ بكرَ بنَ خارجةَ يبكّر في كلّ يوم بقِنّينتين من شراب إلى خراب من خراباتِ الحِيرة ، فلا يزال يشربه فيه على صوت هُدْهُد كان يأوي إلى ذلك الخراب ، إلى أَن يَسْكر ، ثم ينصرف ، قال : وكان يتعشّق ذلكَ الهُدْهُدَ .

وحدَّثني عمِّي عن ابن مَهرويه عن عليّ بن عبد الله بن سعد ، قال : كان بكرُ بنُ خارجة يتعشّق غلاماً نصرانيّاً ، يقالُ له : عيسى بن البَراء العِباديّ الصَّيْرفيّ ، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكُرُ فيها النَّصارى وشرائعَهم وأَعيادَهم ، ويُسمِّي دياراتِهم ، ويفضّلُهم .

[دعبل يحسده على بيتين قالهما]

قال : وحدَّثني [من شَهِد دِعبِلاً] وقد أُنشدني قوله في عيسى بن البراء النصرانيّ العِبادِيّ : [من الرجز]

زُنّارُه في خَصره معقــودُ كأنّه مــن كبِدي مقدودُ

فقال دِعبل : ما يعلمُ اللهُ أنّي حسدتُ أحداً قطُّ كما حسدت بَكراً على هذين البيتين .

[الجاحظ يكتب أبياتاً له وهو قائم]

وحدَّثني عمِّي عن الكُرانيّ ، قال : حرّم بعضُ الأمراء بالكوفة بيعَ الخمر على خماري الحِيرة ، وركب فكسر نَبيذَهم ، فجاء بَكر يشربُ عندهم على عادته ، فرأَى الخمرَ مصبوبة في الرِّحابِ والطرق ، فبكى طويلاً ، وقال : [من الخفيف]

يا لَقومي لِما جَنى السلطانُ لا يكونَنْ لما أهانَ الهوانُ
قهوةٌ في التراب من حَلَب الكَرْ مِ عُقاراً كأنَّها الزعفرانُ
قهوةٌ في مكان سَوء لقد صا دف سعدَ السعود ذاكَ المكانُ
من كُميتٍ يُبدي المِزاجُ لها لؤ لؤَ نظمٍ والفصلُ منها جُمانُ
فإذا ما اصطبحتُها صغُرت في الـ ـقَدْرِ تختالُها هي الجرذانُ
كيفَ صبري عن بعضِ نفسي وهل يصْـ ـبرُ عن بعض نفسِهِ الإنسانُ

قال : فأنشدتُها الجاحظ ، فقال : إن من حقّ الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً وما أقدر على ذلك إلاّ أن تَعْمِدني ، وقد كان نقرسَ ، فعمَدتُه ، فقام ، فكتبها قائماً .

[الخمر تفسد عقله]

وقال محمد بن داود بن الجرَّاح في «كتاب الشعراء» : قال لي محمد بن الحجّاج : كانت الخمرُ قد أفسدتْ عقلَ بكر بن خارجة في آخر عمره ، وكان يمدح ويهجو بدِرهم وبدِرهمين ونحو هذا فاطُّرِح ، وما رأيت قطّ أحفظَ منه لكلِّ شيء حسن ، ولا أروَى منه للشعر .

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا له في حال فساد عقله : [من مجزوء الكامل]

هبْ لي فديتُك دِرهماً أو دِرهَمينِ إلى الثّلاثَهْ
إنّي أُحبُّ بني الطفيـ ـل ولا أُحبُّ بَني عُلاثَهْ[1]

قال ابنُ الجرّاح حدَّثني محمد بن القاسم بن مهروَيْه قال : حدَّثني بعض أصحابنا الكوفيِّين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبِتنا عنده ، فنمت فما أنبهني إلاّ صياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : ما لك ؟ فاشرب فالدّار مليئة ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أي شيء ؟ قال : في الدار كلب كبير ، فأخاف أن يظنّني غزالاً فيثب عليّ ويقطّعني ويأكلني ، فقلت له : ويحك يا بكر ! فالحمير أشبه منك بالغزال ، قُم فاشرب إن كنت عطشان وأنتَ آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب .

قال : وأنشدني له ، وقد رأى صديقاً له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها : [من البسيط]

لم يقو عندي على تحريق قرطاسي إلاّ امرؤ قلبه من صخرة قاسي

---

1 بنو الطافيل : نسبة إلى عامر بن الطفيل ، وبنو علاثة نسبة إلى علقمة بن عُلاثة .

إنّ القراطيسَ مــن قلبي بمنزلة تحويه كالسمع والعينين في الرأسِ

ومما يغنّى فيه من شعر بَكر بن خارجة : [من السريع]

صوت

قلبـي إلى مـا ضرَّني داعي يُكْثِـر أحـزاني وأوجـاعي
لقَلَّ مـا أبقـى على ما أرى يوشك أن ينعـانيَ النـاعي
كيفَ احتراسي من عدوِّي إذا كان عدوِّي بـين أضلاعـي
أسلمني الحـبُّ وأشياعـي لمّا سعى بـي عندها الساعي
لمّـا دَعـاني حبُّها دعـوةً قلـت لـه : لبَّيْكِ مـن داعِ

الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثقيل أوّل ، وفيه لعبدِ الله بنِ العبّاس هَزَج ، جميعاً عن الهشاميّ ، وقيل : إن فيه لحناً لابن جامع .

وقد ذكر الصوليّ في أخبار العبّاس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعبّاس بن الأحنف ، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح عن أبي هفَّان أنّها لبكر بن خارجة .

صوت

وَيلي على ساكن شَطّ الصَّراهْ من وجنتيه شِمتُ بَرْقَ الحياه[1]
ما ينقضي من عجب فِكْرتي في خَصلة فـرّط فيهـا الوُلاه
تـركُ المحبِّـينَ بـلا حـاكمٍ لم يُقعـدوا للعاشقين القُضاهْ

الشعرُ لإسماعيل القراطيسيّ والغناءُ لعبّاس بنِ مَقام خفيف رَمَل بالوسطى .

1 الصّراة : يطلق على نهرين ببغداد .

[518] ـ أخبار إسماعيل القراطيسي

[كان مألفاً للشعراء]

هو إسماعيلُ بن مَعْمَر الكوفيّ ، مولى الأشاعثة ، وكان مَألفاً للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومُسلم وطبقتهم يقصدون منزلَه . ويجتمعون عنده ، ويقصِفون ، ويدعو لهم القيانَ وغيرَهن من الغلمان ، ويساعدُهم .

وإيّاه يعني أبو العتاهية بقوله : [من الهزج]

لقــد أمسَى القراطِيسي رئيساً في الكَشاخين[1]

[وجهه في المرآة]

وفي هذه الأبيات التي فيها الغناءُ يقول القراطيسيّ : [من السريع]

وقــد أتــاني خبــرٌ ساءَني مقالهــا في السرِّ واسَوْأتــاهْ

أمثــلَ هــذا يبتغـي وصلَنا أما يَرى ذا وجهَــه في المِراهْ

[وجه أبي العتاهية أيضاً]

أخبرني ابنُ عمَّار عن ابن مَهرُويه ، عن عليّ بنِ عمران ، قال : قال القَراطيسيّ : قلت للعبّاس [بن الأحنف] : هل قلتَ في معنى قولي :

وقــد أتــاني خبــرٌ ساءَني مقالهــا في السرِّ : واسوأتاه

قال : نعمْ ، وأنشدَني : [من السريع]

جاريــة أعجبَهــا حسنُهــا فمثلُهــا في النّــاس لم يُخْلَقِ

خبَّرتُهــا أنّي مُحِــبٌّ لهــا فأقبلــتْ تضحكُ من منطقي

والتفتــتْ نحــو فتــاةٍ لهــا كالرشأ الوَسنانِ في قُــرطُقِ[2]

---

1 الكشاخين : جمع كشخان وهو الديوث .

2 قرطق : القباء .

قالت لهـا : قُولي لهذا الفَتى انظرْ إلى وجهكَ ثـم اعشَقِ

[يهجو الفضل]

أخبرني الحسنُ بن مَهرُويه ، قال . حدَّثني أحمد بن بِشر المَرْثديّ ، قال : مدح إسماعيلُ القراطيسيّ الفضلَ بن الربيع ، فحرمَه فقال : [من الهزج]

ألا قـلْ للّذي لم يَهـد ه اللهُ إلى نفـعِ
لئن أخطأتُ في مدحيـ ـكَ ما أخطأتَ في منعي
لقد أُحلَلْتُ حاجاتـي بـوادٍ غيـر ذي زَرْعِ

[بيته منتدى العابثين]

أخبرني محمدُ بن جعفر النحويّ صهر المبرِّد عن أبي هفَّان عن الجمّاز ، قال : اجتمع يوماً أبو نواس وحُسينُ الخليع وأبو العَتاهية في الحَمّام وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع ؟ فقال القراطيسيّ : [من الهزج]

ألا قومـوا بأجمعكم إلى بيـتِ القَراطيسي
لقـد هيَّـا لنا النُّزْلَ غـلامٌ فـارةٌ طُوسي
وقد هيّـا الزُجاجاتِ لنا مـن أرضِ بِلْقيسِ
وألوانـاً مـن الطيْرِ وألوانـاً مـنَ العِيسِ
وقينـاتٍ مـن الحُورِ كأمثـالِ الطـواويسِ
فنيكوهُـنَّ في ذاكم وفي طاعـة إبليسِ

صوت

[من البسيط]

أبكي إذا غضبتْ حتى إذا رضيَتْ بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغَضَبِ
فالويلُ إن رضِيت والعوْلُ إن غَضِبَتْ إن لَم يتمَّ الرّضا فالقلب في تَعَبِ

الشعر لأبي العِبَر الهاشميّ ، أنشَدنِيه الأخفش وغيرُه من أصحابنا ، وذكره له محمد بن داود بن الجرّاح ، والغناءُ لعُلَيّة بنتِ المهديّ ثاني ثقيل بالوسطى عن الهِشاميّ .

[519] ـ أخبار أبي العبر ونسبه

[نسبه]

هو أَبو العبّاس محمد بنُ أَحمد ، ويلقب حمدوناً الحامض بن عبد الله بن عبد الصَّمد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعرَ المستوِي في أوّل عمره منذ أيّام الأَمين وهو غلام ، إلى أَن وليَ المتوكّل الخلافة ، فترك الجِدّ ، وعاد إلى الحُمق والشهرة به ، وقد نيَّف على الخمسين ، ورأَى أَنّ شعره مع توسّطه لا ينفقُ مع مشاهدته أَبا تمّام الطائيّ والبحتريّ وأَبا السمط بن أَبي حفصة ونظراءهم .

[شاعر هازل]

حدَّثني عمّ أَبي عبد العزيز بن أَحمد ، قال : سمعت حمدون الحامض يذكر أَن ابنه أَبا العِبَر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، قال : وعُمِّر إلى خلافة المتوكّل ، وكسب بالحُمق أَضعافَ ما كسبه كلُّ شاعر كان في عصره بالجِدّ ، ونَفَقَ نَفاقاً عظيماً ، وكسب في أَيّام المتوكّل مالاً جليلاً ، وله فيه أَشعارٌ حميدة ، يمدحه بها ، ويصف قصرَه وبرجَ الحمام والبِرْكة كثيرة المحال ، مُفرِطة السقوط ، لا معنى لذكرها ، سيما وقد شهرت في النّاس .

فحدَّثني محمد بن أَبي الأَزهر ، قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار ، قال : قال لي عمِّي : ويحك ! أَلا يأنف الخليفة لابن عمّه هذا الجاهل ممّا قد شهَّر به نفسه وفضحَ عشيرته ! والله إنّه لَيَعُرُّ بني آدم جميعاً ، فضلاً عن أَهله والأَدنَيْن ! أَفلا يردَعُه ويمنعه من سوء اختياره !

فقلت : إنّه ليس بجاهل كما تعتقد ، وإنّما يتجاهل ، وإن له لأَدباً صالحاً وشعراً طيِّباً ، ثم أَنشدتُه : [من المديد]

لا أَقــول اللهُ يَظلِمنــي ... كيف أَشكو غيرَ مُتَّهمِ
وإذا ما الدَّهرُ ضَعْضعني ... لم تجِدْني كافــرَ النِّعمِ
قَنعتْ نفسي بما رُزِقَتْ ... وتناهَتْ في العلا هِمَمي

لَيس لي مالٌ سوى كرَمي وبــه أَمْنــي مـن العَدَمِ

فقال لي : ويْحكَ ! فلم لا يلزَمُ هذا وشبهه ؟ فقلت له : والله يا عمّ لو رأيتَ ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرتَه ، فإن ما استملحتَ له لم يَنفُق به ، فقال عمّي ، وقد غضِب ، أنا لا أعذره في هذا ولو حازَ به الدُّنيا بأسرها ، لا عذرني اللهُ إن عذرتُه إذَن !

[الهزل ينفق]

وحدَّثني مُدرِك بن محمد الشيبانيّ ، قال : حدَّثني أَبو العَنْبَس الصّيمريّ ، قال : قلتُ لأَبي العِبَر ونحن في دار المتوكّل : ويحك ! أيش يحملُك على هذا السُّخف الذي قد ملأتَ به الأرض خُطباً وشعراً وأَنت أَديب ظَريف مليحُ الشعر ؟ فقال لي : يا كشخانُ ، أَتريد أَن أكسد أَنا وتنفق أَنت ؟ أَنت أَيضاً شاعر فَهِمٌ متكلِّم فلِمَ تركتَ العِلمَ ، وصنعت في الرّقاعة نيّفاً وثلاثين كتاباً ، أُحبُّ أَن تخبرني لو نفق العقلُ أَكنتَ تُقدِم على البُحتريّ ، وقد قال في الخليفة بالأَمس : [من مجزوء الكامل]

عـن أَي ثَغـرٍ تبْتسم وبأيّ طَـرف تَحْتكمْ

فلمّا خرجتَ أنتَ عليه وقلت : [من مجزوء الكامل]

في أيّ سَلْـح تَرتطِمْ وبــأيّ كـفّ تلتطمْ
أدخلتَ رأسَكَ في الرَّحِم وعلمتَ أَنّــك تَنهزِمْ

فأُعطِيتَ الجائزة وحُرِم ، وقُرِّبتَ وأُبعد ، في حِرِ أُمّكَ وحِرِ أُمّ كلّ عاقل معك ! فتركتُه ، وانصرفْتُ .

[لا خير في الشعر الفاتر]

قال مدركُ : ثم قال لي أَبو العَنْبَس : قد بلغني أَنّك تقول الشعر ، فإن قدرتَ أَن تقوله جيّداً ، جيّداً ؟ وإلاّ فليكن بارداً ، بارداً ، مثلَ شعر أَبي العِبَر وإيّاك والفاتر فإنّه صفعٌ كلُّه .

[مذهبان متناقضان]

حدَّثني جعفر بن قُدامـة ، قـال : حدَّثنـي أَبو العيناء ، قــال : أَنشدتُ أَبا العِبـر : [من مجزوء الكامل]

مـا الحـبُّ إلاّ قُبلَة أَو غمزُ كفٍّ وعَضُدْ
أَو كتُبٌ فيهـا رُقىً أَنفذُ مـن نَفْث العُقَدْ

مَن لم يكـن ذا حُبِّه فإنّمـا يبغِـي الولَدْ
ما الحـبُّ إلاّ هكذا إن نُكِح الحبُّ فسَدْ

فقال لي : كذب المأبونُ : وأَكل من خَراي رِطلين ورُبعاً بالميزان ، فقد أَخطأ وأَساء ، أَلا قال كما قلتُ : [من الهزج]

باضَ الحـبُّ في قلْبي فواويـلي إذا فَـرَّخْ
ومـا ينفعُني حُبِّـي إذا لم أَكنس البربَخْ
وإن لم يطرحْ الأَصلَـ ـعُ خُرجيه عَلى المَطْبَخْ

ثم قال : كيف ترى ؟ قلتُ : عجباً من العَجب ، قال : ظننت أنّك تقول : لا ، فأبلُّ يدي وأَرفعها . ثم سكت ، فبادرتُ ، وانصرفتُ خوفاً من شرِّه .

[يُملي على من معه]

حدَّثني عبد العزيز بن أَحمد عمّ أَبي ، قال : كان أَبو العِبر يجلس بسُرَّ مَن رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المُجّان يكتبون عنه ، فكان يجلس على سُلَّم وبين يديه بلاّعة فيها ماء ، وحَمْأة ، وقد سُدَّ مَجراها ، وبين يديه قصبةٌ طويلة ، وعلى رأسه خُفٌّ ، وفي رجليه قَلْنسيّتان ، ومُستمليه في جوف بئر ، وحوله ثلاثةُ نفرٍ يدُقُّون بالهواوين ، حتى تكثر الجَلَبَةُ ، ويقلّ السماع ، ويَصيح مُستمليه من جوف البئر من يكتب[1] ، عذَّبك الله ، ثم يملي عليهم ، فإن ضحك أَحد ممّن حضر قاموا فصبُّوا على رأسه من ماء البلاَّعة إن كان وضيعاً ، وإن كان ذا مُروءة رشَّشَ عليه بالقصبةِ من مائها ، ثم يحبس في الكنيف إلى أَن ينفضَّ المجلسُ ، ولا يخرج منه حتى يغرم دِرْهمين . قال : وكانت كنيتُه أَبا العبّاس ، فصيرها أَبا العِبر ، ثم كان يزيد فيها في كلّ سنة حرفاً ، حتى مات ، وهي أَبو العِبر طرد طيل طليري بك بك بك .

[أبوه يحلف ألاّ يكلمه أبداً]

حدَّثني جحظةُ ، قال : رأيت أَبا العبر بسُرّ مَن رأى ، وكان أَبوه شيخاً صالحاً ، وكان لا يكلِّمُه ، فقال له بعض إخوانه : لم هجرتَ ابنك ؟ قال : فضحني ، كما تعلمون ، بما يفعلُه بنفسه ، ثم لا يرضى بذلك ، حتى يُهَجِّنَني ويُؤذيني ، ويُضحك الناسَ منّي ، فقالوا له : وأَيّ

1 ل : تسميت .

شيء من ذاك ؟ وبماذا هجّنك ؟ قال : اجتاز عليّ منذ أيّام ومعه سُلّم ، فقلت له : ولأيّ شيء هذا معك ؟ فقال : لا أقول لك ، فأخجلني ، وأضحك بي كلّ مَن كان عندي ، فلمّا أن كان بعد أيّام اجتاز بي ومعه سَمَكة ، فقلت له : إيش تعمل بهذه ؟ فقال : أنيكُها ، فحلفتُ لا أكلّمه أبداً .

[مذهبه في الكتابة]

أخبرني عمّ أبي عبد العزيز ، قال : سمعتُ رجلاً سأل أبا العِبَر عن هذه المُحالات التي لا يُتكلّم بها : أيُّ شيء أصلها ؟ قال : أُبكّر ، فأجلِسُ على الجسر ، ومعي دواة ودَرْج ، فأكتب كلَّ شيء أسمعُه من كلام الذاهب والجائي والملاَّحين والمُكارين ، حتى أملأ الدَّرج من الوجْهين ، ثم أقطعه عَرضاً وطولاً وأُلصقه مخالفاً ، فيجيء منه كلام ليس في الدُّنيا أحمقُ منه .

[مذهبه في الصيد]

أخبرني عمّي ، قال : رأيت أبا العِبَر واقفاً على بعض آجام سُرّ مَن رأى ، وبيده اليسرى قوس جُلاهق[1] ، وعلى يده اليمنى باشق ، وعلى رأسه قطعة رِئة في حبل مشدود بأنشوطَة ، وهو عُريان ، في أيرِه شعر مفتول مشدود فيه شِصّ قد أُلقاه في الماء للسَّمك ، وعلى شفته دُوشاب[2] مُلطَّخ ، فقلت له : خَرِب بيتُك ، أيش هذا العمل ؟ فقال : أصطادُ يا كَشخان يا أحمقُ بجميع جوارحي ، إذا مرَّ بي طائر رميته عن القوس ، وإن سقط قريباً منّي أرسلتُ إليه الباشَق ، والرئة التي على رأسي يجيء الحِدأ ليأخذها فيقع في الوَهَق[3] والدُّوشاب أصطاد به الذُّبابَ ، وأجعله في الشِّص ، فيطلبه السمك ، ويقع فيه ، والشصّ في أيري ، فإذا مرّتْ به السمكة أحسستُ بها ، فأخرجتُها .

[عبث]

قال : وكان المتوكّل يَرمي به في المنْجَنيق إلى الماء ، وعليه قميصُ حرير ، فإذا علا في الهواء صاح : الطريقَ الطريقَ ، ثم يقع في الماء ، فتخرجه السُّبّاح ، قال : وكان المتوكّل يُجلسه على الزّلاّقة ، فينحدرُ فيها ، حتى يقع في البِركة ، ثم يطرح الشبكة ، فيُخرجه كما يُخرج السمك ،

---

1 الجلاهق : بندق يرمى به .

2 دوشاب : عصير عنب .

3 الوهق : حبل يرمى به في أنشوطة للدابة ، مفرد أوهاق .

ففي ذلك، يقول في بعض حماقاته : [من مجزوء الرجز]

ويأمـــر بـــي المَلِـــكْ فيطرحُنـــي في البِـــرَكْ
ويصطـــادُني بالشّبـــكْ كأنّـــي مـــن السّمـــكْ
ويضحك كك كك ككك ككك كك ككك كك كككْ

[عبثه مع إسحاق]

وحدَّثني جعفر بن قدامة ، قال : قدم أبو العِبَرَ بغداد في أيّام المستعين ، وجلس للناس ، فبعث إسحاقُ بن إبراهيم ، فأخذه ، وحبسه ، فصاح في الحَبْس ، لي نصيحة ، فأُخرِج ، ودعا به إسحاق ، فقال : هات نصيحتَك ، قال : على أن تؤمِّنني ؟ قال : نَعَم ، قال : الكَشْكية ، أَصلحك الله ، لا تَطيب إلاّ بالكشك ، فضحك إسحاق وقال : هو ، فيما أُرى ، مجنون ، قال : لا ، هو أمتخط حوت ، قال : أيش هو أُمتخط حوت ؟ ففهم ما قاله ، وتبسّم ثم قال : أظنُّ أنّي فيك مأثوم ، قال : لا ، ولكنّك في ماء بَصل ، فقال : أُخرجوه عني إلى لعنة الله ، ولا يقيم ببغداد ، فأردَّه إلى الحبس ، فعاد إلى سُرَّ مَن رأى .

[من شعره في غلام]

وله أُشعار مِلاح في الجِدّ ، منها ما أُنشدَنيه الأخفش له يخاطب غلاماً أُمردَ : [من الخفيف]

أيّها الأمـــردُ المولّـع بالهجـ ـــر أفِق ما كذا سبيلُ الرشادِ
فكأنّي بحُسن وجهكَ قـد أُلـ ـبس في عارضيْك ثوبَ حِدادِ
وكأنّي بعاشِقيك وقـــد بُدّلْـ ـتَ فيهـم مـن خُلطة بِبِعادِ
حين تنبو العيونُ عنكَ كما ينقبـ ـضُ السّمعُ عن حديثٍ مُعادِ
فاغتنم قبـل أن تصيرَ إلى كا نَ وتُضحِي في جُملة الأَضْدادِ

وأنشدني محمد بن داود بن الجرّاح له ، وفيه رَمَلٌ طُنبوريّ محدَث أُظنُّه لجحظةَ .

[من غزله المستملح]

صوت

[من السريع]

داء دفـينٌ وهـــوًى بادي أُظْلِـم فَجازيـك بمِرصادِ
يـــا واحـــدَ الأُمّة في حُسنه أَشمتَ بـــي صدُّك حُسّادي

قـد كدتُ ممّا نال منّي الهوى   أُخْفـى على أعـين عُوَّادي
عبـدُكَ يُحْيـي موتَـه قُبلةٌ   تجعلهـا خاتمـةَ الـزَّادِ

[الحماقة أنفق]

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهروَيْه ، قال : حدَّثني أحمد بن عليٌّ الأنباريّ : قال : كنّا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلّبيّ بسُرَّ مَن رأى ، فجرى ذكر أبي العِبر ، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطَه ، فقلت ليزيد : كيف كان عندَك ، فقد رأيته ؟ فقال : ما كان إلاّ أديباً فاضلاً ، ولكنّه رأى الحماقةَ أنفقَ وأنفَعَ له ، فتحامق .

[يهجو قاضيين أعورين]

فقلت له : أنشدُك أبياتاً له أنشدَنيها ، فانظر لو أراد دِعبِل ، فإنّه أهجى أهل زماننا ، أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيدَ على ما قال ، قال : أنشِدْنيها ، فأنشدته قوله : [من الوافر]

رأيتُ مـن العجائبِ قاضيَيْن   همـا أُحدوثـةٌ في الخافِقَيْنِ
هما اقتسما العمى نصفين فَذّاً   كما اقتسما قضـاءَ الجانِبَيْنِ
هما فألُ الزّمانِ بِهُلك يَحيى   إذا افتُتِح القضـاءِ بأعورَيْنِ[1]
وتحسب منهما مـن هزَّ رأساً   لينظـرَ في مواريـثٍ ودَيْنِ
كأنّك قـد جعلتَ عليه دَنّـاً   فتحت بِزالَـه مـن فَردِ عَيْنِ[2]

فجعل يضحكُ من قوله ، ويعجب منه ، ثم كتب الأبيات .

[نصيحة]

أخبرني الحسنُ بن عليٌّ قال : حدَّثنا محمد بن مهروَيْه : قال : حدَّثني ابن أبي أحمد ، قال : قال لي أبو العِبر : إذا حدَّثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعَه فاشتغل عنه بنَتْف إبطك ، حتى يكون هو في عمل وأنتَ في عمل .

[بغضه لعلي قتله]

وقال محمد بن داود : حدَّثني أبو عبد الله الدوادي ، قال : كان أبو العِبر شديدَ البغضِ لعليّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، وله في العلويين هجاءٌ قبيح ، وكان سببَ ميتته

1 الأعوران : حيان بن بشر وسوار بن عبد الله .
2 البِزال : موضع ثقب الدف .

أنّه خرج إلى الكوفة ليرمِيَ بالبُنْدق مع الرماة من أُهلها في آجامهم ، فسمِعه بعض الكوفيين يقول في عليّ ، صلوات الله عليه ، قولاً قبيحاً استحلّ به دمَه ، فقتله في بعض الآجام ، وغرّقه فيها .

صوت

[من الطويل]

لقـد طـال عهـدي بالإمام محمدٍ ... وما كنت أُخشى أُن يَطولَ به عهدي

فأُصبحتُ ذا بُعْـدٍ وداري قريبةٌ ... فواعجبا من قُرب داري ومن بُعدي

فيا ليـت أَنّ العِيـدَ لي عـادَ مـرّةً ... فإِنّي رأَيت العِيـدَ وجهَك لي يُبْدِي

رأَيتُـك في بُـرْدِ النبـيّ محمـد ... كبدر الدُّجـى بـين العِمامة والبُردِ

الشعر لمروان بن أَبي حفصة الأصغر ، والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر .

[520] ـ أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر

[كنيته]

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة . قد تقدَّم خبره ونسبه ، ويكنى مروان الأصغر أبا السّمط ، وكان يتشبّه بجدّه في شِعره .

[كان يتقرّب إلى المتوكّل بهجاء آل أبي طالب]

ويمدح المتوكّل ، ويتقرّبُ إليه بهجاء آل أبي طالب ، فتمكّن منه وقَرُب إليه ، وكسب معه مالاً كثيراً ، فلمّا أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنّب مذهبَ أبيه في كلّ أمر ، فطرده وحلف ألاّ يدخل إليه أبداً لِما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه .

فأخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعَمّي قالا : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم العَبديّ قال : دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكّل فأنشده قوله : [من الطويل]

سلام على جُملٍ وهيهات من جُملِ ... ويا حَبَّذا جُملٌ وإن صرمت حَبْلي

وهي من مشهور شعره ، وفيها يقول :

أبوكم عليٌّ كان أفضلَ منكمُ ... أباه ذوو الشورى وكانوا ذَوي عَدْلِ

وساءَ رسولَ الله إذ ساءَ بنتَه ... بخِطْبته بنتَ اللعينِ أبي جهلِ

أراد عَلى بنت النبيّ تزوُّجاً ... ببنت عدوّ الله ، يا لك من فِعْلِ

فذمّ رسولُ الله صِهرَ أبيكمُ ... على منبرِ الإسلام بالمنطق الفَصلِ

وحكّم فيها حاكمَيْن أبوكُمُ ... هما خلعاه خلعَ ذي النَّعل للنَّعلِ

وقد باعها من بعده الحسنُ ابنُه ... فقد أبطلا دعواكما الرَّثّةَ الحبلِ

وخلَّيتُموها وهْيَ في غير أهلها ... وطالبتُمُوها حيث صارتْ إلى الأهلِ

فوهب له المتوكّل مائة ألف درهم .

وقال محمد بن داود بن الجَرَّاح : حدَّثني محمد بن القاسم قال : حدَّثني أبو هاشم الجُبَّائيُّ ، قال : دخل أبو السِّمط على المتوكّل فأنشده قوله : [من مجزوء الكامل]

الصِّهرُ ليس بـوارثٍ والبنتُ لا ترِثُ الإمامَهْ

لـو كان حقّكـمُ لهمْ قامت على النّاس القيامَهْ

أصبحت بـين مُحبّكمْ والمبغِضين لكـم عَلامَهْ

فَحشا المتوكّل فمه بجوهر لا يُدْرى ما قيمته .

وحدَّثني أحمدُ بنُ جعفر جَحْظَة قال : أنشد أبو السَّمط المتوكّل قوله : [من الكامل]

إنّـي نَزلـتُ بساحة المتوكّلِ ونزلتُ في أقصى دِيارِ الموْصِلِ

فقال الفتح بن خاقان : فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول ؟

[أبو العَنْبَس ينقد شعره]

فقال أبو العَنبس الصَّيْمريّ : كانت له طيورٌ هُدًّى[1] تحمل إليه كتبه ، فضحك المتوكّل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصَّيْمريّ ولم يعط أبا السّمط شيئاً ، فماتا متهاجرين .

[مدح المتوكّل وولاة عهده]

أخبرني عمِّي والحسن بن علي قالا : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا حمّاد بن أحمد البتيّ قال : أخبرني أبو السّمط مروان بن أبي الجنوب قال : لمّا صرتُ إلى المتوكّل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة ، وأنشدته ذلك في قولي : [من الطويل]

سقى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ ويا حبّذا نجدٌ على النَّـأيِ والبعدِ

نظرتُ إلى نجـدٍ وبغـدادُ دونها لعلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ

بلادٌ بهــا قــوم هَواهُمْ زِيارتي ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي

فلمّا استَتْممتُها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه .

[بين المتوكل وخالد بن يزيد الكاتب]

أخبرني عليّ بن أبي العبّاس بن أبي طلحة قال : حدَّثني إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال : حدَّثني خالد بن يزيد الكاتب قال : دعاني المتوكّل ليلة وقد غنّى بين يديه عمر الطنبوريّ في

1 الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرب على السفر من مكان إلى مكان .

قولي : [من مجزوء الكامل]

يـــا مقلتيّ قتلتماني فبقيتُ رحمةَ مَنْ يراني
مَـنْ ذا ألـوم وأنتما بِيَدِ الهـوى أسلمتُماني

قال : ولم يغنّه البيت الثالث ، وهو :

لعبت بنـا أيدي الخطو ب وغالنا رَيبُ الزمانِ

كراهةَ أن يَتطيَّر منه ، فجعل ينظر إليَّ وأنا واقف ، ثم قال لي : ويلك يا خالد ، تهرب منّا ونحنُ نطلبك ، وأنت في غياباتِ صبواتك وغَزلك . يا غلام اسقِه ثلاثة أقداح في القدح المُبْرم ، وهو الذي لا قرار له ، فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أن يضعه مِنْ يَدِه ، فقلت : [من مجزوء الرمل]

سيِّـــدي لا تَسْقنـــي أكثر مِـن رِطْـل نبيذِ
إنَّ شُرْبـــي للَّـــذي يؤلمنـــي غير لذيـــذِ

فقال : يا غلام ، إن لم يشرب فاصفعْه ، فقلت : [من مجزوء الرمل]

سيِّـدي حوصَلتي ضَيْـ ـيقَةٌ عـن شربِ رطلِ
فمتـــى زدتُ عليـــه خفت أن يذهب عقلي

فقال الفتح : هو كما قال يا سيِّدي لا يُطيق الشرْب .

وحضر ابن أبي حفصة ، فقال لنا المتوكّل ، قولا على البديهة ، فقلت له : هو يا سيِّدي شيخ الشعراء ومادحُك ، وآباؤه مُدَّاح آبائك ، فأنشأ يقول : [من المجتث]

يا ليت [لي] ألفَ عينٍ عينـــاي لا تكفِيـــانِ

فقلت له : سَخُنت عينك ، أنا لي عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى منذ ستِّين سنة ، أقول : [من مجزوء الكامل]

يـــا عـين أنت بليتني فأراحني الرحمـن منكِ

وأنت تتمنّى ألفَ عين . ثم قال لي المتوكّل : اهجُه ، فقلت : إنّ الرجل لم يعرِض لي ، فأقبل هو عليَّ وقال : قُل ما شئتَ ، وما عسى أن تقول ؟ فقلت : [من الهزج]

زاد البَـردُ يومـــين فقال الناس : ما القصَّةْ

فقلنـــا : أُنشدونـــا شعـــ ـــر مروان بن أُبي حفصَهْ
فتـــى مـــن شهوة النَّيْكِ بحلقـــوم استِـــه غصَّهْ
ولـــو يُرْمـــى ببَطِّيـــخٍ لوافـــى دُبْـــرَهُ رَصَّهْ

قال : فضحك المتوكّل حتى صفّق برجليه الأرض ، وأفحم مروان ، ثم أمر لي بجائزة فأخذْتُها وانصرفت .

[يستدعيه المتوكّل من اليمامة]

قال ابن أُبي طاهر : حدَّثني مروان بن أُبي الجنُوب قال : لمّا استُخْلِف المتوكِّل بعثْتُ إلى ابن أُبي دُواد بقصيدة مدحتُه فيها وذكرتُ فيها ابن الزيّات ببيتين وهما : [من الطويل]

وقيـــلَ لي : الزياتُ لاقى حِمامَه فقلـــت : أتاني الله بالفَتْح والنصْرِ
لقـــد حفر الزيّاتُ بالبغي حُفْرة فألقاه فيهـــا الله بالكفر والغَدْرِ

قال : فذكرني ابن أُبي دُواد للمتوكّل ، فأُمر بإحضاري ، فقيل له : نفاه الواثق إلى اليمامة ، وذلك لميله إليك . فقال : يُحْمل ، فقال له ابنُ أُبي دُواد : عليه ستّة آلاف دينار دَيْن ، فقال : يكتب له بها إلى عامل اليمامة ، فكتب لي بها وبالحُملان والمعُونة ، فقدمت عليه وأنشدتُه قولي : [من الكامل]

صوت

رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ والشيبُ حَـــلَّ وليتَه لم يَحْلُلِ

فلمّا بلغتُ إلى هذا البيت :

كانت خلافـــةُ جعفـــر كنبوّةٍ جاءت بلا طَلَبٍ ولا بتمَحُّلِ
وهبَ الإلهُ لكَ الخلافة مثلَ ما وهـــب النبـــوّة للنبيِّ المُرسَلِ

فأُمر لي بخمسين ألف درهم .

وفي أوّل هذه القصيدة لعريب ثاني ثقيل بالوسطى .

والصوت المذكور في أوّل هذه الأخبار من قصيدة قالها أُبو السّمط في المنتصر لمّا ولي الخلافة .

[يستأذن على المنتصر فلا يؤذن له]

أُخبرني بخبره فيها جماعة من أُصحابنا ، منهم محمد بن جعفر النحويّ صِهْر المبرِّد ،

والحسن بن عليّ قالا : حدَّثنا محمد بن موسى قال : حدَّثني القاسم بن محمد الكاتب قال : حدَّثني المرزبان بن الفَروران حاجب المنتصر قال : إنّ مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السّمط استأذن على المنتصر لمّا ولي الخلافة ، فقال : والله لا أذنت للكافر ابن الزّانية ، أليس هو القائل : [من الطويل]

وحكَّــم فيهــا حاكمين أبوكُمُ ... هما خَلَعاه خلْع ذي النَّعْلِ للنَّعْلِ

قولوا له : والله لا وصلتَ إليَّ أبداً ، فلمّا بلغه هذا القول عَمِل هذا الشِّعر : [من الطويل]

لقــد طــال عهدي بالإمام محمد ... وما كنتُ أَخْشى أن يطول به عَهْدي

وذكر الأبيات كلّها .

قال : وسأل بنانَ بن عمرو ، فصنع فيه لحناً وغنّى به المنتصر ، فلمّا سمعه سأل عن قائلها ، فأخبرتُه ، فقال : أما الوصول إليَّ فلا سبيل إليه ، ولكن أعطوه عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى اليمامة .

[حرّضه المتوكّل على علي بن الجهم فأعنته وهجاه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدَّثني جعفر بن هارون بن زياد قال : حدَّثني أحمد بن الفضل الكاتب قال : لمّا قال عليّ بن الجهم هذه القصيدة في المتوكّل : [من الخفيف]

اغْتَنِمْ جِدَّةَ الزَّمــان الجديدِ ... واجعل المهرجـان أيمنَ عِيدِ

أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر ، فغمزه المتوكّل على عَليٍّ بن الجَهْم وأَمَرَه أن يُعْنِتَه . فقال له : يا عليّ ، أخبرني عن قولك :

واجعل المهرجــان أيمن عيد

المهرجان عيد أمْ يومُ لهو ، إنّما العيد ما تَعَبَّد اللهُ به الناس مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيّام التشريق . فأمّا المهرجان والنيروز فإنّما هما أعياد المجوس ، لا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته : اجعل المهرجان عيداً .

فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله : [من الخفيف]

نحن أشياعكمْ من آل خراسا ... ن أُولو قُــوّة وبـأسٍ شديدِ

نحن أبناء هـذه الخِرَق السُّو دِ وأهـل التَّشيُّـع المَحْمُودِ

فقال له مروان : لو كنتم من أهل التَّشيّع المحمود ما قَتَل قحطبةُ جدَّك وصَلَبه في عداوة بني العبّاس . فقال له المتوكّل : ويلك ، أقتل قحطبةُ جدَّك ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال له : بحياتي الأمرُ كما قال مروان ؟ فقال له محمد : وإن كان كما قال ، فأيَّ ذنب لعليّ بن الجهم ؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم . فضحك المتوكّل وقال : شهدتَ والله بها عليه ، فقال مروان في ذلك : [من الرمل]

غَضِب ابنُ الجَهْم من قولي له إنّ في الحـقّ لِقَـوْمٍ مَغْضَبَهْ
يا ابنَ جهمٍ كيف تهوى مَعْشراً صلبوا جَدّك فـوق الخشبَهْ
يا إمـام العدل نصحي لكمُ نُصحُ حَـقّ غير نُصح الكَذبَهْ
إن جدِّي مـن رفعتم ذِكْرَه بكرامـاتٍ لشكري مُوجِبَهْ
وابنُ جهـم مَـن قتلتم جَدَّه وتولّـى ذاك منـه قَحْطَبَهْ
فخراسانُ رأتْ شيعَتَكُـمْ أنّـه أهـلٌ لضرب الرّقَبَهْ
أتُراه بعدهـا ينصحكـمْ لا وربٌ الكعبـةِ المحتجبَهْ

[هجا علي بن الجهم فلم يجبه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال : حدَّثني جعفر بن هارون قال : حدَّثني أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال : بلغ المتوكّلَ أنّ عليّ بن الجهم خطب امرأةً من قريش فلم يزوِّجوه ، فسأل عن السبب في ذلك وعن قصّته ، وعن نسب سامَةَ بن لؤي ، فحُدِّث بها ، ثم انتهى حديثُهم بأنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يدخلاهم في قريش ، وأنّ عثمان رضي الله عنه أدخلهم فيه ، وأنّ عليّاً رضي الله عنه أخرجهم منه ، فارتدُّوا مع الحارث ، وأنّه قتل مَن ارتدَّ منهم ، وسبى بقيتهم ، وباعهم من مَصْقَلة بن هبيرة ، فضحك المتوكّل ، وبعث إلى عليّ بن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال . هذه الدعوى من الرافضة ، وشتم القوم . وكان منهم أبو السَّمط فقال له : [من المديد]

إنَّ جَهْماً حـين تنسبه ليس من عُجْمٍ ولا عَرَبِ
لجَّ في شتمي بلا سَبَبٍ سارقٌ للشِّعر والنَّسبِ

مــن أنــاسٍ يدَّعون أبا ماله في الأرض من عقبِ

فغضب عليّ بن الجهم ولم يجبه ؛ لأنّه كان يحتقره ويَسْترِكُه[1] ، وأومأ إليه المتوكّل أن يزيده فقال : [من الوافر]

أأنتم من قريش يا ابن جَهْم وقـد باعوكُمُ في مَنْ يزيدُ
أترجو أن تكاثرنــا جِهاراً بنسبتكم وقد بِيع الجدودُ

قال : وما زال مروان يهجو عليّ بن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه .

[مدح ابن أبي دواد]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا إسحاقُ بن محمد النخعيّ قال : حدَّثني الجمَّاز أبو عبد الله قال : دخل مروان الأصغَر على أحمد بن أبي دواد وقد أصابه الفالج وتَماثَل قليلاً ، فأنشده : [من البسيط]

لسانُ أحمــدَ سيفٌ مَسَّه طَبَـعٌ مــن عِلَّــةٍ فجلاه عنــه جاليها[2]
ما ضرَّ أحمدَ باقــي عِلَّةٍ دَرَسَتْ واللهُ يُذْهِــبُ عنــه رسْم باقيها
قد كان موسى على عِلاّت منطقه رسائــلُ الله إذ جــاءت يُؤدِّيها
موسى بن عمران لم يَنْقص نبوَّتــه ضعفُ اللسانِ وقِدْماً كان يُمضِيها

فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه .

[رثى ذا اليمينين]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني مُتوِّج قال : قال أبو السمط : دخلت على عبد الله بن طاهر فقـال : إنِّـي تذكَّرت في ليلتي هذه ذا اليمينين ، فبتّ أرقاً حزيناً باكِياً ، فارْثِهِ في مقامِك هذا بأبيات تجعـل لي طريقاً إلى شفاء عِلَّتي ولك حُكمُك ، فَفكَّرت هنيهة ثم قلـت : [من الكامل]

إنّ المكارم إذ تولَّــى طاهرٌ قطَع الزمانُ يمينَهــا وشِمالَها
لو كافحتْه يــدُ المنون مُجاهراً لاقــت لوقع سيوفـه آجالَها

1 يستركه : يستضعفه .

2 الطّبع : الدنس وغيره وللسيف الصدأ .

أَرْسى عِمادَ خليفةٍ في هاشم ورمـى عمادَ خلافـة فأَزالها
بكت الأَعِنّةُ والأَسِنَّة طاهـراً ولطالما روّى النَّجيـعُ نِهالَها
ليتَ المنون تجانبت عن طاهرٍ ولوت بذِرْوَة مَن تشاءُ حِبالها
ما كنت لو سَلِمَتْ يمينا طاهرٍ أَدري ولا أَسلُ الحوادث ماالها

فقال : أَحسنت والله فاحتكِم ، فقلت له : خمسون ألف درهم أقضي منها ديناً ، وأُصلح حالي ، وأَبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي . فأَمر لي بها وقال : ربحنا وخسرت ، ولو لم تحتكم لزدتك ، ولك عندنا عَدٌّ وعَدٌّ بعد عَدٍّ .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لا تلمْنـيَ أَن أَجْزعا سَيِّـدي قـد تمنَّعا
وا بلائـي إن كانَ ما بيننـا قـد تَقَطَّعا
إنَّ مُـوسى بِفَضْلـه جمَّـع الفضْلَ أُجمَعا

الشعر ليوسف بن الصَّيْقل والغناء لإبراهيم خفيف رَمَل بالبِنْصَر .

[521] ـ أخبار يوسف بن الحجّاج ونسبه

[نسبه]

هو يوسفُ بن الحجَّاج الصَّيقل ، يقال : إنّه من ثَقيف ، ويقال : إنّه مولًى لهم ، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح أنّه كان يلقب لَقوة[1] وأنّه كان يصحَب أبا نواس ، ويأخذ عنه ، ويروي له ، وأبوه الحجَّاج بن يوسف محدث ثقة ، وروى عنه جماعة من شيوخِنا ، منهم ابن منيع ، والحسن بن الطيب الشجاع ، وابن عفير الأنصاريّ ، وكان يوسف بن الصيقل كاتباً ، ومولده ومنشؤه بالكوفة .

[قصة هذا الصوت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ ، عن ابن شَبَّة ، قال : قال أحمدُ بنُ صالح الهِشاميّ : قال لنا يوسف بنُ الصَّيقل يوماً ، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال : صنع اللهُ لكم ، ثم أقبل على إبراهيم الموصليّ ، فقال له : كنّا نهزِل ، فنأخذ الرغائبَ ، وهؤلاء المساكينُ الآن يَجدُّون ، فلا يُعطونَ شيئاً ، ثم قال لإبراهيم : أتذكر ونحن بجُرجان مع موسى الهادي ، وقد شرب على مستشرف عالٍ جدّاً وأنت تُغَنِّيه هذا الصوت : [من مجزوء الخفيف]

واستدارت رحالُهم بالرُّدَينيِّ شُرَّعا

فقال : هذا لحن مليح ، ولكنّي أُريد له شعراً غير هذا ، فإن هذا شعر بارد ، والتفت إليَّ فقال : اصنع في هذا الوزن شعراً ، فقلتُ : [من مجزوء الخفيف]

لا تلمنيَ أن أَجزعا سيِّدي قد تمنّعا

فغنَّيتُه فيه بذلك اللحن ، ومرَّت به إبل يُنقَل عليها ، فقال أوقِروها لهما مالا ، فأُوقِرَتْ مالاً وحُمِل إلينا ، فاقتسمناه ، فقال إبراهيم : نعم ، وأصاب كلَّ واحد منّا ستِّينَ ألفَ درهم .

---

1 اللقوة : داء يعوج منه الوجه . ومن معانيها لعُقاب أيضاً .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه

صوت

[من مجزوء الخفيف]

فـارسٌ يضرِب الكتـ ـيبةَ حتّـى تصـدَّعا
في الوغى حينَ لا يَرى صاحبُ القوسِ مَنزعا
واستـدارتْ رحالُهـمْ بالرُّدَينـيِّ شُرَّعـا
ثـم ثـارتْ عَجاجَةٌ تحتَهـا المـوتُ مُنْقَعـا

في هذه الأَبيات رَمَل ينسب إلى ابن سُرَيج وإلى سِياط ، وفيه لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر .

[الهادي أم الرشيد]

أَخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، عن محمد بن عبد الله العَبْديّ ، فذكر مثل هذه القصّة إلاّ أنّه حكى أنّها كانت بالرقّة ، لا بجُرجان ، وأنّ الرشيد كان صاحبَها لا موسى .

[يفاجىء الرشيد بمدحه فيجيزه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ العَنَزيّ ، عن محمد بن يونس الربيعيّ ، قال : حدَّثني أَبو سعيد الجنديسابوريّ ، قال : لّما ورد الرشيد الرَّقّة خرج يوسُفُ بن الصيْقل ، وكمن له في نهر جافّ على طريقه ، وكان لهارون خدم صغارٌ يسمِّيهم النّمل يتقدّمونه ، بأيديهم قِسيُّ البندُق ، يرمون بها مَن يعارضه في طريقه ، فلم يتحرّك يوسف ، حتى وافته قُبَّة هارون على ناقة ، فوثب إليه يوسف ، وأَقبل الخدمُ الصغارُ يرمونه ، فصاح بهم الرشيد : كُفُّوا عنه ، فكفُّوا ، وصاح به يوسف يقول : [من الهزج]

صوت

أَغيثـاً تحمـلُ النـا قـةُ أَم تحملُ هرونا
أَم الشمسُ أَم البدرُ أَم الدُّنيـا أَم الدِّينا
أَلا كلَّ الـذي عـدّدْ تُ قد أَصبح مَقرونا

على مَفــرِقِ هارون فَــداه الآدمِيُّـونا

فمدَّ الرشيدُ يدَه إليه ، وقال له : مرحباً بك يا يوسفُ ، كيف كنتَ بعدي ؟ ادْنُ منّي ، فدَنا ، وأمر له بفرسٍ ، فركِبه ، وسار إلى جانب قبّته يُنشده ، ويحدّثه ، والرشيد يضحَك ، وكان طيِّبَ الحديث ، ثم أمر له بمال ، وأمر بأن يُغَنَّى في الأبيات : الغناء في هذه الأبيات لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ :

[نواسيّ المذهب]

وقال محمد بن دواد : كان يوسف فاسقاً مُجاهِراً باللّواطِ ، وله فيه أشعار ، فمنها قوله : [من مجزوء الكامل]

لا تَبخلَــنَّ عــلى النديــ ـم بردْف ذي كَشْحٍ هَضِيمِ

تعلُــو وينظُــر حَسْرَةً نَظَـرَ الحمـارِ إلى القَضِيمِ[1]

وإذا فرغْــتَ فــلا تقــم حتـى تُصَـوِّتَ بـالنَّديمِ

فــإذا أجـابَ فقـلْ هلُــ ـمَّ إلى شهـادةِ ذي الغريمِ

واتبــعْ للذّتــك الهــوى ودعِ الملامــةَ للمُليـمِ

قال : وهذا الشعر يقولُه لصديق له رآه قد علا غلاماً له ، فخاطبه به .

ومن مشهور قوله في هذا المعنى :

لا تَنيكَنَّ ما حييتَ غُلامــاً مكابَـرَهْ

لا تمـرَّنَّ باستـه دُون دَفْـعِ المؤامرَهْ

إنّ هذا اللّواطَ دِينٌ تــراه الأساورَهْ[2]

وهــمُ فيــه منصِفو ن بحُسنِ المعـاشَرَهْ

ومن قوله في هذا المعنى أيضاً هذه الأبيات : [من الرمل]

ضع كذا صدرَك لي يا سيِّدي واتَّخذْ عنــدي إلى الحشر يَدا

---

1 القضيم : شعير الدابة .

2 الأساورة : جمع إسوار وأُسوار من الفرس وهو الفارس المقاتل أو القائد أو جيّد الرمي بالسهام .

إنَّمـا رِدفـك سرْجٌ مُذهَبٌ ... كُشِفَ البِزيـونُ عنه فبدا[1]

فأعرِنيــه ولا تبخـلْ بـه ... ليس يُبليـه رُكوبـي أبـدا

بـل يصفّيه وَيَجلـوه ولا ... أَثـرٌ تـرآه فيـه أبـدا

فادْنُ يا حِبُّ وطِبْ نفساً به ... إنّ ذاك الدَّيـنَ تُقضاه غـدا

[لا يحبّ القيان]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدَّثني عُمر بن شبَّة عن أحمد بن صالح الهاشميّ ، قال : هجا يوسف بن الصيقل القِيان ، فقال : [من مجزوء الكامل]

احـذر فديتُك مـا حبيـ ... ـتَ حبائـلَ المَتَشاكلاتِ

فلهُـنَّ يُفْلِسْن الفَتـى ... وكفـى بهـنَّ مُفْلساتِ

وبـل امـرئٍ غِرٍّ تَجيـ ... ـه رقاعُهـنَّ مُختَّماتِ

ورقاعُهُـنَّ إليهـمُ ... بُرقى القِحابِ مُسَطَّراتِ

وعـلى القيـادة رُسْلُهـ ... ـنَّ إذا بُعِثْـن مدرَّباتِ

يهدمْـنَ أكيـاسَ الغنيّ ... مـن المؤنـةِ والهِباتِ

حفـرَ العلـوجُ سَواقيـاً ... للمـاء في الأرضِ المَواتِ

فيصيرُ مـن إفـلاسه ... ومـن الندامـةِ في سُباتِ

قال : وشاعت هذه الأبيات وتَهاداها الناس ، وصارت عَبَثاً بالقِيان لكلِّ أحد ، فكانت المغنّية إذا عثَرتْ قالت : تَعِس يوسُف !

[الموالي يتعصبون له]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ ، قال : أخبرني عيسى بنُ الحسن الآدميّ : قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي فَنَن ، قال : أحضر الرشيدُ عشرَة آلاف دينار من ضرب السَّنة ففرَّقَها ، حتى بقيت منها ثلاثةُ آلاف دينار ، فقال : ائتوني شاعراً أَهَبُها له ، فوجدوا منصوراً النَّمَريّ ببابه ، فأُدخِل إليه ، فأنشدَه ، وكان قبيح الإنشاد ، فقال له الرشيد : أعانك الله على نفسك ، انصرفْ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد دخلت إليك دَخلْتين ، لم تُعطني فيهما شيئاً ، وهذه الثالثةُ ، ووالله لئن حرمتني لا رفعتُ رأسي بين الشعراء أبداً . فضحك

1 البزيون : السندس من الديباج .

الرشيد ، وقال : خذْها ، فأَخذها ، ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضُهم بعضاً ، فقال : كأنّي قد عرفتُ ما أَردتم إنّما أَردتم : أَن تكونَ هذه الدنانير ليوسف بن الصَّيْقل ، وكان يوسُفُ منقطعاً إلى الموالي ينادِمُهم ، ويمدَحهم ، فكانوا يتعصّبون له ، فقالوا : إي واللهِ يا أَمير المؤمنينَ ، فقال : هاتوا ثلاثة آلاف دينار ، فأُحضِرَتْ ، فأَقبل على يُوسُف ، فقال : هاتِ ، أَنشِدْنا ، فأَنشدَه يُوسُف : [من الطويل]

تصدَّتْ له يوم الرُّصافَة زينبُ

فقال له : كأنَّكَ امتدحْتنا فيها ، فقال : أجلْ ، واللهِ يا أَمير المؤمنين فقال : أنتَ ممّن يوثَقُ بنِيَّته ، ولا تُتَّهم مُوالاتُه ، هاتِ من مُلحك ، ودع المديح ، فأَنشدَه أقولَه : [من المجتث]

صوت

العفوُ يا غَضبانُ ما هكذا الخِلاّنُ
هَبْني ابتُليتُ بذَنب أَما لَه غُفْرانُ
وإن تعاظَمَ ذَنْبٌ ففوقَه الهِجرانُ
كم قد تقرَّبْتُ جَهدي لو ينفَع القُرْبانُ
يا ربِّ أنتَ على ما قد حَلَّ بي المستَعانُ
ويْلي أَلستَ تَراني أَهْذي بها يا فلانُ

فقال الرشيدُ : ومَن فُلان هذا ويلك ؟ فقال له الفضل بن الربيع : هو أَبانُ مولاك يا أَمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : وَلِمَ لَمْ تُنْشِدني كما قلتَ يا نَبَطيّ ؟ فقال : لأنّي غَضبان عليه . قال : وما أَغضبك ؟ قال : مدّت دِجلة ، فهدمتْ داري وداره ، فبنى داره ، وعلاَّها ، حتى سترت الهواءَ عنّي ، قال : لا جرمَ ، ليعطينَّك الماصُّ بظرَ أُمِّه عشرةَ آلاف درهم ، حتى تبني بناءً يعلو على بنائه ، فتستُر أنتَ الهواءَ عنه ، ثم قال له : خُذ في شعرك ، فأَنشده نحواً من هذا الشعر ، فقال للفضل بن الربيع : يا عبّاسيّ ، ليس هذا بشعر ما هو إلاّ لَعِب ، أَعطوه ثلاثةَ آلافِ درهم مكان الثلاثة الآلافِ الدينار ، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن ، فقالوا له : أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أَمر له أَوّلاً ، فقال : أَسْتأمرُه ، ثم أفعل ، فقالوا له : أعطِه إيّاها بضماننا ، فإن أُمضيَتْ له وإلاّ كانت في أَموالنا ، فدفعها إليه بضمانهم ، فأَمضيتْ له ، فكان يوسف يقول بعد ذلك : كنّا نلعب ، فنأخذُ مثل هذه الأموال ، وأَنتم تقتلون أَنفسكم ، فلا تأخذونَ شيئاً !

صوت

[من الكامل]

هبَّتْ قُبيلَ تبلُّجِ الفجرِ ... هندٌ تقولُ ودمعُها يَجري
أَنَّى اعتراكَ وكنت في عهديَ لا ... سَرِبَ الدّموع وكنتَ ذا صَبْرِ

الشعرُ لرجل من الشُّراة يقال لَه : عَمرو بن الحصين مولَى بني تميم ، يقولُه في عبد الله بن يحيى الذي تسمّيه الخوارجُ طالبَ الحقّ ، ومن قُتِلَ من أُصحابه معه يَرثيهم . والغناء لعبد الله بن أَبي العلاء ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

[522] ـ خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

[كان مجتهداً عابداً]

أخبرني بذلك الحسنُ بن عليّ الخفّاف ، قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن محمد بن أبي محمد الخزامي ، وخلاّد بن يزيد ، وعبد الله بن مصعب ، وعمرو بن هِشام ، وعبد الله بن محمد الثّقفيّ ، ويَعقوب بن داود الثقفيّ ، وحُريم بن أبي يحيى : أنّ عبد الله بن يحيى الكِنْديّ أحد بني عمرو بن معاوية كان من حَضْرَموْت ، وكان مجتهداً عابداً ، وكان يقولُ قبل أن يخرجَ : لقيني رجل ، فأطال النظرَ إليّ ، وقال : ممّن أنت ؟ فقلت : من كِندة ، فقال : من أيِّهم ؟ فقلت : من بني شيطان ، قال : والله لتملكَنَّ ، ولتبلُغنَّ خيلُك وادي القُرى[1] ، وذلك بعد أن تذهَب إحدى عينيكَ .

[إلى حضرموت]

فذهبتُ أتَخوّفُ ما قال ، وأستخيرُ الله ، فرأى باليمن جَوْراً ظاهراً ، وعَسْفاً شديداً ، وسيرةً في النّاس قَبيحه ، فقال لأصحابه : ما يحلّ لنا المقامُ على ما نرى ، ولا يسعُنا الصبرُ عليه ، وكتب إلى عُبيدة بن مُسلم بن أبي كَريمة الذي يقالُ له : كُودين مولى بَني تميم ، وكان ينزل في الأزْدِ ، وإلى غيره من الإباضيّة بالبصرة يُشاورُهم في الخروج ، فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألا تقيمَ يوماً واحداً فافعلْ ، فإن المبادرةَ بالعملِ الصالح أفضلُ ، ولستَ تدري متى يأتي عليكَ أجلُك ؟ ولله خيرَةٌ من عباده يبعثُهم إذا شاء لنُصرة دينه ، ويخُصُّ بالشهادة منهم مَن يَشاء . وشخَص إليه أبو حمزة المختار بن عَوف الأزديّ أحدُ بني سلمة ، وبلْجُ بن عُقبة السّقُوريّ في رجالٍ من الإباضية ، فقدِموا عليه حَضْرَمَوت ، فحثّوه على الخروج ، وأتوْه بكتُب أصحابه : إذا خرجتم فلا تَغُلُّوا ، ولا تغدِروا ، واقتدُوا

1 وادي القرى : بين المدينة والشام من أعمال المدينة .

بسلفكم الصالحين ، وسيرُوا سِيرَتَهم ، فقد علمتم أنّ الذي أخرجَهم على السلطان العيثُ لأعمالهم .

فدَعا أصحابه ، فبايعوه ، فقصدوا دار الإمارة ، وعلى حَضْرَمَوت إبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة الكِنديّ ، فأخذوه ، فحَبسوه يوماً ، ثم أطلقوه ، فأتى صَنعاء ، وأقام عبد الله بن يحيى بحَضرَمَوت ، وكثُرَ جمعه ، وسمّوْه «طالب الحقّ» .

[ثم إلى صنعاء]

فكتب إلى مَن كان من أصحابه بصنعاء : إنّي قادمٌ عليكم ، ثم استخلف على حَضْرَمَوت عبدَ الله بن سعيد الحَضرميّ ، وتوجّه إلى صَنعاء سنة تسعٍ وعشرين ومائة في ألفين ، وبلغ القاسمَ بنَ عمر أخا يوسفَ بن عمر ، وهو عامل مَرْوان بنِ محمد على صَنعاء ، مسيرُ عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحّاك بن زَمْل ، وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعُدّة وجمعٍ كثير ، فعسكر على مسيرة يوم من أبيْن[1] وخلّف فيها الأثقالَ ، وتقدَّمت المقاتِلة ، فلَقِيَهُ عبد الله بن يحيى بلَحْج ، قرية من أبيْن ، قريباً من الليل ، فقال الناسُ للقاسم : أيّها الأمير ، لا تقاتل الخوارج ليلاً ، فأبى ، وقاتلَهم ، فقَتَلوا من أصحابه بشراً كثيراً ، وانهزموا ليلاً ، فمرّ بعسكره ، فأمرهم بالرحيل ، ومضى إلى صنعاء ، فأقام يوماً ، ثم خرج فعسكر قريباً من صَنعاء ، وخندقَ وخلّف بصنعاء الضحاك بن زَمْل ، فأقبل عبد الله بن يحيى ، فنزلَ جُوَين[2] على ميلين من عسكر القاسم ، فوجَّه القاسمُ يزيدَ بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن ، فكانت بينَهم مناوشةٌ ثم تحاجزوا ، فرجع يزيدُ إلى القاسم ، فاستأذنه في بياتِهم ، فأبى أن يأذنَ له ، فقال يزيد : والله لئن لم تُبَيِّتْهم ليَغمَّنَّك ، فأبى أن يأذَن له ، وأقاموا يومين لا يلتَقُون ، فلمّا كان في الليلة الثالثة أقبل عبدُ الله بن يحيى ، فوافاه مع طلوع الفجر ، فقاتلهم الناسُ على الخندق ، فغلبتهم الخوارج عليه ، ودخلوا عسكرَهم ، والقاسمُ يُصلّي ، فركب ، وقاتَلَهم الصَّلْتُ بنُ يوسف ، فقُتِل في المعركة ، وقام بأمْرِ الناس يزيدُ بنُ الفيض ، فقاتلهم ، حتى ارتفع النهار ، ثم انهزم أهلُ صنعاء فأراد أبرَهَةُ بن الصبّاح اتّباعهم ،

---

1 أبين : مخلاف باليمن .

2 جوين : كورة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور ، تسميها أهل خراسان كُويان فعربت فقيل جوين .

فمنعه عبدُ الله بنُ يحيى ، واتَّبع يزيدُ بن الفيض القاسمَ بن عمر ، فأخبره الخبر فقال للقاسم[1] : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري هل أذودَنَّ بالقَنا وبالهُنْدوانيّاتِ قَبْلَ مماتي
وهل أُصبِحنّ الحارثَين كِلَيهما بطعنٍ وضربٍ يَقطعُ اللهَواتِ

قال : ودخل عبد الله بن يحيى صنعاءَ ، فأخذ الضَّحّاكَ بن زَمْل وإبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة ، فحبسَهما ، وجمع الخزائنَ والأموال ، فأحرزها ، ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم ، فأرسلَهما ، وقال لهما : حبستُكما خوفاً عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما إن شِئتُما أو اشخصا ، فخرجا .

[خطبته بعد فتح اليمن]

فلمّا استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناسَ ، فحمد الله جلّ وعزّ وأثنى عليه وصلّى على نبيّه ﷺ ، ووعظ ، وذكّر ، وحذّر ، ثم قال : إنّا ندعوكُم إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه وإجابة مَن دعا إليهما : الإسلامُ دينُنا ، ومحمدُ نبيُّنا ، والكعبةُ قِبْلتُنا ، والقرآنُ إمامُنا ، رضينا بالحلالِ حلالاً لا ينبغي به بديلاً ، ولا نشتري به ثمناً قليلاً ، وحرَّمنا الحرامَ ، ونبذناه وراء ظهورِنا ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، وإلى الله المُشْتكى ، وعليه المُعَوَّل . من زَنى فهو كافر ، ومن سَرَق فهو كافر ، ومن شَرِب الخمر فهو كافر ، ومن شكّ في أنّه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى فرائضَ بيّنات ، وآياتٍ مُحْكَمات ، وآثارٍ مُقتدًى بها ، ونشهد أنّ الله صادق فيما وعد ؛ عَدْلٌ فيما حكم وندعو إلى توحيد الربِّ ، واليقينِ بالوعيد والوعدِ ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولايةِ لأهل وِلاية الله ، والعَداوةِ لأعداء الله . أيّها الناس إنَّ مِن رحمة الله أن جعل في كلّ فَترة بقايا من أهل العِلم يَدْعون من ضلّ إلى الهدي ، ويَصبِرون على الألَم في جَنْب الله تعالى ، يُقتَلون على الحقّ في سالفِ الدّهور شُهداء ، فما نَسِيَهم ربُّهم ، وما كان ربُّك نَسِيًّا . أوصيكم بتقوى الله ، وحسنِ القيام على ما وكّلكم اللهُ بالقيام به ، فأبلوا للهِ بلاءً حسناً في أمره وزجره ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

1 ورد البيتان في معجم الشعراء على النحو الآتي :

ألا ليت شعري هل أدوسن بالقنا تبالة أو نجران قبل مماتي
وهل أصبحن الحارثين كليهما بسم زعاف يقطع اللهوات

[يوجه أتباعه إلى مكّة]

قالوا : وأَقام عبدُ الله بنُ يحيى بصنعاء أَشهراً ، يُحسنُ السِّيرة فيهم ويُلينُ جانبَه لهم ويكفُّ عن النّاس ، فكثر جمعه ، وأَتته الشّراة من كلّ جانب ، فلمّا كان وقتُ الحجِّ وجَّه أَبا حمزة المختار بن عوف ، وبلْج بن عُقبة ، وأَبرَهة بن الصَّبّاح إلى مكّة في تسعمائة ، وقيل : بل في أَلف ومائة ، وأَمره أَن يقيمَ بمكّة إذا صدَر الناسُ ، ويُوَجِّه بلْجا إلى الشام ، وأَقبل المختار إلى مكّة ، فقدِمها يومَ التّرْوية ، وعليها عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأُمُّه بنتُ عبدِ الله بن خالد بن أَسيد ، فكره قتالهم .

[هدنة بين المختار وعبد الواحد]

وحدَّثنا من هذا الموضع بخبر أَبي حمزة محمدُ بنُ جرير الطّبريّ ، قال : حدَّثنا العبّاس بن عيسى العَقِيلي ، قال : حدَّثنا هارون بن موسى العواري ، قال : حدَّثنا موسى بن كثير مولى الساعدِيِّين ، قال : كان أَوّل أَمر أَبي حمزة ، وهو المختار بن عوف الأزديّ ثم السُّلميّ من أَهلِ البصرة أنّه كان يوافي في كلِّ سنة يدعو إلى خلافةِ مَرْوان بن محمد وآل مروان ، فلم يزل يختلفُ كلَّ سنة حتى وافى عبدُ الله بنُ يحيى في آخر سنة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ، إنِّي أَسمع كلاماً حسناً ، وأَراكَ تدعو إلى حق ، فانطلقْ معي ، فإنِّي رجلٌ مطاعٌ في قومي ، فخرج به ، حتى ورد حَضْرَمَوْت ، فبايعه أَبو حمزة على الخِلافة ، قال : وقد كان مرَّ أَبو حمزة بمعدِن بني سُليم ، وكثير بن عبد الله عامل على المَعْدِن ، فسمع بعضَ كلامه ، فأَمَر به فجُلدَ أربعين سوطاً ، فلمّا ظهر أَبو حمزة بمكّة تغيَّب كثيرٌ حتى كان من أَمره ما كان ، ثم رجع إلى موضعِه ، قال : فلمّا كان في العام المقبل تمامَ سنةَ تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفةَ إلاّ وقد طلعت أعلام عمائم سُودٍ خُرَّمِيّة في رؤوس الرّماح ، وهم سبعمائة ، هكذا قال : هذا وذكر المدائنيّ أنّهم كانوا تسعمائة أو أَلفاً ومائة ، ففزع الناسُ منهم حين رأَوْهم ، وقالوا لهم : ما لكم ؟ وما حالكم ؟ فأَخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرِّي منهم .

فراسلهم عبد الواحد بن سليمان ، وهو يومئذٍ على المدينة ومكّة والموسم ، ودعاهُم إلى الهدْنة ، فقالوا : نحن بحجِّنا أَضَنَّ وعليه أَشحُّ ، فصالحهم على أنّهم جميعاً آمنون بعضُهم من بعْض ، حتى ينفِرِ الناس النَّفْر الأخير ، وأَصبحوا من غدٍ ، فوقفوا على حِدَةٍ بعرفة ، ودفع عبدُ الواحد بالنّاس ، فلمّا كانوا بمنًى قالوا لعبد الواحد : إنّك قد أَخطأتَ فيهم ، ولو حملتَ عليهم

الحاجَّ ما كانوا إلاّ أَكلَةَ رأس[1] ، فنزل أَبو حمزة بقرن الثّعالب من مِنًى ، ونزل عبد الواحد منزِلَ السلطان ، فَبعثَ عبدُ الواحد إلى أَبي حمزة عبدَ الله بنَ حسن بن حسن بن عليّ ، عليهم السلام ، ومحمدَ بنَ عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبدَ الرحمن بنَ القاسم بن محمد بن أَبي بكر وعبيد الله بنَ عمرو بن حفص العمريّ ، وربيعةَ بنَ عبد الرحمن ، في رجال من أَمثالهم ، فلمّا دَنَوْا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أَبي حمزة ، فأَخذوهم ، فدُخِلَ بهم على أَبي حمزة ، فوجدوه جالساً ، وعليه إزار قطَواني[2] ، قد ربطه الحَوَرة في قَفاه ، فلمّا دَنَوْا تقدّم إليه عبدُ الله بنُ حسن ومحمدُ بن عبد الله بن عمرو ، فنَسَبهما ، فلمّا انتسبا له عبَسَ في وَجْهَيْهما وبَسَر ، وأَظهر الكراهة لهما .

ثم تقدّم إليه بعدهما البكْريّ والعمريّ فنَسبَهما ، فلمّا انتسبا له هشّ إليهما ، وتبسّم في وُجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلاّ لنَسيرَ بسيرة أَبويكما ، فقال له عبدُ الله بن حسن بن حسن : والله ما جئناك لتفاضلَ بين آبائنا ، ولكن بعثَنا إليك الأميرُ برسالة ، وهذا ربيعةُ يخبركَها ، فلمّا ذكر ربيعةُ نَقْضَ العهد ، قال بلج وإبراهيم ، وكانا قائدين له : الساعةَ الساعةَ ، فأَقبل عليهما أَبو حمزة ، وقال : معاذ الله أَن ننقض العهد أَو نخيسَ به ، والله لا أَفعل ولو قُطِعتْ رقبتي هذه ، ولكن تنقضي هذه الهدنةُ بيننا وبينكم . فلمّا أَبى عليهم خرجوا ، فأَبلغوا عبدَ الواحد .

[المختار يدخل مكّة]

فلمّا كان النَّفْرُ الأوّل نَفَر عبد الواحد ، وخلّى مكّةَ لأَبي حمزة ، فدخلها بغير قِتال . قال هارونُ : وأَنشدني يعقوب بن طلحة الليثيّ أَبياتاً هُجِيَ بها عبد الواحد لشاعر لم نحفِلْ به : [من الكامل]

زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا ... دينَ الإله ففرّ عبدُ الواحدِ
ترك الإمارةَ والحلائلَ هارباً ... ومضى يُخبِّطُ كالبعيرِ الشاردِ
لو كان والدُه تخيَّر أُمَّه ... لَصَفَتْ خلائقُه بعِرْق الوالدِ
ترك القتال وما به من عِلَّةٍ ... إلاّ الوهون وعرقةٌ من خالدِ

1 مثل يضرب للقلة .

2 قطواني : نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة تتخذ منه الأكسية .

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة ، فدَعا بالدّيوان ، وضرب على الناس البعث ، وزادهم في العطاء عشرةً عشرةً .

[انتصاره في قديد]

قال هارون : أخبرني بذلك أبو ضَمرة أنسُ بنُ عِياض أنّه كان فيمن اكتَتَب ، قال : ثم محوتُ اسمي .

قال هارون : وحدَّثني غير واحد من أصحابنا أنّ عبد الواحد استعمل عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على النّاس ، فخرجوا ، فلمّا كانوا بالحرّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة ، فمضَوْا ، فلمّا كانوا بالعقيق تعلّق لواؤهم بسَمُرة ، فانكسر الرمحُ ، وتشاءم الناسُ بالخروج ، ثم ساروا ، حتى نزلوا قُديدا[1] ، فنزلوها ليلاً ؛ وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمِنبر اليوم ، وكانت الحياضُ هناك ، فنزل قوم مغتَرُّون ليسوا بأصحاب حرْب ، فلم يرُعْهم إلاّ القومُ قد خرجوا عليهم من الفصل ، فزعم بعض الناس أنّ خزاعةَ دلَّتْ أبا حمزة على عورتهم ؛ وأدخلوهم عليهم ، فقتلوهم ، وكانت المقتلةُ على قريش ، وهم كانوا أكثرَ الناس ، وفيهم كانت الشوكة ، فأُصيب منهم عدد كثير .

[اليمانيون يشمتون بقريش]

قال العبّاس : قال هارون : فأخبرني بعضُ أصحابنا : أنَّ رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول : الحمد لله الذي أقرَّ عيني بمقتل قُريش ، فقال له ابنه : الحمد لله أذلّهم بأيدينا ، فما كانت قريش تظنُّ أنّ من نزل على عمانَ من الأزْد عربيّ ، قال : وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة ، فقال القرشيّ لابنه : يا بني ، هلُمّ نبدأ بهذين الرجلين ، قال : نعم يا أبتِ ، فحَملا عليهما ، فقتلاهما ، ثم قال لابنه : أيْ بُنيّ تقدّم ، فقاتَلا . حتى قُتِلا .

وقال المدائنيّ : القرشيّ كان عمارةَ بن حَمزة بن مصعب بن الزُّبير ، والمتكلّم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار . قال : ثم ورد فُلاّل[2] الجيش المدينةَ ، وبكى الناسُ قتلاهم ، فكانت المرأة تقيمُ على حَميمها النُّواحَ ، فلا تزال المرأة يأتيها الخبرُ بمقتل حميمها ، فتنصرِف ، حتى ما يبقى عندها امرأة ، فأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلى قُدَيد الذين أُصيبوا من قومه لبعضِ أصحابه : [من البسيط]

---

1 قديد : موضع قرب المدينة .

2 فلال : جمع فل ، وهم المنهزمون ويجمع على فلول .

يــا لهفَ نفسي ولهفٌ غير نافعةٍ على فــوارسَ بالبطحــاء أنجــادِ
عمرٌو وعمرٌو وعبدُ الله بينَهما وابناهما خامسٌ والحارث السادِي[1]

[جيش من الأغمار يحارب الخوارج]

قال المدائنيّ في خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكّة ، فكتب مروانُ إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بتوجيه الجيش إلى مكّة ، فوجّه ثمانيةَ آلافِ رجل من قريش والأنصار والتجّار ، أغمار لا عِلمَ لهم بالحرب ، فخرجوا في الصبَّغات والثياب الناعمة واللهوِ ، لا يظنُّون أنّ للخوارج شوكةً ولا يشكون أنّهم في أيديهم .

[يبيع سبي الطائف فينهزم]

وقال رجل من قريش : لو شاء أهلُ الطائفِ لكفوْنا أمرَ هؤلاء ، ولكنّهم داهنوا في أمر الله تعالى ، والله إن ظَفِرنا لنسيرنَّ إلى أهل الطائفِ ، فلنسْبِينّهم ، ثم قال : مَنْ يشتري منّي سبيَ أهلِ الطائف ؟ فلمّا انهزم الناسُ رجع ذلك الرجلُ القائلُ : مَن يشتري منّي سبي أهلِ الطائف في أوَّلِ المنهزمين ، فدخل منزلَه ، وأراد أن يقول لجاريته : أغلقي البابَ ، فقال لها : غاقِ باقِ دَهَشا ، ولم تفهم الجاريةُ قولَه ، حى أومأ إليها بيده ، فأغلقتِ البابَ ، فلقَّبهُ أهلُ المدينة بعد ذلك «غاقِ باقِ» .

[أموي وقريشي]

قال : وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرِض الجيشَ بذي الحُلَيفة ، فمرَّ به أميَّةُ بن عَنْبَسة بـن سعيـد بن العاص ، فرحَّـب بـه ، وضَحِك إليـه ، ومرَّ به عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزُّبير ، فلم يكلِّمه ، ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع ، وكان ابن خالته ، أمّاهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد : سبحان الله ! مرَّ بك شيخٌ من شيوخ قريش ، فلم تنظرْ إليه ، ولم تُكلِّمه ، ومرَّ بك غلام من بني أميّة ، فضَحِكْتَ إليه ولاطفتَه ! أما والله لو قد التَقى الجمعانِ لعلمتَ أيُّهما أصبرُ ؟ قال : فكان أميّة بن عَنْبَسة أوَّل مَن انهزم ، ونكَّب فرسه ومَضى ، وقال لغلامه : يا مجيب ، أما والله لئن أحرَزْتُ نفسي هذه الأكلُبَ من الشُّراة إنّي لعاجز . وقاتلَ يومئذٍ عمارة بن حَمزة بن

1 السادي : السادس .

مصعب ، حتى قُتِل ، وتمثّل : [من الطويل]

وإنّـي إذا ضـنَّ الأميرُ بإذنـه ... على الأذنِ من نفسي إذا شئتُ قادرُ

والشعر للأغرّ بن حمّاد اليَشْكُرِيّ .

[أبو حمزة يحمس أصحابه]

قال : ولمّا بلغَ أبا حمزة إقبالُ أهل المدينة إليه استخلَف على مكّة إبراهيم بن الصبّاح ، وشَخَص إليهم ، وعلى مقدّمته بَلْجُ بن عُقْبة ، فلمّا كان في الليلة التي وافاهم في صَبيحَتها ، وأهلُ المدينة نُزُولٌ بقُدَيد ، قال لأصحابه : إنّكم لاقُو قومِكم غداً ، وأميرهم ، فيما بلغني ، ابن عثمان أوّل مَنْ خالفَ سيرة الخلفاء ، وبدَّل سنة رسول الله ، ﷺ ، وقد وَضَح الصبحُ لذي عَيْنَين ، فأكثروا ذكرَ الله تعالى ، وتلاوةَ القرآن ، ووطِّنوا أنفسكم على الصَّبرِ . وصبَّحَهم غداة الخميس لتسعٍ أو لسبعٍ خلونَ من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فقال عبد العزيز لغلامه : أبغِنا عَلَفاً . قال : هو غالٍ ، قال : ويحَك ! البواكي علينا غداً أغلى .

[رسول أبي حمزة إلى أهل المدينة]

وأرسل إليهم أبو حمزة بلْجَ بنَ عقبة ؛ ليدعوهم ، فأتاهم في ثلاثين راكباً ، فذكّرهم الله ؛ وسألاهم أن يكُفُّوا عنهم ؛ وقال لهُم : خَلُّوا لنا سبيلَنا ؛ لنسير إلى مَن ظلمكم ؛ وجار في الحكْم عليكم ؛ ولا تَجعَلوا حدّنا بكم ؛ فإنّا لا نريد قتالكم ؛ فشتَمهم أهلُ المدينة ، وقالوا : يا أعداءَ اللهِ ، أنحن نُخلِّيكم ونَدَعُكم تُفسدون في الأرض ! فقالت الخوارجُ : يا أعداء الله ، أنحن نُفسدُ في الأرض ! إنّما خرجنا لنكُفَّ أهلَ الفساد ، ونقاتل مَن قاتلنا واستأثر بالفيء ، فانظروا لأنفسِكم ، واخلعوا مَن لا يجعل اللهُ له طاعةً ، فإنّه لا طاعةَ لَمن عَصى اللهَ ، وادخلوا في السِّلم ، وعاونوا أهل الحَقّ ، فقال له عبد العزيز : ما تقولُ في عثمانَ ؟ قال : قد برئ المسلمون منه قبْلي ، وأنا متّبع آثارَهم ، ومقتَدٍ بهم ، قال : فارجعْ إلى أصحابك ، فليس بيننا وبينهم إلاّ السيفُ .

[الآن حلت لكم دماؤهم]

فرجع إلى أبي حمزة ، فأخبره ، فقال : كُفُّوا عنهم ، ولا تقاتلوهم . حتى يبدءوكم بالقتال ، فواقفوهم ، ولم يُقاتلوهم . فرمى رَجلٌ من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسَهم ، فجرحَ رجلاً ، فقال أبو حمزة : شأنكم الآن بهم ، فقد حلَّ قتالهم ، فحملوا عليهم ، وثبت بعضُهم لبعْض ، ورايةُ قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع .

ثم انكشف أهل المدينةِ ، فلم يَتْبعوهم ، وكان على مُجنَّبتهم[1] ضميرُ بن صخر بن أبي الجَهْم بن حُذيفة ، فكرّ وكرّ الناسُ معه ، فقاتلوا قليلاً ، ثم انهزموا ، فلم يُبعدوا . حتى كرُّوا ثالثةً ، وقاتلهم أبو حمزة ، فهزمهم هزيمة لم تُبق منهم باقية ، فقال له عليّ بن الحُصَين : أتبعِ القوم . أو دَعْني أتبعهم ، فأقتلَ المدْبر ، وأُذَفِّف[2] على الجريح ، فإن هؤلاء شَرٌّ علينا من أهل الشام ، فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره ، فقال : لا أفعلُ ، ولا أُخالفُ سيرةَ أسلافِنا . وأُخِذ جماعةً منهم أُسَراء ، فأراد إطلاقهم ، فمنعه عليّ بن الحصين ، وقال له : إنَّ لأهل كُلِّ زمان سيرةً ، وهؤلاء لم يؤسَروا وهم هرَّاب ، وإنّما أُسِروا وهم يقاتلون ، ولو قُتِلوا في ذلك الوقت لم يحرُم قتلهُم ، وكذلك الآن قتلُهم حَلال ، فدَعا بهم ، فكان إذا رأى رجلاً من قريش قتله ، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه ، فأُتِيَ بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبه ، فقال : أنا رجل من الأنصار ، فسأل الأنصارَ عنه ، فشهدوا له ، فأطلقه ، فلمّا ولّى قال : واللهِ إنّي لأعلم أنّه قرشيّ وما حُذاوة[3] هذا حُذاوةَ أنصاريّ ، ولكن قد أطلقتُه .

قال : وبلغتْ قتلى قُدَيد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً ، منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلاً ، ومن الأنصار ثمانون ، ومن القبائل والموالي ألفٌ وسبعمائة ، قال : وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العُزّى أربعونَ رجلاً ، وقُتل يومئذٍ أُميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، خرج يومئذٍ مقنّعاً ، فما كلَّم أحداً ، وقاتل حتى قُتِل ، وقُتل يومئذٍ سُمَيّ مولى أبي بكر الذي يَروي عنه مالكُ بنُ أنس ، ودخل بلْجٌ المدينة بغير حرب ، فدخلوا في طاعته ، وكفّ عنهم ، ورجع أبو حمزةَ إلى مكّة ، وكان على شُرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة من بني عَدِيّ ، فكان أهل المدينة يقولون : لعن اللهُ السُّراقيّ ، ولعن بلْجاً العراقيّ .

[نائحة المدينة تبكي قتلى قديد]

وقالت نائحةُ أهل المدينة تبكيهم : [من مجزوء الكامل]

مـا للزمـان وما لِيَـهْ أفنـت قُدَيْـدُ رِجالِيَهْ

1 ل : حاميتهم .

2 أذفف : أجهز .

3 حذاوة : شبه .

فلأبكِيَــنَّ سَرِيــرَةً ولأبكــينَّ عــلانِيَهْ
ولأبكيَــنَّ إذا خلــو تُ مع الكلاب العاوِيَهْ
ولأثنــينَّ عــلى قُدَيْــ ـدَ بسوء مـا أبلانِيَهْ

في هذه الأبيات هزَج قديم يشبه أن يكون لطُوَيس أو بعض طبقته .

[عمرو بن الحسن يذكر وقعة قديد]

وقال عمرو بن الحسن الكوفيّ مولى بني تميم يذكر وقعة قُديد وأَمرَ مكّة ودخولهم إيّاها ، وأنشدنيها الأخفش عن السُّكريّ والأحول وثعلب لعمرٍ وهذا ، وكان يستجيدُها ويُفضِّلُها : [من الكامل]

مـا بالُ همِّك ليسَ عنك بعازبِ يَمري سوابقَ دمعِك المتساكبِ
وتبيتُ تَكتلِــىء النجـومَ بمقلةٍ عبْرى تُسَرّ بكـلِّ نجـمٍ دائبِ
حـذرَ المنيّـةِ أن تَجـيء بداهةً لم أَقضِ مـن تَبـع الشُّراةِ مآربي
فأقودُ فيهـم للعِـدا شَنِجَ النّسا عَبْلَ الشَّوى أسوان ضمر الحالِبِ[1]
متحـدِّراً كالسيِّد أخلصَ لونَـه ماءُ الحسيك مع الحِلال اللاّتِبِ[2]
أرمي بـه من جَمْع قومي مَعْشراً بُـورا إلى جَبْرِيّـةٍ ومَعـايبِ
في فِتيـةٍ صُبُرٍ أَلُفَّهُـمُ بـه لَفَّ القداح يَدَ المُفيض الضاربِ
فندور نحـنُ وهُـم وفيمـا بيننا كأسُ المَنونِ تقول : هلْ من شاربِ
فنظلُّ نسقيهم ونشرَب مـن قَنًا سُمْرٍ ومُرهفةِ النُّصولِ قواضبِ
بينا كذلكَ نحـنُ جالـتْ طعنةٌ نجلاءُ بـينَ رُهائـب وترائبِ[3]
جوفـاءُ منهَـرةٌ تـرى تامورَها ظُبَتَـا سِنانٍ كالشِّهابِ الثاقبِ[4]
أهوى لهـا شِقّ الشِّمال كأنّنـي حَفَضٌ لقًى تحتَ العَجاج العاصبِ
يـا ربّ أوجبهـا ولا تتعلَّقَـنْ نفسي المنـون لَدى أكُفٍّ قرائبِ

---

1 شنج النسا : لم تسترخ رجلاه . وعبل الشوّى : ضخم الأطراف .

2 اللاتب : اللازق مثل اللازب .

3 لعلّ رهائب جمع رُهابة وهي عُظيم في الصدر مشرف على البطن وقد ورد جمعها في لسان العرب على رِهاب .

4 منهرة : واسعة . وتامور : الدم وله معنى الخمر والإبريق .

كَم من أُولى ثِقــةٍ صحبْتُهم شَرَوْا فخذلتُهمْ ولبئسَ فعلُ الصاحبِ
متأوِّهـــين كأنّ في أَجْوافِهـــم نــاراً تُسعِّرهــا أَكُفٌّ حَواطبِ
تَلقاهمُ فتراهــمُ مــنْ راكــعٍ أو ساجــدٍ متضــرّعٍ أو ناحبِ
يتلو قــوارعَ تمتري عَبراتِــه فيجودُهــا مــرْيَ المــريّ الحالبِ
سُيُرٍ لجائفــة الأُمــورِ أطبَّــةٌ للصَّدع ذي النبأ الجليــل مدائبِ
ومُبرّئــينَ مــن المعايبِ أحرزوا خُصَــل المكــارم أتْقياء أطايبِ
عَــرّوْا صَوارمَ للجلاد وباشَروا حــدَّ الظبــاةِ بآنُفٍ وحواجبِ
ناطــوا أُمورَهُــم بأَمْرِ أخٍ لهــم فرمى بهــم لَقَمَ الطريقِ اللاحبِ[1]
مُتسربلِي حَلَــق الحديــدِ كأنّهم أُسْدٌ على لُحْق البطون سلاهبِ[2]
قِيدت مِن اعلى حضرموتَ فلم تزل تَنفــي عداهــا جانبــاً عن جانبِ
تحمــي أعنّتَهــا وتحــوي نَهْبَها للهِ أكـــــرمُ فتيـــةٍ وأشائبِ
حتى وردنَ حِياضَ مكّــة قُطَّنا يحكِــينَ واردةَ اليمام القاربِ[3]
مــا إن أتــينَ على أخــي جَبْريةٍ إلاّ تركنَهــــمُ كأمسِ الذاهبِ
في كلّ معترَكٍ لهــا مــن هامهم فِلَــقٌ وأيــدٍ عُلِّقــتْ بمناكبِ
سائلْ بيوم قُدَيــدَ عــن وقعاتها تُخبرْك عــن وقعاتِهــا بعجائبِ

[خطبة أبي حمزة في أهل المدينة]

وقال هارونُ بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبريّ عن العبّاس بن عيسى عنه : ثم دخل أبو حمزة المدينةَ سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام ، فرقيَ المِنبرَ ، فحمد الله ، وأثنى عليه : وقال : يا أهل المدينة ، سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء ، فأسأتم ، لعمرُ الله ، فيهم القولَ ، وسألناكم : هل يَقتلون بالظّن ؟ فقلتم : نعم ، وسألناكم : هل يستحلّون المال الحرام والفرْجَ الحرامَ ؟ فقلتم : نعم ، فقلنا لكم : تعالَوا نحن وأنتُم ، فنناشدهم اللهَ أن يتنحّوا عنّا وعنكم ، ليختار المسلمونَ لأنفسهم ؛ فقلتُم : لا تفعلون ،

1 لَقَم الطريق : وسطه .
2 السلهب من الخيل : ما طالت عظامه .
3 القارب : طالب الماء ليلاً

فقلنا لكم : تعالَوا نحن وأنتم نلقاهم ، فإن نظهرْ نحنُ وأنتم نأتِ بمَن يقيمُ فينا كتابَ الله وسنَّةَ نبيه ، وإن نَظفَر نعدلْ في أحكامكم ، ونَحملُكم على سنّة نبيكم ، ونقسِم فيئكم بينكم ، فإن أبيتُم ، وقاتلتمونا دونَهم ، فقاتلناكم ، فأبعدكم الله ، وأسحقكم يا أهل المدينة ، مررتُ بكم في زمان الأحول هِشامِ بن عبد الملك ، وقد أصابتْكم عاهةٌ في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجَكُم عنكم ، فكتب بوضعها عنكمُ ، فزاد الغَنيّ غِنًى ، وزاد الفقير فقراً ، فقلتُم : جزاكم الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً ، ولا جزاكم .

[خطبة أخرى جامعة مانعة]

قال هارون : وأخبرني يَحيى بنُ زكريّا : أنّ أبا حمزة خَطب بهذه الخُطبة : رقِي المِنبَر ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، وقال : أتعلمونَ يا أهلَ المدينة ، أنّا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشَراً ولا بَطراً ولا عَبثاً ولا لهْواً . ولا لدولة مُلك نُريد أن نخوضَ فيه ، ولا ثأرٍ قديم نِيلَ منّا ، ولكنّا لمّا رأينا مصابيحَ الحقِّ قد عُطِّلت ، وعُنِّف القائل بالحقّ ، وقُتِل القائمُ بالقِسط ، ضاقتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وسَمِعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحُكم القرآن ، فأجَبْنا داعيَ الله ﴿ومَن لا يُجِب داعيَ اللهِ فليس بمُعجزٍ في الأرض﴾[1] فأقبلْنا من قبائِلَ شتّى ، النفَرُ منّا على بعير واحد ، عليه زادُهم وأنفسُهم ، يتعاورُون لِحافاً واحداً ، قليلُون مستضعَفون في الأرض ، فآوانا الله ، وأيَّدَنا بنصره ، وأصبحنا ، واللهِ ، بنعمتِه إخواناً ، ثم لقِينا رجالَكم بقُدَيْد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمنِ ، وحُكْم القرآن ودعَوْنا إلى طاعةِ الشيطان ، وحُكْم مَروان ، وآلِ مَرْوان ، شَتَّان ، لعمرُ الله ، ما بينَ الغَيّ والرُّشد ، ثم أقبلوا يُهْرعون ، ويَزِفُّون ، قد ضربَ الشيطانُ فيهم بِجِرانه ، وغَلَت بدمائهم مراجلُه ، وصَدَق عليهم ظَنُّه ، وأقبل أنصارُ الله عصائبَ وكتائب بكلِّ مهنَّد ذي رونَق ، فدارتْ رحانا واستدارت رحاهم ، بضربٍ يرتابُ منه المبطلون . وأنتم يا أهلَ المدينة ، إن تنصروا مروانَ وآل مَروان يُسْحِتْكم اللهُ بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشْفِ صدورَ قومٍ مُؤمنين ، يا أهل المدينة : إن أوَّلكم خيرُ أوّل ، وآخركم شرّ آخر ، يا أهل المدينة ، الناسُ منّا ونحن مِنهم إلاّ مشركاً عابدَ وَثن ، أو كافراً من أهل الكتاب ، أو إماماً جائراً ، يا أهل المدينة ، مَن زعم أنّ اللهَ تعالى كلَّف نفساً فوق طاقتِها ، أو سألها عمَّا لم يُؤتِها فهو لله عدوّ ، ولنا حَرْبٌ . يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضَها الله تعالى في

1 سورة الأحقاف ، الآية : 32 .

كتابه على القويِّ للضَّعيف فجاء التاسعُ ، وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعَها لنفسه مُكابِراً مُحارباً لربّه ، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فِعله ؟ يا أهل المدينة ، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ، قلتم : هم شباب أحداث ، وأعراب جفاة ، ويحكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحابُ رسول الله ﷺ ، إلاّ شباباً أحداثاً ! شَباب والله مكْتَهِلون في شَبابهم ، غَضِيضةٌ عن الشرِّ أعيُنهم ، ثقيلَةٌ عن الباطل أقدامُهم ، قد باعوا أنفساً تموتُ غداً بأنفسٍ لا تموتُ أبداً ، قد خَلطوا كَلالهم بكَلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيام نَهارهم ، مُنحنية أصلابُهم على أجزاء القرآن ، كلّما مرّوا بآيةِ خوفٍ شَهِقوا خوفاً من النّار ؛ وإذا مرّوا بآية شوقٍ شَهِقوا شوقاً إلى الجنّة ، فلمّا نظروا إلى السيوف قد أنضِيتْ ؛ وإلى الرِّماحِ قد أُشرِعَتْ وإلى السهام قد فُوِّقَتْ ؛ وأُرعدت الكتيبةُ بصواعِقِ الموت استخَفُّوا وعيد الكتيبةِ عند وعيد الله ، ولم يستَخِفّوا وعيدَ الله عند وعيد الكتيبة ؛ فَطُوبى لهم وحُسنُ مآب ! فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بَكى بِها صاحِبُها من خَشْيةِ الله ، وكم من يدٍ قد أُبينَتْ عن ساعدها طالما اعتمدَ عليها صاحبُها راكِعاً وساجداً . أقولُ قولي هذا ، وأستغفرُ اللهَ من تَقصيرنا ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلتُ وإليه أُنيب .

[مرتكب الكبيرة كافر]

قال هارون : وحدَّثني جدّي أبو عَلْقمة ، قال : سمعت أبا حَمزة على مِنبر النبيّ ﷺ يقولُ : «مَن زَنى فهو كافر» ، ومَن سَرَق فهو كافر ، ومَن شكَّ أنّه كافر فهو كافر : [من الكامل]

بَرِح الخفاءُ فأينَ ما بكَ يذهبُ

[خطبة له في أهل المدينة]

قال هارونُ : قال جدِّي : كان أبو حمزة قد أحسن السيرة في أهلِ المدينة ، حتى استمالَ الناسَ ، وسمع بعضُهم كلامَه في قوله : مَن زَنى فهو كافر ، قال هارون : قال جدِّي : وسمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهلَ المدينةِ ؛ ما لي رأيت رسمَ الدِّين فيكم عافياً ، وآثارَه دارِسَة ! لا تَقبلون عليه عِظَة ، ولا تفقَهون من أهلِه حُجَّة ، قد بَلِيتْ فيكم جِدَّتُه ، وانطمست عنكم سنّته ، ترونْ معروفه مُنكراً ، والمُنكرَ من غيرِه مَعروفاً ، إذا انكشفت لكم العِبَر ، وأُوضحتْ لكم النُّذُر ، عميتْ عنها أبصارُكم ، وصُمّت عنها أسماعكم ، ساهينَ في غَمرة ، لاهينَ في غَفْلة ، تَنْبسطُ قلوبُكم لِلْباطل إذا نُشِر ، وتنقبضُ عن الحقِّ إذا ذُكِر ، مستوحِشةً من العلم ، مستأنِسةً بالجهل ، كلّما وقعت عليها موعِظَةٌ زادَتْها

عن الحقِّ نفوراً ، تحمِلون منها في صدوركم كالحجارة أو أشدَّ قسوة من الحجارة ، أوَلم تَلِنْ لكتاب الله الذي لو أُنْزِلَ على جَبَل لرأيتَه خاشعاً مُتَصَدِّعاً من خَشيةِ الله ! يا أهلَ المدينةِ ، ما تُغني عنكم صحَّةُ أبدانِكم إذا سَقِمت قلوبُكم إن الله قد جعل لكلّ شيء غالباً يُقادُ له ، ويطيعُ أمرَه ، وجعل القلوبَ غالبةً على الأبدانِ ، فإذا مالت القلوبُ مَيلاً كانت الأبدانُ لها تَبَعاً ، وإنَّ القلوبَ لا تلين لأهلِها إلاّ بِصِحَّتها ، ولا يصحِّحُها إلاّ المعرفةُ باللهِ وقوّةُ النِّيّة ، ونفاذُ البصيرة . ولو استشعرتْ تقوى الله قلوبُكم لاستعملتْ بطاعة الله أبدانكم . يا أهلَ المدينة ، دارُكم دارُ الهِجرة ، ومَثْوى رسول الله ﷺ ، لمّا نَبَتْ به دارُه ، وضاق به قرارُه ، وآذاه الأعداءُ ، وتجهَّمَتْ له ، فَنَقله إلى قوم ، لعَمْري لم يكونوا أمثالكم ، مُتوازرين مع الحقِّ على الباطلِ ، ومختارين للآجلِ على العاجلِ ، يصبرون للضَّرّاء رجاءَ ثوابِها ، فنَصروا اللهَ ، وجاهدوا في سبيله ، وآوَوْا رسول الله ﷺ ، ونصروه ، واتّبعوا النورَ الذي أُنْزِل معه ، وآثروا اللهَ على أنفسهم ولو كانت بهم خَصاصَةٌ ، قال الله تعالى لهم ولأمثالِهم ولِمَن اهتدى بهُداهم : ﴿ومَن يوقَ شُحّ نفسِه فأولئك هم المفلحون﴾[1] وأنتم أبناؤهم ، ومَن بَقِي من خَلفهم ، تَتْركون أن تَقتَدوا بهم ، أو تأخذُوا بسنّتِهم ، عُمْي القلوب ، صُمّ الآذان ، اتّبعتُم الهوى ، فأرداكم عن الهُدى وأسْهاكم ، فلا مواعظُ القرآن تزجرُكُمْ فتزدَجروا ، ولا تعِظُكم فتعتَبروا ، ولا توقظكم فتَستيقظوا ، لبئس الخَلَفُ أنتم من قوم مَضَوْا قبلَكم ، ما سِرتُم بسيرتهم ، ولا حَفِظتم وصيتَهم ، ولا احتذيتُم مثالَهم ، لو شُقّت عنهم قبورُهم ، فعُرِضَت عليهم أعمالُكم لعَجِبوا كيف صُرِفَ العذابُ عنكم . قال : ثم لَعَن أقواماً .

[خطبة أخرى]

قال هارون : وحدَّثني داود بن عبد الله بن أبي الكِرام ، وأَخرَجَ إليَّ خطّ ابن فَضالة النحويّ بهذا الخبر : أنّ أبا حمزة بلغه أنّ أهلَ المدينة يَعيبون أصحابَه لحداثة أسنانهم ، وخفّة أحلامهم ، فبلَغه ذلك عنهم ؛ فصَعِد المِنبر ؛ وعليه كِساء غليظٌ ؛ وهو متنكّبٌ قوساً عربيّة فحمد الله ، وأثنى عليه وصلّى على نبيه ﷺ وآله ، ثم قال : يا أهلَ المدينة ، قد بلغتْني مقالتُكم في أصحابي ، ولولا معرفَتي بضعفِ رأيكم وقلّةِ عقولكم لأَحسنتُ أدبكم ، ويحكم ! إنّ رسول الله ﷺ أُنزِل عليه الكتابُ ، وبُيِّنَ له فيه السُّنَن ، وشرع له فيه الشرائع ، وبُيِّنَ له فيه ما

1 سورة الحشر ، الآية : 9 .

يأتي وما يذَر ، فلم يكن يتقدّمُ إلاّ بأَمر الله ، ولا يُحجم إلاّ عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه ، ﷺ ، وقد أَدَّى الذي عليه ، لم يدعْكم من أَمركم في شُبهة ، ثم قام من بعده أَبو بكر ؛ فأَخذ بسُنّته ، وقاتل أَهلَ الرِّدّة ؛ وشمّر في أَمر الله ؛ حتى قبضه الله إليه والأُمّة عنه راضُون ، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه ؛ ثم وَلِي بعده عُمر ، فأَخذ بسنّة صاحبَيْه ، وجنّد الأَجنادَ ؛ ومصَّر الأَمصارَ ؛ وَجَبى الفَيءِ ؛ فقسَّمه بين أَهله ؛ وشمَّر عن ساقه ، وحَسَر عن ذراعه ، وضرب في الخمر ثَمانين ، وقام في شهر رمضان ، وغزا العدُوَّ في بلادهم ؛ وفتح المدائنَ والحُصونَ ؛ حتى قَبضهُ الله إليه والأُمّة عنه راضُون ، رحمةُ الله عليه ورضوانُه ومغفرته ، ثم وَلي من بعده عُثمانُ بنُ عفّان فعَمِل في ستٍّ سنين بسُنّة صاحبيه ؛ ثم أَحدثَ أَحداثاً أَبطل آخرٌ منها أَوّلاً ، واضطرب حبلُ الدِّين بعدها ، فطلبها كلُّ امرىءٍ لنفسه ، وأَسرّ كلُّ رجل منهم سريرةً أَبداها الله عنه ؛ حتى مَضَوْا على ذلك ، ثم وَلِيَ عليّ بنُ أَبي طالب ، فلم يبلغ من الحقّ قَصْداً ؛ ولم يرفع له مناراً ومضى ؛ ثم وَلِي معاويةُ بنُ أَبي سفيان لعينُ رسول الله ﷺ وابنُ لعينه ، وجِلْف من الأعراب ، وبقيةٌ من الأحزاب ، مؤلَّف طليق ، فسفك الدمَ الحرامَ ، واتّخذ عباد الله خَوَلاً ، ومالَ اللهِ دُوَلا ، وبغى دينه عِوَجاً ودَغلاً[1] ، وأحلَّ الفرج الحرام ، وعَمِل بما يشتهيه ؛ حتى مَضى لسبيله ، فعل اللهُ به وفَعَل ، ثم ولي بعده ابنُه يزيدُ : يزيدُ الخمور ، ويزيدُ الصّقور ، ويزيدُ الفهود ، ويزيد الصَّيود ، ويزيدُ القُرود ، فخالف القرآنَ ، واتَّبع الكهَّان ، ونادم القِردَ ، وعَمِل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعَنَهُ الله ، وفعلَ به وفعلَ ، ثم وَلِيَ مروانُ بنُ الحكم طريدٌ لعينُ رسول الله ، ﷺ وآله ، وابنُ لعينه ؛ فاسقٌ في بطنه وفرْجِه ، فالعنُوه والعنُوا آباءه ثم تداولها بنو مروان بعده ؛ أَهلُ بيتِ اللعنة ، طُرَداءُ رسولِ الله ، ﷺ وآله ، وقومٌ من الطلقاء ليسوا من المهاجِرينَ والأنصارِ ولا التابعين لهم بإحسان ، فأَكلوا مالَ الله أَكلاً ، ولَعِبوا بدين الله لَعِباً ، واتَّخذوا عبادَ الله عبيداً ، يُورّث ذلك الأَكبرُ منهم الأَصغرَ . فيا لها أُمّةً ، ما أَضيعَها وأَضعفَها ! والحمد لله ربِّ العالمين ، ثم مَضَوا على ذلك من أَعمالهم واستخفافِهم بكتاب الله تعالى ؛ قد نَبذوه وراءَ ظهورهم ، لعنَهم الله ؛ فالعنوهم كما يستَحِقُّون ؛ وقد وَلي منهم عمرُ بن عبد العزيز ؛ فبلغ ؛ ولم يَكدْ ؛ وعجَزَ عن الذي أَظهرَه ، حتى مَضى لسبيلِه ، ولم يذكُرْه بِخَير ولا شرٍّ ، ثم وَلِيَ يزيدُ بنُ عبد الملك ، غلامٌ ضعيفٌ

1 دغلاً : فساداً .

سفيه غيرُ مأمونٍ على شيءٍ من أُمور المسلمين ، لم يبلغ أَشدَّه ، ولم يُؤانِسُ رُشدهُ ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿فإن آنسْتُم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أَموالَهم﴾[1] فأَمرُ أُمّة محمدٍ في أَحكامها وفروجها ودمائها أَعظمُ من ذلك كلِّه ، وإن كان ذلك عند الله عظيماً ، مأبونٌ في بطنه وفَرجه ، يشربُ الحرام ، ويأْكلُ الحرام ، ويلبسُ الحرامَ ، ويلبسُ بردتين قد حِيكَتا له ، وقُوِّمتا على أهلهما بأَلف دينار وأَكثر وأَقلّ ، قد أُخِذَتْ من غيرِ حِلّها وصُرِفتْ في غير وجهها ، بعد أَن ضُرِبتْ فيها الأَبشار[2] ، وحُلِقتْ فيها الأَشعار ، واستُحلَّ ما لم يُحلَّ اللهُ لعبدٍ صالح ، ولا لنبيّ مُرسَل ، ثم يُجلسُ حَبابة عنْ يمينه ، وسَلاّمة عن شِماله تُغنّيانه بمزامير الشَّيطانِ ، ويشربُ الخمر الصُّراح المحرمة نصّاً بعينها ، حتى إذا أَخذت مأخذَها فيه ، وخالطت روحَه ولحمُه ودَمه ، وغلبتْ سَوْرتُها على عَقله مزَّق حُلَّتَيْه ، ثم التفت إليهما فقال : أَتأْذنانِ لي أَن أَطيرَ ؟ نَعَم ، فَطِرْ إلى النارِ ، إلى لعنةِ الله وناره حيث لا يردُّك الله .

ثم ذكر بني أُميّة وأَعمالَهم وسيرَهم فقال : أَصابُوا إمرة ضائعةً وقوماً طَغاماً جُهَّالاً ، لا يقومون لله بحقّ ، ولا يفرّقون بين الضلالة والهُدى ، ويروْن أَنّ بني أُميّة أَربابٌ لهم ، فملكوا الأمرَ ، وتسلَّطوا فيه تسلُّطَ رُبوبيّة ، بطشُهم بطشُ الجبابرة ، يحكمون بالهَوى ، ويقتُلُون على الغضب ، ويأخُذون بالظنّ ، ويُعطِّلون الحدود بالشفاعات ، ويؤمِّنُون الخَونةَ ويُقْصُونَ ذَوي الأَمانةِ ، ويأخذون الصدقَةَ في غير وقتها على غير فَرضِها ، ويضعونَها في غيرِ موضِعها ، فتلك الفرقَةُ الحاكمةُ بغير ما أَنزل اللهُ ، فالعَنوهم ، لعنَهُم اللهُ !

وأَمّا إخوانُنا من هذه الشيعَة فليسوا بإخواننا في الدِّين ، لكن سمعتُ اللهَ عزَّ وجلَّ قال في كتابه : ﴿يا أيّها النّاسُ إنّا خلقناكم من ذَكر وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لتعارفُوا﴾[3] شيعةٌ ظاهرتْ بِكتاب الله ، وأَعلنت الفِريةَ على الله لا يرجِعون إلى نَظَر نافذٍ في القرآن ، ولا عقلٍ بالغ في الفِقه ، ولا تفتيشٍ عن حقيقةِ الصّواب ، قد قلّدوا أَمرهم أَهواءَهم ، وجعلوا دينَهم عصبيَّة لحزبٍ لزموه ، وأَطاعوه في جميع ما يقوله لهم ، غَيّاً كان أَو رُشداً ، أَو ضَلالةً أَو هُدًى ، ينتظرون الدُّوَل في رَجْعةِ الموتى ، ويؤمنونَ بالبعث قبلَ الساعةِ ، ويدّعون عِلم الغيب

1 سورة النساء ، الآية : 6 .

2 الأبشار : الجلود .

3 سورة الحجرات ، الآية : 13 .

لمخلوق ، لا يعلم أحدُهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبُه أو يحويه جسمه ، يَنقمون المعاصيَ على أهلها ، ويُعلَمُون إذا ظهروا بها ، ولا يعرفون المخرجَ مِنها ، جُفاة في الدِّين ، قليلةٌ عقولُهم ، قد قلّدوا أهل بيتٍ من العرب دينَهم ، وزعموا أنَّ موالاتِهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنجيهم من عِقاب الأعمال السيئة ﴿قاتلهم الله أنّى يُؤفكون﴾[1] فأيّ هؤلاء الفِرق يا أهل المدينة تَتْبعون ؟ أو بأيّ مذاهِبهم تَقتَدون ؟ وقد بلغني مقالَتُكم في أصحابي ، وما عبتموه من حَداثة أسنانهم ، ويحكمُ ! وهل كان أصحابُ رسول الله ، ﷺ وآله ، المذكورون في الخَير إلاّ أحداثاً شَباباً . شبابٌ والله مكتهلون في شبابهم ، غَضيضَةٌ عن الشرّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أنضاءُ عبادة قد[2] نظر اللهُ إليهم في جَوْف الليل مُنحنِيةً أصلابُهم على أجزاءِ القرآن ، كلّما مرَّ أحدُهم بآية من ذكر الجنّة بكى شَوقاً ، وكلّما مَرَّ بآية من ذكر النّار شَهِق خوفاً ، كأنّ زفيرَ جهنَّمَ بين أذُنيه ، قد أكلت الأرضُ جباهَهم ورُكَبهم ، ووصلوا كَلالَ الليل بكلال النّهار مصفرَّةً ألوانُهم ، ناحلةً أجسمُهم من طول القيامِ وكثرة الصيامِ ، أنضاءُ عبادةٍ ، مُوفُون بعهد الله ، مُنْتَجِزُون لوعد الله ، وقد شَرَوْا أنفسهم ، حتى إذا التقت الكتيبتانِ وأبرقت سُيوفُها وفُوّقت[3] سِهامُها ، وأُشرِعَتْ رماحُها لقُوا شَبا الأسنّة ، وشائكَ السهام ، وظُباةِ السيوفِ بنُحورهم ووُجوههم وصُدورهم ، فمضى الشابُّ منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، واختضَبَتْ محاسنُ وجهِه بالدِّماء ، وعُفِّر جبينُه بالثّرى ، وانحطَّتْ عليه الطير من السماء ، وتمزقتْه سباعُ الأرض ، فكم من عين في مِنقار طائر ، طالما بكى بها صاحبُها في جَوْفِ الليل من خوف الله ! وكم من وجهٍ رقيق وجَبين عتيق قد فُلِق بعَمَد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فِراق الإخوان ! رحمةُ الله على تلك الأبدان ، وأدخل الله أرواحَهم الجِنان .

[مروان يغزوهم]

قال هارون : بلغني أنّه بايعه بالمدينة ناسٌ منهم إنسان هُذَليّ ، وإنسان سُراقي وبشكسْتُ الذي كان معلمَ النحو ، ثم خرج ، وخلَّف بالمدينة بعضَ أصحابه ، فسار حتى نزل الوادي ، وكان مروان قد بعثَ ابن عطيّة .

---

1 سورة التوبة ، الآية : 30 .

2 بهم نحافة وهزال من العبادة ، والنضو في الأصل : البعير المهزول .

3 الفوق : موضع السهم من الوتر .

قال هارون : حدَّثني أبو يحيى الزُّهْريّ أنّ مروانَ انتخَبَ من عسكره أربعةَ آلاف استعمل عليهم ابن عطيّة ، فأمره بالجدّ في السير ، وأعطى كلَّ رجل من أصحابه مائةَ دينار وفرساً عربيّاً ، وبَغلاً لثِقله ، وأمره أن يَمضي ، فيقاتِلَهم .

[يتفاءل بغلام]

وقال المدائنيّ : بعث عبد الملك بن عطيّة السعديّ ، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلافٍ ، معه فرسانٌ من أهل الشام ووجوهِهم ، منهم شُعَيب البارقيّ ، وروميّ بن ماعز المُرّي ، وقيل : بل هو كِلابيّ ، وفيهم ألفٌ من أهل الجزيرة ، وشَرطوا على مروانَ أنّهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه ، رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز ، فأجابهم إلى ذلك ؛ قالوا : فخرج ؛ حتى إذا نزل بالمعَلّى . فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له : العلاء بن أفلح مولى أبي الغَيْث يقول : لقِيَني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطيّة ؛ فسألني : ما اسمك يا غلام ؟ فقلت : العلاء ، فقال : ابنُ مَن ؟ فقلت : ابنُ أفلح ، قال : أعربيٌّ أم مولى ؟ قلت : بل مولى ، قال : مولى مَن . قلت : مولى أبي الغَيْث ، قال : فأينَ نحنُ ؟ قلتُ : بالمعلّى ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلتُ : بغالبٍ ، قال : فما كلّمني ، حتى أردفَني خلفَه ، ثم مضى بي ، حتى أدْخَلَني على ابن عطيّة ، فقال : سَل هذا الغلام : ما اسمه ؟ فسألني ، فرددت عليه القولَ الذي قلت ، فسُرَّ بذلك ؛ ووهب لي دراهم .

[أبو صخر الهذليّ يستبشر بابن عطيّة]

وقال أبو صخر الذهليّ حين بلغه قدوم ابن عطيّة : [من الرجز]

قُل للذين استُضعِفوا لا تعجَلوا أتـاكُم النصرُ وجيشٌ جَحْفَلُ
عشرونَ ألفـاً كلّهـم مُسربَلٌ يقدُمهم جَلْد القُوى مُستَبسِلُ
دونَكـمُ ذا يَمـنٍ فأقبِلُـوا وواجهوا القومَ ولا تستَخْجِلوا
عبدُ المليـكِ القُلَّبِـيُّ الحُوّلُ أقسمَ لا يُفْـلى ولا يُـرَجَّلُ
حتـى يبيدَ الأعـورُ المضلّل ويقتـلَ الصَّبّـاح والمفضَّلُ

الأعورُ عبد الله بن يَحيى رئيسُهم .

[ابن عطيّة ينتصر على بلج]

قال المدائنيّ عن رجاله : وبعثَ أبو حمزةَ بلجَ بن عقبة في ستّمائة رجل ليقاتلَ عبدَ الملك بنَ

عطيّة ، فلقيه بوادي القُرى لأيّام خلتْ من جُمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا ، ودعاهم بلْجٌ إلى الكتاب والسنّة ، وذكَر بني أُميّة وظُلمَهم ، فشتَمهم أهلُ الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداء الله أحقّ بهذا ممّن ذكرتُم وقلتم ، فحمل عليهم بلْجٌ وأصحابُه ، فانكشف طائفة من أهل الشام ، وثبت ابن عطيّة في عصبةٍ صبروا معه ، ونادى يا أهلَ الشام يا أهلَ الحِفاظ ناضِلوا عن دينكم وأميرِكم ، فكرُّوا ، وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قِتالاً شديداً ، فقُتِل بلْجٌ وأكثرُ أصحابه ، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به ، فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثةَ أيّام فقتَلَ منهم سبعين رجلاً ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبي حمزة ، ونصب ابنُ عطيّة رأسَ بلْجٍ على رُمحٍ ، قال : واغتمّ الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القُرى إلى المدينة ، وهم الثلاثون ، ورجعوا وجزعوا من انهزامهم ، وقالوا : ما فررنا من الزَّحف ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأنا لكم فِئَة وإليّ انصرفتم .

[أهل المدينة ينقضون على الخوارج]

قال المدائنيّ : وخرج أبو حمزةَ من المدينة إلى مكّة ، واستخلف رجلاً يقال له : المفضّل عليها ، فدعا عمرُ بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطّاب الناسَ إلى قتالهم ، فلم يجد كبيرَ أمرٍ ؛ لأنّ القتل قد كان شاع في النّاس ، وخرج وجُوه أهل البلدِ عنه ؛ فاجتمع إلى عمرَ البربرُ والزّنجُ وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشُّراة ؛ فقُتِل المفضَّلَ وعامةُ أصحابه ؛ وهرب الباقون ؛ فلم يبق في المدينة منهم أحد ؛ فقال في ذلك سُهيْل أبو البيضاء مولى زينب بنتِ الحكم بن العاصي : [من مجزوء الرمل]

ليت مروانَ رآنا يوم الاثنين عَشِيَّهْ
إذ غسلنا العارَ عنّا وانتضيْنا المَشْرَفِيّهْ

قال : فلمّا قدِم ابنُ عطيّة المدينةَ أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أسيد ؛ فقال له : أصلحك اللهُ ! إنّي جمعتُ قَضّي وقَضيضي[1] ؛ فقاتلت هؤلاء ؛ فقتلنا مَن امتنعَ من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقين ، فلقيه أهل المدينة بقَضّهم وقضيضِهم .

[مصرع أبي حمزة وزوجته]

قال : وأقام ابنُ عطيّةَ بالمدينة شهراً ؛ وأبو حمزة مقيم بمكّة ؛ ثم توجَّه إليه فقال له عليّ بنُ

---

1 مثل : يقال إذا جاء القوم كلهم «جاءوا قضهم بقضيضهم» ، فصل المقال 198 .

حُصين العنبريّ : إنّي قد كنت أشرتُ عليك يوم قُدَيد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلّهم ، فلم تفعل ، وعرّفتُك أنّهم سيغدِرون فلم تقبل ؛ حتى قتلوا المفضّل وأصحابنا المقيمين بالمدينة ؛ وأنا أشيرُ عليك اليومَ أن تضع السيفَ في هؤلاء ؛ فإنّهم كَفَرة فجرَة ؛ ولَو قدِم عليك ابن عطيّة لكانوا أشدَّ عليك منه ؛ فقال : لا أرى ذلك ؛ لأنّهم قد دخلوا في الطاعة ؛ وأقروا بالحكْم ؛ ووَجب لهم حقُّ الولاية ؛ قال : إنّهم سيغدِرون ؛ فقال : أبعدهم اللهُ ، ﴿فمن نكثَ فإنّما ينكُث على نفسِهِ﴾[1] . قال : وقَدِم عبد الملك بن عطيّة مكّةَ ، فصيّر أصحابه فِرقتين ، ولقيَ الخوارجَ من وجهين ؛ فصيّر طائفةً بالأبطح ؛ وصار هو في الطائفةِ الأخرى بإزاء أبي حمزة ؛ فصار أبو حمزة أسفلَ مكّة ؛ وصيّر أبرهةَ بن الصَّبّاح بالأبطح في ثمانين فارساً ، فقاتلهم أبرهة : فانهزم أهل الشام إلى عَقَبة مِنى ؛ فوقفوا عليها ؛ ثم كرُّوا ؛ وقاتلهم ؛ فقُتل أبرهةُ : كمَن له هبَّار القُرشيّ ؛ وهو على خيل دمشق عندَ بئر ميمون ؛ فقتله ؛ وتَفرّق الخوارجُ ؛ وتَبعهم أهلُ الشام يقتلونهم ؛ حتى دخلوا المسجد ، والتقى أبو حمزة وابن عطيّة بأسفل مكّة ؛ فخرج أهل مكّة مع ابن عطيّة ؛ فقُتِل أبو حمزة على فَم الشِّعب وقُتِلتْ معه امرأته ؛ وهي ترتجز وتقول : [من الرجز]

أنا الجُعَيداءُ وَبنتُ الأعلمْ ... من سال عن إسميَ فإسمي مَريمْ

بعتُ سِواريّ بسيفٍ مِخذَمْ[2]

[صلب أبي حمزة وأبرهة]

قال : وتَفرّقتِ الخوارجُ فأسر أهلُ الشام منهم أربعمائة ؛ فدَعا بهم ابنُ عطيّة ؛ فقال : ويلكم ! ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ قالوا : ضمن لنا الكَنّة : يريدون الجَنَّة ، وهي لغتُهم ، فقتلهم ، وصلَبَ أبا حمزة وأبرهةَ بنَ الصباح ورجلَين من أصحابهم على فَمِ الشّعب : شِعب الخَيْف ، ودخل علي بن الحصين داراً من دُور قريش ، فأحدق أهل الشام بالدّار فأحرقوها ، فلمّا رأى ذلك رمى بنفسه من الدار ، فقاتلَهم وأُسِر فقُتِل ، وصُلِب مع أبي حمزة ، ولم يزالوا مصلَّبين حتى أفضى الأمرُ إلى بني العبّاس ، وحجَّ مهلهِل الهُجَيميّ في خلافة أبي العبّاس ، فأنزل أبا حمزة ليلاً ، فدفنه ، ودفن خشبته .

1 سورة الفتح ، الآية : 10 .

2 مخذم : قاطع .

[مصرع مخنثين]

قال المدائنيّ : وكان بمكّة مُخَنَّثان ، يقال لأحدهما : سبكت ، وللآخر : صَقرة ، فكان صقرة يرجُف بأهل الشام ، وكان سبكت يرجُف بالإباضية ، فعرف الخوارجُ أمرهما ، فوجّهوا إلى سبكت ، فأخذوه فقتلوه ، فقال صقرة : يا ويله هو والله أيضاً مقتول ، وإنّما كنتُ أنا وسبكت نتكايد ونتكاذَب ، فقتلوه ، وغداً يجيء أهل الشام ، فيقتلونَني ، فلمّا دخل ابنُ عطيّة مكّة عرف خبرَهما ، فأخذ صقْرةَ ، فقتله .

[مذهب ابن عطيّة]

وقال هارون في خبره : أخبرني عبد الملك بنُ الماجِشون ، قال : لمّا التقى أبو حمزة وابن عطيّة قال أبو حمزة : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم : ما تقولون في القرآن والعملِ به ؟ فصاح ابن عطيّة : نضعه في جرف الجوالق[1] ، قال : فما تقولونَ في مال اليتيم ؟ قال : نأكل ماله ؛ ونفجُر بأمّه ، [ثم أجاب] في أشياء بلغني أنّه سأله عنها ؛ فلمّا سمعوا كلامَهم قاتلوهم ؛ حتى أمسَوا ؛ فصاحت الشُّراةُ : ويحك ، يا ابن عطيّة ! إنّ الله ، جلَّ وعزَّ ، قد جعل الليلَ سكَناً ؛ فاسكن ونسكن ؛ فأبى وقاتَلهم ؛ حتى قتلَهم جميعاً .

[أهل المدينة يجهزون على من بقي منهم]

قال هارون : أخبرني موسى بن كَثير أنّ أبا حمزة خطب أهلَ المدينة ؛ وودَّعهم ؛ ليخرجَ إلى الحرب ؛ فقال : يا أهل المدينة ؛ إنّا خارجون لحرْب مرْوان ؛ فإن نظهرْ نعدِلْ في أحكامكم ؛ ونحمِلْكم على سنّةِ نبيكم ، ونقسِم بينكم ، وإن يكن ما تَمنَّوْن لنا فسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبون ، قال : ووثب الناسُ على أصحابه حين جاءهم قتلُه ، فقتلوهم ، فكان بشكسْت ممّن قُتلوا ، طلبوه فرقى في درجة كانت في دار أُذينة ، فلحقوه فأنزلوه منها ، وهو يصيح : يا عباد الله ، فيم تقتلونني ؟

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا : [من المتقارب]

لقد كان بشكسْتُ عبد العزيز ... مـنَ اهـل القراءةِ والمسجدِ
فبُعداً لبشكسْتِ عبـد العزيز ... وأمّا القُـرانُ فـلا يَبعدِ

1 الجوالق : الوعاء .

[القتل للشاري والشامي معاً]

قال هارون : وأخبرني بعض أصحابنا أنّه رأى رجلاً واقفاً على سطح يرمي بالحجارة فقيل : ويلَك ! أتدري مَن ترمي مع اختلاط النّاس ؟ قال : والله ما أُبالي مَن رميت ؟ إنّما هو شامٍ وشارٍ ، والله ما أُبالي أيُّهما قتلتُ !

[مصرع طالب الحق]

وقال المدائنيّ : لمّا قَتَلَ ابنُ عطيّة أبا حمزة بعث برأسه مع عُروة بن زيد بن عطيّة إلى مَروانَ ، وخرج إلى الطائف ، فأقام بها شهرين ، وتزوّج بنتَ محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفيّ ؛ واستعمل على مكّة روميَّ بنَ عامر المُرّي . وأتى فَلُّ أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء . فأقبل معه أصحابُه . وقد لقّبوه طالبَ الحقّ ، يريد قتالَ ابنِ عطيّة ، وبلغ ابنَ عطيّةَ خبرُه ، فشَخَصَ إليـه ، فالتقـوا بكسة ، فأكثر أهل الشام القتلَ فيهم ، وأخذوا أثقالهم وأموالَهـم ، وتشاغلوا بالنَّهب ، فركِب عبد الله بن يحيى فكشفهم ، فقتَل منهم نحو مائة رجل ، وقتلَ قائداً من قوّادهم يقال له : يزيد بن حَمل القُشَيريّ من أهل قِنِّسْرين ، فذمرهم[1] ابن عطيّة ، فكرُّوا ، وانضـمّ بعضهم إلى بعض . وقاتلـوا حتى أمسَوْا ، فكفَّ بعضُهم عن بعض ، ثم التَقوْا من غد في موضع كثيرِ الشجر والكَرْم والحيطان ، فطال القتالُ بينهم ، واستحرّ القتلُ في الشُّراة ، فترجَّل عبدُ الله بنُ يحيى في ألف فارس ؛ فقاتلوا ، حتى قُتِلوا جميعاً عن آخرهم ؛ وانهزم الباقون ؛ فتفرّقوا في كلّ وجه . ولَحِق مَن نجا منهم بصنعاء ؛ وولّوا عليهم حمامة فقال أبو صخر الهُذَليّ : [من الطويل]

قتلنا دُعيساً والذي يكتَني الكُنى ... أبا حمزة الغاوي المضلَّ اليَمانيا

وأبرهةَ الكِنديَّ خاضتْ رماحُنا ... وبلْجاً صبحناه الحُتوفَ القَواضيا

وَما تركت أسيافُنا منذ جُرِّدَتْ ... لمـروانَ جبّاراً على الأرض عاديا

[مطولة في رثاء الشراة]

قال المدائنيّ : وبَعث عبدُ الملك بن عطيّة رأسَ عبدِ الله بن يحيى مع ابنه يزيدَ بنِ عبد الملك إلى مروان . وقال عمرو بن الحصين ، ويقال : الحسن العنبريّ ، مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة . وهذه القصيدة التي في أوّلها الغناء المذكور أوّل هذه الأخبار : [من الكامل]

---

1 ذمرهم : عنّفهم .

هبّتْ قُبيلَ تبلُّج الفجرِ هنـدٌ تقـول وَدمْعها يَجري
أن أبصرتْ عينـي مَدامعهـا ينهـلّ واكِفُهـا عـلى النَّحرِ
أنّى اعتراكَ وكنتَ عهديَ لا سَرِبَ الدّموع وكنتَ ذا صبْرِ
أقـذًى بعينـك مـا يُفارقها أم عائـرٌ أم ما لهـا تُذرِي[1]
أم ذِكرُ أخوان فُجِعتَ بهـم سلكـوا سبيلَهُـمُ عـلى خُبْرِ
فأجبتُها بـل ذكـرُ مصرَعِهم لا غيرُه عبراتُهـا تَمـرِي
يـا ربِّ أسلِكنـي سَبيلَهمُ ذا العرش واشْدُد بالتُّقى أزرِي
في فِتيـةٍ صبروا نفوسَهـمُ للمشرفيّة والقَنـا السُّمْرِ
تاللهِ ألقـى الدَّهـرَ مثلَهـمُ حتـى أكـونَ رهينـةَ القَبرِ
أوفـى بذمّتهـم إذا عَقَـدُوا وأعِـفّ عنـد العُسر واليُسرِ
متأهِّلـينَ لكـلِّ صالحـةٍ ناهـين مَـنْ لاقَوْا عن النُّكْرِ
صُمتٌ إذا احتضروا مجالِسَهم وُزُن لقـول خَطيبهـم وُقْرِ
إلاّ تجيبهـمُ فإنّهـمُ رُجُف القلوب بحضْرة الذُّكْرِ
متأوِّهـون كأنّ جمـرَ غَضاً للخوف بين ضلوعِهم يَسري
تلقاهـمُ إلاّ كأنّهـمُ لخشوعهم صَدَروا عن الحَشْرِ
فهمُ كأنَّ بهم جَـوى مرضٍ أو مسَّهمْ طَـرْفٌ من السِّحْرِ
لا ليلُهـم ليـلٌ فيلبَسُهـم فيـه غَواشي النـومِ بالسُّكْرِ
إلاّ كـذا خُلساً وآونـةً حذرَ العقابِ وهم على ذُعْرِ
كم من أخٍ لك قد فُجعتَ بـه قـوّامُ ليلتِـه إلى الفَجْرِ
متـأوِّهٍ يتلـو قـوارعَ مِـن آي القُـرانِ مفـزَّع الصَّدْرِ
نَصِبٍ تَجيشُ بنـاتُ مُهجته بالموتِ جَيْش مُشاشةِ القِدْرِ[2]
ظمـآن وقـدة كلِّ هاجرةٍ تَـرّاكُ لذَّتـه عـلى قَدْرِ

1 عائر: ما أعل العين كالعوار.

2 مشاشة القدر: العظم الهش في أطراف المفاصل.

ترّاك مـــا تهوى النفوسُ إذا رُغَبُ النفوسِ دَعتْ إلى النَّذْرِ

ومبــرّأ مـــن كلِّ سَيئـــةٍ عـــفٌ الهوى ذي مِرّة شَزْرِ[1]

والمصطلي بـــالحربِ يسعَرُها بغبارهـــا وبِفتيـــةٍ سُعْـــرِ

يجتاحها بأفـــلّ ذي شُطَبٍ عضبِ المضاربِ قاطعِ البَتْرِ[2]

لا شيءَ يلقـــاه أسرَّ لـــه مـــن طعنـــةٍ في ثُغْرةِ النَّحرِ

نجـــلاء مُنهَـــرة تَجيشُ بما كانت عواصي جَوفِه تَجري

كخليلـــكَ المختـــارِ أُذْكِ بـــه مـــن مقتـــدٍ في الله أو مُشْرِ

خـــوّاض غمـــرةِ كلِّ مَتلفة في الله تحـــت العِثْيَرِ الكُدْرِ[3]

ترّاك ذي النَّخوات مُختَضِباً بنجيعـــه بالطَّعنـــة الشَّزْرِ

وابن الحصين وهـــل لـــه شَبَهٌ في العرفِ أنَّى كان والنُّكْرِ

بسَّامـــةٍ لم تُحـــنَ أضلُعـــه لـــذوي أُخَوَّتـــه عـــلى غِمْرِ

طلـــق اللسانِ بكلِّ مُحكمة رآبُ صدع العَظم ذِي الوقْرِ

لم ينفكـــك في جوفـــه حَزَنٌ تغـــلي حرارتُـــه وتستَشْري

ترقـــى وآونـــةً يُخفِّضُهـــا بتنفّس الصُّعَـــداء والـــزَّفْرِ

ومُخالطـــي بَلْـــجٍ وخَالصتي سُمُّ العـــدوِّ وجابـــر الكَسْرِ

نِكْلِ الخصومِ إذا هُمُ شَغِبوا وسِداد ثَلمـــة عـــورة الثَّغْرِ

والخائضُ الغمراتِ يخطِـــر في وسط الأَعـــادي أيّما خَطْرِ

بمشطَّـــبٍ أو غير ذي شُطَب هـــامَ العِـــدا بِذُبابِـــهِ يَفْري

وأَخيكَ أَبرهةَ الهجان أَخي الْـ ـحَرب العَـــوانِ مُلقِّحِ الجَمْرِ

بمُرِشَّةٍ فَـــرْعٍ تَثُـــجُّ دَمـــاً ثـــجَّ الغويِّ سُلافَـــةَ الخَمْرِ

والضارب الأخدودِ ليس لهـــا حَـــدٌّ ينهنهـــا عـــن السَّحْرِ

---

1 الشّزر : من الفتل وتعني القوة والشدة .

2 العضب : القاطع .

3 العثير : الغبار .

وولِيُّ حكمهـم فجِعتُ بـه ... عمرو فَواكَبِـدي على عَمرِو
قَـوّالُ مُحكَمَـةٍ وذي فَهَمٍ ... عَـفٌ الهـوى متثبّتِ الأمْرِ
ومسيَّبٍ فاذكُـرْ وصيّتَـه ... لا تنسَ إمّـا كنتَ ذا ذُكْرِ
فكلاهُمـا قـد كان مُحْتَسِباً ... للهِ ذا تقـوى وذا بِـرٍّ
في مُخْبِتِـين ولم أُسمّهـمُ ... كانوا يدي وهمُ أُولو نَصري
وهمُ مساعرُ في الوَغـى رُجُحٌ ... وخِيارُ مَن يَمشي على العَفْرِ[1]
حتى وَفَـوْا لله حيث لَقُوا ... بعهـودِ لا كذبٍ ولا غَدْرِ
فتخالَسوا مُهجـاتِ أَنفسهم ... وعُداتهـم بقواضـبٍ بُتْـرِ
وأَسنَّـةٍ أُثْبِتْـن في لُـدُنٍ ... خَطِّيـةً بأكفّهـم زُهْـرِ
تحتَ العَجاج وفوقَهم خِرَقٌ ... يخفِقْنَ مـن سُودٍ ومن حُمْرِ
فتفرّجـتْ عنهـم كَاتُهُـمُ ... لم يُغمِضوا عينـاً على وِتْرِ
فشعارُهـم نِيـرانُ حربِهـمُ ... مـا بين أَعلى الشَّحْر فالحِجْرِ[2]
صرعـى فَحاجِلَـةٌ تنوشُهُم ... وخَوامِعٌ لُحمانَهـمْ تَـفْري[3]

[ابن عطية يتوجّه إلى صنعاء]

قال المدائنيّ : وكتب مروانُ إلى ابن عطيّة يأمره بالمسير إلى صنعاء ، ليقاتل مَن بها من الخوارج ، فاستخلفَ ابنَه محمد بن عبد الملك على مكّة ، وعلى المدينة الوليدَ بنَ عروة بن عطيّة ، وتوجَّه إلى صنعاءَ ، ورجع أهل الجزيرة جميعاً إلى بلدهم ، وكذلك كان مروان شرَط لهم ، فلمّا قُرب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها ، فأخذ أهلُ صنعاء أثقاله وحملين من مالٍ كان معه ، فسلّموا ذلك إلى ابن عطيّة ، وتتبع أصحابَ عبد الله بن يحيى في كلّ موضع يقتُلهم ، وأقام بصنعاء أشهراً ، ثم خرج عليه رجل من أصحابِ عبد الله بن يحيى في آل ذي الكلاع ، يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السبّاق في جمع كثير بالجند ، فبعثَ إليه ابنُ عطيّة بنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطيّة ، فلقيه بالحرب ، فهزمه ، وقتل عامة أصحابه ،

1 العفر : التراب .
2 الحجر : بلد بأعلى المدينة .
3 فحاجلة : جمع فحجل وهو الأفحج . خوامع : ضباع جمع خامعة .

وهرب منه فنجا ، وخرج عليه يحيى بن كرْب الحميري بساحل البحر ، وانضمّت إليه شُذّاذُ الإباضية ، فبعث إليه أبا أمية الكِنديّ في الوضاحية ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حَضْرَمَوت ، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له : عبد الله بن معبد الجرْمي ، فصار في جيش كثير ، واستفحل أمرُه ، وبلغ ابنَ عطيّة الخبرُ ، فاستخلف ابنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطيّة على صنعاء ، وشخص إلى حضرموت وبلغ عبدَ الله بن معبد مسيرُ عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعامَ وكلَّ ما يحتاجون إليه في مدينة شبام . وهي حصن حضرموت مخافة الحِصار . ثم عزموا على لقاء ابن عطيّة في الفلاة ، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت ، في عدد كثير في فلاة . وأتاهم ابن عطيّة ، فقاتلهم يومه كلّه ، فلمّا أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حَدَر عسكرَه في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً . ثم أصبح ، فقاتلَهم حتى انتصف النهارُ . ثم تحاجزوا ، فلمّا أمسوا ، تبع عسكرَه . وأصبح الخوارج ، فلم يرَوْا للقوم أثراً . فاتّبعوهم وقد سبقوهم إلى الحِصْن ، فأخذوا جميعَ ما فيه ومَلَكوه ، ونصب ابنُ عطيّة عليهم المسالِح ، وقطع عنهم المادّة والمِيرَة ، وجعل يقتل مَن يقدر عليه ويَسبي ويأخذُ الأموال .

[مصرع ابن عطيّة]

ثم ورد عليه كتابُ مروان بن محمد يأمره بالتعجّل إلى مكّة ، ليحُجّ بالنّاس ، فصالح أهل حضرموت على أن يردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم . ويولي عليهم مَن يختارون ، وسالَموه ، فرضي بذلك ، وسالَمهم وشخَص إلى مكّة متعجّلاً مُخِفّاً . ولّما نفَذ كتابُ مروان ندِمَ بعد ذلك بأيّام ، وقال : إنّا لله ! قتلت واللهِ ابنَ عطيّة ؛ هو الآن يخرج مُخِفّاً مُتَعجّلاً ، ليلحق الحجّ ، فيقتُلَه الخوارجُ . فكان كما قال : تعجَّل في بضعة عشر رجلاً ، فلمّا كان بأرض مُراد تلفَّفت عليه جماعةٌ ، فمَن كان من تلك الجماعة إباضيّاً عرفه ، فقال : ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه ، ومن لم يكن إباضياً ظنّه من الإباضية ، وأنّه منهزم ، فلمّا علِم أنّهم يريدونَه قال لهم : ويحكم ! أنا عاملُ أمير المؤمنين على الحجّ ، فلم يلتفِتوا إلى ذلك . وقتلوه ، ونصبتِ الإباضية رأسَه ، فلمّا فتشوا متاعه ، وجدوا فيه الكتابَ بولايته على الحَجّ ، فأخذوا من الإباضية رأسَه ، ودفنوه مع جسده .

قال المدائنيّ : خرج إليه جُمانة وسَعيد ابنا الأخنَس ، في جماعةٍ من قومهما من كِندة ، وعرفه جُمانة لّما لقِيَه ، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من هَمدان ، يقال له : رُمَّانة .

وثلاثة من مُراد ، وخمسة من كِندة ، وقد توجّه في طريق مع أربعة نفرٍ من أصحابه . وتوجّه باقيهم في طريق آخر ، فقصدوا حيث توجَّه ابن عطيّة ، ووجّهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم ، فأدركوهم فقتلوهم ، وأدرك سعيدٌ وجُمانة وأصحابُهما ابنَ عطيّة ، فعطف عبد الملك على سعيد ، فضربه وطعنه جُمانة ، فصرعه عن فرسه ، ونزل إليه سعيد ، فقعد على صدره ، فقال له ابنُ عطيّة : هل لك يا سعيدُ في أن تكون أكرم العرب أسيراً ؟ فقال : يا عدوَّ الله ، أترى اللهَ كان يمْهلك ؟ أو تطمع في الحياة وقد قتلتَ طالبَ الحقّ وأبا حمزة وبلْجا وأبرَهة ! فقتله وقتل أصحابَه جميعاً . وبعثوا برأسه إلى حضرموت ، وبلغ ابنَ أخيه ، وهو بصنعاء ، خبرُه . فأرسل شُعيباً البارقيّ في الخيل . فقتل الرجال والصِّبيان . وبقر بطونَ النساء ، وأخذ الأموالَ ، وأخربَ القُرى ، وجعل يتتبع البرِيء والنَّطِف[1] . حتى لم يَبْقَ أحدٌ من قتلة ابن عطيّة ولا من الإباضية إلاّ قتله ، ولم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأمرُ إلى بني هاشم ، وقام بالأمر أبو العبّاس السفّاح .

* * * *

1 النّطف : النجس والمريب .



الفهرس

